

الموت لا يأتي مرتين

د. نبيل فاروق

روايات
بدرية المصطفى

سلسلة
الأصدقاء
الخاصة

8



Looloo

www.dvd4arab.com

القسم الأول



الشبكة الاكندنافية

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من العنصر إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لسبب لغات حية، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و (المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الفواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .. لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

- ثبتوه إلى الجدار بآية وسيلة .

أسرع الجنود ينفذون الأمر دون مناقشة ، فأحاطوا وسط الرجل بحبل سميك ، وربطوا الحبل في مسمار معدني ضخم ، بدا وكأنه معد لهذا الغرض بالتحديد ، على ارتفاع ثلاثين سنتيمتراً من رأس الرجل ، الذي حاول أن يقول شيئاً ما ، إلا أن التهالك الشديد الذي أصابه ، مع تلك البرودة الشديدة ، التي تنخر عظامه ، منعاه من النفوذ بأكثر من غمغمة غير مفهومة ، في حين انعقد حاجبا (فينوفيتشي) في صرامة مخيفة ، وهو يقول للرجال :

- اتخذوا أماكنكم .

أسرع الجنود يصطفون في خط مستقيم ، على مسافة ستة أمتار من الرجل المقيد ، في حين رمقه (فينوفيتشي) بنظرة متشعبة ، وهتف :

- استعد .

رفع الجنود فوهات بنادقهم ، وصوبوها إلى صدر الرجل ، فقال (فينوفيتشي) ، وهو يشير إلى جنديين ، يقفان أمام عنبر المعتقلين الرئيسى :

- هيا .

استدار الجنديان يفتحان باب العنبر الضخم ، وراحا يسوقان المعتقلين أمامهما ، وهما يلوحان بعصى رفيعة ، تدور في الهواء تارة ، ثم تسقط على رأس أحد المعتقلين تارة أخرى ، حتى صنعاً منهم قوساً كبيراً ، يواجه جنود كتيبة الإعدام ، والجدار الذي قيئوا الرجل إليه .

كان المعتقلون يرتجفون في شدة ، من فرط البرد والرهبة ،

انخفضت درجات الحرارة إلى حد رهيب ، يتجاوز المعدلات الطبيعية لمنطقة قارصة البرودة ، مثل (سيبيريا) ، وإشار مقياس البرودة إلى خمسين درجة تحت الصفر ، وبدا جنود الحراسة الذين يحيطون بأسوار المعتقل الرهيب ، في قلب تلك البقعة المخيفة ، أشبه بالدببة ، داخل معاطف الفراء السمكية ، التي يرتدونها ، والتي تخفي أجسادهم بأكملها ، حتى بداية أقدامهم ، التي غاصت داخل أحذية سمكية مبطنة بثلاث طبقات من الفراء ، في محاولة لاتقاء البرد الشديد ، والجليد الذي ينهمر بلا انقطاع ، منذ ثلاثة أيام ..

ووسط كل هذه الظروف ، وعلى الرغم من الحالة الرهيبة للطقس ، برز فريق من الجنود السوفييت في ثكناتهم (*) ، وهم يحملون بنادقهم العتيقة ، ويجرون في قسوة رجلاً متين البنيان ، مفتول العضلات ، شبه فاقد الوعي ، تثير حالته المزرية ، وثيابه الخفيفة التي لا تتناسب قط مع ذلك الطقس ، الشفقة في قلب أكثر وحوش العالم قسوة وضراوة ..

ومن خلف الجنود ، ظهر الضابط (أندريه فينوفيتشي) بملامحه القاسية الصارمة وقوامه المشقوق ، وتابع حركة الجنود وأسيرهم في برود يعد من أبرز سماته ، قبل أن يقول :

- أوقفوه عند ذلك الجدار هناك .

جذب الجنود الرجل حتى الجدار ، والصقوا ظهره به ، إلا أنه عجز تماماً عن الوقوف وحده ، فقال (فينوفيتشي) في صرامة :

(*) تدور أحداث هذه القصة ، قبل سقوط وانهيار الاتحاد السوفيتي .

ومن نظرات (فينوفيتشي) الصارمة المخيفة ، وهو يدير عينيه
في وجوههم ، قبل أن يقول بصوت جهورى ، يفيض بالقسوة
والصرامة :

- ينبغي أن تعلموا جميعاً أنه لا أحد يمكنه مخالفة النظام
والقواعد هنا ، ومن يفعل سيقبض مصيراً أسوأ من أبشع
كوابيسه .. هل تفهمون ؟

ران عليهم صمت رهيب ، وكلهم يتطلعون إليه فى خوف ،
وحلوقهم جافة من شدة التوتر ، فادار عينيه فى وجوههم ثانية
ثم تابع :

- وأمام عيونكم مثال لتأكيد ما قلته .. كلكم تعرفون ذلك
المعتقل المصرى (أنهم صبرى) .. وتعرفون ما فعله ، وكيف
حاول أن يبدأ تمرداً ، وأن يقصدى لأوامرنا وقواعدنا
ويتحداها .

وانعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يستطرد :

- وسيدفع الثمن غالياً .

استدارت العيون فى حسرة إلى الرجل المقيّد ، والذي عقدوا
أمالهم عليه ذات يوم ، فى أن يحمل إليهم لحظة الحرية ، أو
شرارة الثورة ، أو حتى الأمل فى التصدى للقسوة والديكتاتورية
الرهيبية ، التى تعدّ سمة من سمات معتقل (سيبيريا) الشهير .
ومن بعض هذه العيون انهمرت دموع اليأس والقهر والمرارة ..
وتجمّدت تلك الدموع على خدود أصحابها ، وشاركت
الدموع الأخرى ، التى تجمّدت فى أعماق الآخرين ، قبل حتى أن
تولد ..

وفى مرارة ، تمتم أحدهم ، وهو يتطلع إلى الرجل المقيّد :

- بالخسارة يا (أنهم) .. بالخسارة !

بلغت الكلمات أذن (فينوفيتشي) الحساسية ، على الرغم من
خفوتها ، فالتقط نفساً عميقاً من الهواء البارد ، وتألّقت عيناه
فى ظفر ورشيا ، ثم استدار إلى كتيبة الإعدام ، وقال فى
صرامة ، وهو يرفع يده ويخفضها :

- الآن .

ولم تكد يده تنخفض ، حتى انطلقت رصاصات بنادق كتيبة
الإعدام ..

واصابت كلها الهدف ..

وبلا استثناء ..

وانتفض جسد الرجل فى عنف ، وتفجّرت بقع الدم من
صدره ورأسه وعنقه .. ثم تهاوت رأسه على جسده ..

ورآن على الساحة صمت رهيب ..

رهيب ..

رهيب ..

ووسط كل هذا الصمت ، اتجه أحد الجنود إلى الرجل ، فى
خطوات واسعة ، والتقط معصمه ، وتوقف لحظة لقياس

نبضه ، ثم اعنّدل فى وقفة عسكرية ، وقال فى حسم :

انتهى الأمر .

وتألّقت عينا (فينوفيتشي) ببريق قوى ظافر ، فى حين لم
تحتمل عيون المعتقلين ، فتفجّرت منها الدموع الحبيسة ،

وسالت مع اليأس والمرارة ، و ...

ولكن مهلاً ..

هذه ليست بداية الأحداث بالتأكيد ..

فالبداية لم تكن في معتقل (سيبيريا) (*)
بل ولم تكن في (الاتحاد السوفيتي) كله ..
لقد بدأت مهمة (أدهم) الفعلية في (هلسنكي) عاصمة
(فنلندا) ..

وهذا يثير بالطبع موجة من التساؤلات ..
لو أن المهمة الفعلية كانت في (هلسنكي) ، فكيف وصل
(أدهم) إلى (سيبيريا) ؟ ..

والى معتقلها بالتحديد ؟ ..

ولماذا تم اعتقاله ؟ ..

وكيف ؟ ..

ثم دعونا ننقل مباشرة إلى السؤال الرئيسى ..

ما مصيره هناك ؟ ..

هل لقي مصرعه بالفعل ، أم ... ؟ ..

وللحصول على جواب لكل هذه التساؤلات ، يحتاج الأمر

إلى العودة إلى ما قبل حتى أن تبدأ المهمة الفعلية ..

والى نقطة البداية ..

إلى (القاهرة) ..

* * *

(*) سيبيريا : الاسم الشائع للجزء الآسيوى من الاتحاد السوفيتي ،
تحتل الثلث الشمالى من آسيا ، وتمتد من جبال (الأورال) حتى المحيط
الهادى ، ومن المحيط القطبى حتى (متغوليا) و (منشوريا) ، وزراعة
الحبوب بها عامل هام للغاية فى الاقتصاد السوفيتي (الروسى حالياً) ،
وبها مناجم غنية بالذهب والمعادن المختلفة .

أشارت عقارب الساعة إلى الثالثة وست عشرة دقيقة
بالتحديد ، فى صباح أحد أيام الشتاء الباردة ، عندما ارتفع
رنين الهاتف الخاص ، المجاور لفراش (أدهم صبرى) ،
فاستيقظ على الفور ، واستعاد عقله وذهنه نشاطهما فى تلك
الثانية ، التى امتدت يده فيها ، ليلتقط سماعة الهاتف ، ويقول
فى صوت متزن صاف :

- هنا (أدهم صبرى) .. من المتحدث .

أتاه صوت مدير المخابرات العامة المصرية شخصياً ، وهو
يجيب :

- إنه أنا يا (أدهم) .. أعلم أن الوقت متأخر للغاية ، وأنك
عدت منذ خمس ساعات فحسب من (اثينا) ، وأن مهمتك هناك
لم تكن بالهينة ، ولكننى أريدك فى مكتبى فى تمام الرابعة .. هل
يمكنك هذا ؟

نهض (أدهم) من فراشه بالفعل ، وهو يجيب :

- بالتأكيد .. ستجدنى أمامك فى الرابعة بالضبط .

قالها ، وأنهى الاتصال ، ثم بدأ فى إجراءاته الصباحية فى
نشاط جم ، وكأنه نهض على الفور من نوم عميق ، استغرق
عشر ساعات أو أكثر ..

وعندما دقت ساعة الحائط ، فى مكتب مدير المخابرات ،
معلنة تمام الرابعة ، كان (أدهم) يرق باب مكتبه ثلاث دقائق
منتظمة ، بدت وكأنها صدى لبعض دقائق الساعة ، حتى أن
المدير ابتسم ، وهو يقول فى ثقة :

- انخل يا (أدهم) .

دلف (ادهم) إلى الحجرة في خفة ، وبدت ابتسامته يقظة
مقالقة ، وهو يقول :

- صباح الخير يا سيدي .

أشار إليه المدير بالجلوس ، مجيباً :

- صباح الخير يا (ن - ا) .. اجلس ، واستمع إلى جيداً .

كانت بداية سريعة ، ولكن (ادهم) اعتاد استيعاب ذلك
الإيقاع ببساطة ، منذ صباه ، عندما تربى والده (رحمه الله)
على هذا ، لذا فلم يبد أدنى انزعاج ، عندما دفع إليه المدير ملفاً
ضخماً ، وهو يقول :

- راجع هذه المعلومات في سرعة .

فتح (ادهم) الملف ، وجرت عيناه فوق صفحاته بسرعة ،
والتقط من بينها صورتين ، قائلاً :

- إنه ملف الشبكة الاسكندنافية .. هل استعادت نشاطها

ثانية ؟

أوما المدير برأسه إيجاباً ، وقال في حزم :

- وبصورة مخيفة .

ثم أراح الملف جانباً ، مستطرداً :

- والمخيف هذه المرة هو أن الشبكة الجديدة تعمل تحت
ستار قانوني تماماً ، فلقد اجتمع الاربعة الذين تبقوا منها :
السويدية (انجريد ديلمار) ، والدانماركي (هانز جوردان) ،
والفنلنديان (بيير نورمال) و (باتون هال) ، وأنشئوا شركة
كبيرة لتصدير آلات التنقيب والمعدات الثقيلة ، واتخذوا مقراً
لها مدينة (هلسنكي) عاصمة (فنلندا) ، وأصبحوا من رجال
الاعمال المعروفين والمرموقين هناك ، يبرمون عقودهم بمنتهى

الشرف ، ويسددون ضرائبهم بكل أمانة ، ولكن لدينا شكوك
قوية تشير إلى أن هذه الشركة تخفي وراءها نشاطاً غير
مشروع ، يتعلّق بنشاطهم السابق ..

ومال نحو (ادهم) ، مضيقاً في حسم :

- الجاسوسية .

انعقد حاجباً (ادهم) ، وهو يقول :

- وهل تستند هذه الشكوك إلى دلائل قوية ؟

تراجع المدير ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

- بالتأكيد .

ثم شبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يتابع في اهتمام :

- في الآونة الأخيرة رصد جواسيسنا لقاء خاصاً ، ثم في

سرية بالغة ، وإجراءات أمن مبالغ فيها ، بين (باتون هال) ،

محامي الشبكة ولعلبها الأول ، وبين ضابط الموساد الكهل

(ماثير شالوم) .

رفع (ادهم حاجبيه) ، وخفضهما قائلاً :

- أه : (ماثير شالوم) .. الذئب الأرقط ، كما يطلقون عليه

في (الموساد) ..

عجيباً !! .. هل قرّرت الشبكة الاسكندنافية (*) أن تمد جسور

الصداقة بينها وبين (الموساد) ؟ .. بعدما سمعت علاقتها

بالمخابرات السوفيتية (KGB) ؟

أجابه المدير في جدية :

- ربما .. وربما يحدث العكس .. أن (الموساد) هو الذي

(*) الاسكندنافية : مصطلح يطلق على مجموعة دول ، في شمال

(أوروبا) مثل : (الدنمارك) ، و (النرويج) ، و (السويد) ، و (فنلندا) .

يسعى لإقامة روابط مع الشبكة الاسكتندنافية .. وفي كل الأحوال ، ينبغي أن نشعر بالقلق ، فأي اتحاد بين اثنين من العقارب ، لا يمكن أن يعنى إلا المزيد والمزيد من السموم .

سال (أدهم) فى اهتمام :

- وما دورى بالضبط فى هذه العملية ؟

انعقد حاجبا المدير فى اهتمام ، وهو يجيب :

- نريد أن نفتح عالم الشبكة الاسكتندنافية ، وأن نفحص فى أعماقها ، ونسبر أغوارها ، ونكشف كل ما يختفى وراء ذلك الستار الحديدى الأنيق ، وما يكمن خلف لقاء (هال) و (شالوم) .

وعاد يميل نحوه ، مستطرداً فى حزم :

- باختصار .. نريد أن نزرع عميلاً داخلها .

قال (أدهم) فى بطة :

- والمفترض أننى هذا العميل .. اليس كذلك ؟

عاد المدير إلى جلسته المعتادة ، وهو يجيب :

- بالتأكيد .. ومن سواك ؟ هؤلاء الجواسيس من أنكى

وأبرع من عمل فى مجال الجاسوسية الحرة ، وسيمكنهم كشف أى جاسوس ، يحاول التسلل إلى صفوفهم ؛ لذا فهم يحتاجون إلى محترف من طراز خاص ، يمكنه أن يتألق ، عندما يعمل منفرداً ، ولديه موهبة ارتجال الخطط ، طبقاً لمقتضيات الموقف ، ولا يحتاج إلى إجراء أية اتصالات مع قيادته طوال الوقت ..

وصمت لحظة ، هزّ خلالها رأسه قبل أن يضيف :

- إنهم يحتاجون إلى رجل مثلك يا (ن - ١) .

أوما (أدهم) برأسه ، وأشار بيده ، قائلاً :

- عظيم .. هذا شرف لى بالتأكيد يا سيدي ، ولكننى اعتقد

أننا نغفل نقطة بسيطة ، فكل من الفنلندى (بيير ثوردال) ، والإسرائيلى (ماثير شالوم) يعرفنى جيداً ، وسبق له أن التقى بى فى صراع ما^(٥) ، وسيمكنهم تعرفى من اللحظة الأولى ، ابتسم المدير ، وهو يقول :

- مستحيل ! .. عندما تتذكر ببراعتك المذهلة ، لا يمكن لأى شخص أن يتعرفك .. لقد اختبرنا هذا بأنفسنا .

هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

- ليس من السهل أن يحافظ المرء على تذكر متقن طوال الوقت .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة جذلة ، وهو يستطرد :

- ولكن الأمر لا يمكنه مقاومة إغراء التجربة .

اتسعت ابتسامة المدير ، الذى لم يشك لحظة واحدة فى قبول (أدهم) للمهمة ، وسمع هذا الأخير يسأل فى اهتمام :

- هل توجد خطة محدودة ، أم أنه على أن ارتجل منذ البداية ؟

أجابه المدير ، وهو يلتقط بضع أوراق من درج مكتبه :

- دع الارتجال لوقتته ، أما الآن فستتبع خطة بسيطة للغاية .. لقد أعلنت الشركة عن رغبتها فى التعاقد مع طيار من الفئة الأولى ، لقيادة طائرة خاصة ، وغداً موعد الاختبار ، فى الثالثة ظهراً .

ارتفع حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

- الثالثة ظهراً ؟ هذا يعنى أنه ..

(٥) لم يتم نشر هذه العمليات بعد .

- انه عليك ان تسافر في طائرة الساسية والنصف .. هذا صحيح .. ولهذا أيقظتك من نومك .. لقد أعددت لك جواز سفر ، وأوراق هوية المانية ، باسم (انولف زيلمان) .. طيار سابق في شركة (لوفتهانزا) ، وستجد حقيبتك في انتظارك في مطار (لندن) ، الذي ستصل إليه ، قبل ان تستقل الطائرة المتجهة إلى (هلسنكي) ، والتي ستصل إليها في الواحدة ظهراً .. وهذا يعني انه سيكون أمامك ساعتان ، لتستعد لاختبار الطيران . وناولته الأوراق وجواز السفر ، وهو يبتسم ، مستطرداً :

- وهناك نقطة واحدة ينبغي ان تدركها جيداً ، فالذي سيجري الاختبار هو (هانز جوردان) بنفسه ، وهو طيار مقاتل سابق في الجيش الدنمركي كما تعلم ، ومعنى هذا انه لن يختار إلا أبرع الطيارين .

ابتسم (ادهم) في ثقة تحمل لمحة من السخرية ، فانسعت ابتسامة المدير بدوره ، وهو يكمل :

- ولهذا أيضاً ، وقع اختيارنا عليك . ولم يتبادلا بعدها كلمة واحدة ..

فقط تصافحا في قوة ، ثم حمل (ادهم) أوراق (انولف زيلمان) ، وغامر مكتب المدير ، ومبنى المخابرات العامة كله ، متجهاً إلى المطار ..

فلقد بدأت مهمته ..

وبدا الخطر .

* * *

توقفت سيارة المانية أنيقة ، أمام مبنى فاخر ، في قلب العاصمة الفنلندية (هلسنكي) ، وأسرع سائقها يسابق حارس البناية ، لفتح باب السيارة الخلفي ، وانحنى كلاهما في احترام شديد أمام السيّدة الأنيقة ، والتي هبطت منها ، داخل معطف من الفراء السميك حاملة كلباً صغيراً ، من نوع يهواه الأثرياء ، أحيط عنقه بطوق من الماس الطبيعي ، يتالق ببريق يخطف الأبصار ، ويشق عن مدى ثراء صاحبه ، التي ناولت الكلب لحارس البناية في تعال ، قائلة :

- اعتن به جيداً .

اجابها الحارس في احترام شديد :

- بالطبع ياسيّدتي .. بالطبع .

عبرت السيّدة باب البناية في خطوات رشيقة سريعة ، واستقبلها داخلها حارسان مسلحان ، قاداها إلى المصعد ، الذي استقلته إلى الطابق العاشر والآخر ، وهي تسوى شعرها الأشقر المتناثر في اناقة ، وتطلع عبر جداره الزجاجي إلى الحديقة الكبيرة في مدخل المبنى ، والنافورة الرقيقة التي تتوسطها ، ورجال الأمن الذين يتابعون المصعد في اهتمام ، وهم يبلغون زملائهم بأعلى أن السيّدة في الطريق ..

وعندما وصل المصعد إلى الطابق الأخير ، كان الزملاء قد استقبلوا الرسالة ، واستعدوا لاستقبال السيّدة ، فالتقط أحدهم معطف الفراء ، وهو يختلس النظر إلى ثوبها الضيق ، الذي يبرز مفاتها ، وهي تتجه نحو ردهة واسعة ، قائلة في صرامة

شديدة ، لا تتناسب مع جمالها الواضح ، على الرغم من سنوات عمرها ، الذي تجاوز منتصف الأربعينات بعام أو عامين :

- هل وصل الباقون ؟

اجابها أحد رجال الأمن ، وهو يتحرك خلفها في خطوات واسعة :

- مسيو (بيير) هنا ، ومسيو هانز وصل منذ دقائق ، ويستعد للذهاب إلى المطار ، لإجراء اختبارات الطيران للمتقدمين للوظيفة ، أما مسيو (هال) ، فلم يصل بعد .
مطت شفتيها الجميلتين ، قائلة في غضب :

- ولماذا لم يصل بعد ؟ .. لقد تجاوزنا الثانية بالفعل .
اجابها الرجل في سرعة :

- لقد اتصل هاتفيًا من سيارته ، وقال إنه في الطريق يا سيدي ، وسيصل بعد قليل .
عادت تمط شفتيها في غضب ، وهي تتجه إلى قاعة الاجتماعات ، قائلة :

- ذلك الوغد يعلم أننا لا نستطيع بدء الاجتماع بدونك .
خيل لرجل الأمن أنه لم يسمع جيدًا ، فسألها في شيء من الدهشة :

- ماذا يا سيدي ؟

التفتت إليه في حركة حادة ، وقالت :

- ليس في هذا من شأنك .. هيا .. اغرب عن وجهي ، ولا تنبعثي هكذا كظلي .. أنا أكره هذا .

تراجع الرجل على الفور وهو يقول :

- كما تامرین یا سیدی .

قبل أن تصل إلى القاعة فتح (بيير ثوردال) بابها ، وابتسم ابتسامة لا تحمل أدنى قدر من المودة ، وهو يقول :

- صباح الخير يا أميرتي .. لماذا تبدئين صباحك ثائرة هكذا ؟

رمقته بنظرة صارمة ، وهي تجيب :

- لقد تجاوزت الثانية ظهرًا .

رفع حاجبيه بحركة مصطنعة ، وهو يقول :

- حقًا ؟ .. يبدو أن شمس جمالك قد بهرت عيني ، حتى نصورت أننا في الصباح الباكر .

مطت شفتيها على نحو يوحي بأن عبارته لم ترق لها ، ثم تجاوزته ، مشيحة بوجهها عنه ، ولوحت بأصابعها لـ (هانز) قائلة :

- كيف حالك ؟ .. أخبروني أنك تستعد للانصراف .

اجابها (هانز) في برود :

- اختبار الطيران يبدأ بعد أقل من ساعة .

جذبت مقعدًا ، وجلست في بطة ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، ثم تطلعت إلى أظفارها الطويلة ، المظلية في عناية ، وقالت :

- لماذا تأخر (هال) ؟

اجابها (ثوردال) ، وهو يخلق باب القاعة في إحكام :

- اجتماعه مع الإسرائيليين استغرق وقتًا أكثر مما ينبغي ، ولكنه يقول : إنه حصل على صفقة جيدة .

أدارت عينيها إليه ، وقالت في بهشة ساخرة :

- صفقة جيدة مع يهودى ؟

نوح (ثوردال) بيده قائلاً :

- أنا لا أثق بالإسرائيليين قط ، ولو أن الصفقة رابحة ،
فهى لصالحهم حتماً :

قال (هانز) فى سرعة :

- دعونا لا نتعجل الأمور .. (هال) سيصل ما بين دقيقة
وأخرى ، وسنعرف منه كل التفاصيل .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت (هال) من عند
الباب ، هاتفاً :

- لقد وصل بالفعل .

التفتت العيون كلها إليه ، وهو يهدف إلى القاعة فى نشاط ،
ويضع حقيبته على مائدة الاجتماعات ، وسالته (أنجريد) :

- ماذا فعلت مع (شالوم) ؟

ربت على الحقيبة ، قائلاً بابتسامة ظافرة :

- أقتنعت أن يمنحها الملايين الخمسة ، التى تحتاج إليها .

سأله (ثوردال) بسرعة :

- مقابل ماذا ؟ .. الإسرائيليين لا يمنحون الملايين ، إلا
لو كانت ستبخر عليهم المليارات .

التفت إليه (هال) ، وهز كتفيه ، قائلاً :

- كل ما طلبه الرجل هو التعاون .. فقط التعاون مع
(الموساد) .

انعقد حاجبا (أنجريد) فى شك ، وتمتم (هانز) فى حذر :

- التعاون ؟

اجاب (هال) فى حماس :

- نعم .. كل ما طلبه الإسرائيليون هو التعاون ، ما بين

جهاز مخابراتهم (الموساد) ، وشيكتنا الإسكندنافية .. وهذا
مقابل خمسة ملايين عدداً ونقداً .

سالته (أنجريد) فى قلق :

- وما صورة التعاون التى اقترحوها ؟

ادار (هال) عينيه فى وجوههم ، ثم جذب مقعداً ، وجلس
بينهم قائلاً :

- كل ما يطلبونه هو أن نعاونهم على اختراق المخابرات
السوفيتية .

اتسعت عيونهم فى مزيج من الذعر والذهول ، وبدأ صوت
(هانز) أشبه بصرخة فزع ، وهو يهتف :

- المخابرات السوفيتية ؟ .. هل جذنت يا رجل ؟ .. هل
تريد منا أن نتعاون مع الإسرائيليين ضد السوفييت ؟

اشار (هال) بيديه قائلاً :

- رويدكم يا رفاق .. الأمر ليس بالصعوبة التى
نتصورونها .. عندما بدأت مفاوضاتى مع ذلك الإسرائيلى ،

أدركت على الفور أنه يعلم أن اتصالاتنا بالمخابرات السوفيتية
لم تنقطع تماماً ، وأنه مازال لنا عميل فى قلبها ، وأن رؤسائه

قد أرسلوه لإقناعنا باستغلال هذا العميل لحسابهم .

ثم تراجع فى مقعده ، وابتسم ، قائلاً :

- من الواضح أنهم لم يدوسوا بعد عمصة الدكتور
(إسرائيل) ، وأنهم يشهدون الانتقام من السوفيت^(*)
انعتقد جاحظاً (ثوردال) ، وهو يقول في عصبية
- تتحدث عن الأمر كما لو كان سهلاً بسيطاً .
هز (هال) كتفيه ، قائلاً :

إنه كذلك بالفعل كل ما يظلمه الإسرائيليون هو أن
يحصلوا على بعض المعلومات ، عن المخاضات السوفيتية ، عن
طريق عميلنا هناك .

لوح (ثوردال) بسنابته في وجهه قائلاً في صرامة .
اسمع يا (هال) لدى حجرة طويلة في التعامل مع
اليهود ، ولو أردت نصيحتي ، فلا تتق بإسرائيل قط .
إنهم ، ومهما بدوا لك طيبين ويودين ، لا يعرفون إلا صالحهم
فقط ، ويمكنهم أن يدوسوا أسهاتهم بأقدامهم ، في سبيل هذا
ابتسم (هال) ، وهو يقول :
- كل مخلوق في الدنيا يسعى لصالحه يا عزيزي (بيير)

(*) (إسرائيل بيير) صامتة برتبة كولونيل ، وأستاذ في جامعة (تل
أبيب) ، ومستشار لأمس القوم في الحكومة الإسرائيلية ومؤرخ عسكري
في وزارة الدفاع الإسرائيلية ، ومحرر في جريدة (هاشمير) ، ومعين
عسكري لجريدة (هاريس) ، كشف الإسرائيليون فحاة أنه جاسوس
سوفيتي ، وبعت محاكمته بهذه التهمة دور أن يدرك الإسرائيليون أن
عشيقته (ريسا) كانت تعمل لحساب المصريين ، ونقل إليهم بالخطأ كل
المعلومات والوثائق ، انتهى بعدها (إسرائيل) لإرسالها إلى السوفييت ، أي
أنه كان يعمل لحسابنا دون أن يدري .

وهم لم يعارضوا هذا قط . سيحصلون على ما يريدون ،
ویمتحنوننا ما تريد .

قالت (أنجريد) في صرامة :
ومن ادراك أنهم لا يسعون إلى العكس ، وأنهم
لا يتعاونون مع السوفيت ضدينا ؟
هز كتفيه ، قائلاً :

- ولماذا يفعلون هذا ؟
أجابه (هانز) في حزم :
- ليكشفوا عميلنا في الـ (كى . جى . بى) .
قال (هال) إلى الأمام ، وقال باستسامة وثيقة
- اطمئن .. لن يمكنهم هذا .
سأله (ثوردال) :

- كيف أيها العبقري ، أن يحصلوا على ما يريدونه من
معلومات عن طريقه ؟
أشار (هال) بسنابته ، وحافظ على ابتسامته الواثقة ، وهو
يقول :

- لن يحدث الأمر بهذه البساطة لقد درست الموضوع
حيداً ، قبل أن أوافق على عقد الصفقة . إنهم لن يلتفوا بعميلنا
قط . ولن يعرفوا حتى اسمه كل ما سيحدث هو أنهم
سيطعنون من المعلومات ، ويطلبها بحر من عميلنا ، الذي
يرسلها إليها ، فستعلمها نحن للإسرائيليين ، ويحصل على
الثمن باختصار سيكون سماسة معلومات فحسب ، مقابل
مبلغ ضخم من المال .

تبادل (هانز) نظرة قلقة مع (أنجريد) ، في حين انعقد

حاجباً (ثوردال) فى شدة ، وهو يحاول استيعاب الموقف ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، متمتعاً :

- لا تثق أبداً بإسرائيلى .

مط (هال) شفثيه ، وتراجع فى مقعده ، وقلب كفيه ، قائلاً :

- اعتقد أن موقفكم متعنت بحق هذه المرة

ثم عاد يعتدل ، مردفاً فى غضب :

- ألا تنفون ببراءتى كمحام ؟

عابوا يتبادلون تلك النظرة الحذرة القلقة ، ثم لم يلبث

(هانز) أن نهض ، قائلاً :

الآن يمكن إرجاء مناقشة هذا الأمر ، حتى أعود من

اختبارات الطيران ؟

قال (هال) فى عصبية :

- هذا الأمر أكثر أهمية من اختبارات الطيران

أجابه (هانز) فى صرامة :

- لقد حددت بنفسى موعد عقد الاختبارات ، ولن أراجع عن

قولى قط .

وافقته (أنجريد) بإيماءة من رأسها ، قائلة .

- هذا أفصل يا (هال) . الأمر يحتاج إلى بعض التروى

والتفكير ، قبل اتخاذ قرار حاسم ، فى أمر حيوى كهذا

واندفع (ثوردال) قائلاً :

- وأنا اتفق تماماً مع (أنجريد) و (هانز) .

بدأ الضيق والفضض على وجه (هال) ، وهو ينهض

بدوره ، قائلاً :

فليكن .. خذوا وقتكم ، ولينلق هنا صباح الغد ، وبحسب

هذا الأمر . فكروا جيداً وحاولوا تخيل مدى ما ستحصل عليه

من مزايا ، بتعاوننا مع جهاز مخابرات قوى مثل (الموساد) .

غمغمت (أنجريد) ، وهى تلقى نظرة أخرى على أظفارها

الحميلة :

- اطمئن .. سيفعل .

انضم الاجتماع بعد هذه العبارة ، وانطلق (هانز)

سيارته ، للحاق باختبارات الطيران ، فى حين اتجه (ثوردال)

و (أنجريد) إلى مكتبيهما فى الطابق التاسع ، وبقي (هال)

وحده ، صامئاً ساكناً ، يتطلع عبر النافذة إلى العاصمة

الفنلندية فى شروق ..

لقد كان أكثر من يهيمه عقد مثل هذه الصفقة مع الإسرائيليين ..

ولديه أسبابه لهذا ..

وهى أسباب لا يمكن التصريح بها ..

لا يمكن أبداً ..

* * *

استرخى (هانز جوردان) فى مقعده فى ضجر ، يراقب

طائرة التدريب ، التى تحلق فى السماء ، ويدخلها أحد

الطيارين الجدد ، الذين تقدموا للاختبار ، ومط شفثيه ، وهو

يزيح صورة الطيار جانباً ، مغمغماً :

- لا يصلح .

لم يكن الطيار ، الذى يقود الطائرة فاشلاً ، إلا أن عمل

(هانز) السائق كطيار مقاتل ، كان يضفى على مزاجه سمة

خاصة ، فهو لا يقبل بالجودة العادية قط

إنه يبحث عن طيار من طراز خاص ..

طيار يمكنه ان يقود طائرة خاصة ، بنفس المهارة التي يقود بها مقاتلة حربية ..

طيار قادر على المراوغة والمناورة ..

وليس من السهل ان يحيد طيار مدني هذا ..

لذا فقد احس (هانز) اكثر من خمسة طيارين ، من النشئة وحتى الرابعة بعد الظهر ، دور ان يروق له واحد منهم .

وعندما هبط الطيار احنالى بطائرة التدريب ، قفز منها في حفة ، واتجه إلى حيث يجلس (هانز) ، وسأله في لهفة :
ما رأيك ؟

تمهّد (هانز) ، ومطّ شفتيه مرة اخرى ، وحرّ رأسه قائلاً في برود :

- لا بأس .

شعر الطيار بالإحباط ، وقال مرتبكاً :

لقد عملت بالصيران المدي لمدة عامين ، ثم التحقت بمدرسة لك

قاصعه ، (هانز) بإشارة من يده ، وكرّر في صجر

لا بأس لا بأس انزل اسمك وعنوانك ، وستصل بك إذا ما احتجنا إليك .

أوما الطيار برأسه في إحباط أكثر ، وأملى اسمه وعنوانه لمدرّب الطيران ، الذي كتبهم في لاسمالة واصحة ، وتمهّد قائلاً :

- ألم يرق لك انهم يا ميسو (هانز) ؟

هزّ (هانز) رأسه نعيّاً ، وقال :

- كلهم لا يصلحون .

ثم سأل في شيء من الملل :

- أمارّال هناك اخرون ؟

اجابه المدرّب :

نعم ثلاثة احدهما الماني ، والاخران برويجيان

صمت (هانز) لحظة ، وهم بصرف الطيارين الثلاثة ، ثم لم

يلفت ان قال :

- فليكن .. دعنا نختبر الالماني أولاً .

اعتزل المدرّب ، وهتف :

- تعال يا (زيلمان) .

تقدّم (ادم) نحو (هانز) ، الذي تطلّع إليه لحظة ، وقارن

وجهه بصورته المدونة في طلب الاختصار ، ثم راح يتطلّع إليه

بضع لحظات في صمت ..

كان (ادم) قد صبغ شعره بلون أشقر ذهبي يتناسب تماماً

مع لون اشرار واللحية الكثير ، اللذين اخفا نصف وجهه .

وارتدى سنرة جلدية سوداء تشبه تلك التي كان يرتديها

الطيارون الالمان ، هي الحرب العالمية الثانية ^(*) ، وسروالاً أزرق

من سراويل رعاة الانقار الامريكيين (بلوجينز) ، وحذاء

مطاطياً من احذية الرياضيين

وكان في مظهره هذا يختلف تماماً عن الآخرين . الذين

(-) الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) حرب اشعبت بسبب

السياسة العدوانية التي اتبعتها قوات المحور (المانيا) ، و (ايطاليا) .

و ، اليابان) مما اصطر (ابحسرا) ، و ، فرنسا) لتتخس ، وسقطت

(فرنسا) في البداية ، ولكن (ابحسرا) صعدت طويلاً أم (المانيا)

فحاصت الحرب في حبهات محتلّة ، حتى وصلت إلى (روسيا) ، ومن

هناك بدأت الهزيمة إلى مبدت حتى احتلال (برلين) عام ١٩٤٥ م .

وانتشار (ويولف هتار)

تأنقوا بقدر إمكانيهم لخلق انطباع جيد عند المختبر ، لذا عقد
فحصه (هانز) من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، قبل أن
يسأله :

- أين كنت تعمل من قبل ؟

اجابه (أدهم) في هدوء ، وبلعة المانية سليمة تمامًا :

- وما شأنك بهذا ؟

انعقد حاجبا (هانز) وهو يقول :

- أجب سؤالي .

اجابه (أدهم) في صرامة :

قل لي يا رجل : أهذا اختبار طيران ، أم امتحان للألتحاق
بالمدرسة الثانوية ؟

بدا العصب لحظة على وجه (هانز) ، إلا أنه لم يلتفت أن
استعداد بروده ، وهو يراجع طلب الاختبار ، قائلاً :

- اسمك الأول (أدولف) أنت من المعجبين بالنازي
السابق (أدولف هتلر) (*) .

اجابه (أدهم) :

- ليس هذا من شأنك .

بدت الدهشة على وجه مدرب الطيران ، من الأسلوب الذي
يتحدث به (أدهم) ، وقال في قلق :

- ألا تعرف إلى من نتحدث يا فتى ؟

(*) (أدولف هتلر) (١٨٨٩ - ١٩٤٥ م) زعيم الماني ، قائد الحزب
النازي ، وأسس الرايخ الثالث ، وأصبح رئيسًا للوزراء عام ١٩٣٣ م . ثم
رئيسًا للجمهورية عام ١٩٣٤ م ، وأدت سياسته إلى إشعال الحرب العالمية
الثانية ، التي انتهت بهزيمة (المانيا) ولنتحاره .

اجابه (أدهم) متحدثًا :

لا يعني أن أعرفه أنا هنا لإجراء اختبار الطيران
فحسب . هل تنوون اختاري أم أعود أدراجي ؟

رمقه (هانز) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

- هل تعتقد أنك تستطيع قيادة الطائرة بمهارة ، بهذا المزاج
العصبي ؟

ألقى (أدهم) بخلة مستهترة على الطائرة الصغيرة ، قبل
أن يجيب في سخرية :

- أنقص هذه الطائرة ، إنني أستطيع قيادتها في أثناء
نومي ، والهبوط بها فوق رصيف صغير ، تحيط به الخيران من
جانبيه ، قبل حتى أن استيقظ .

ابتسم (هانز) في سخرية ، قائلاً :

- يا للفرور !

افعل مدرب الطيران ، وهو يقول :

- هذا الرجل لا يصلح يا سيد (هانز) ، دعه ينصرف ، و .

قاطعه (هانز) في صرامة :

- على العكس .

ثم مال نحو (أدهم) مستطردًا :

- هيا .. اعرض علينا مهارتك .

قال (أدهم) ساخرًا :

- فليكن ، ولكن حاول ألا تنهر كثيرًا .

قالها ، واتجه مباشرة نحو طائرة التدريب الصغيرة ، فقال
المدرب في عصبية :

- كان ينبغي أن تطرده يا مسبو (هانز) .

هز (هانز) رأسه نقيًا ، وقال :

- بل دعه يربينا مهارته ، ثم نحطم غروره بسخریتنا .

لم يهضم المدرب هذا المطلق ، ويكف شر رأسه مضطرباً ، وعاد يتابع (أدهم) الذي فخر داخل الطائرة ، واطلق منها على ممر الإقلاع في سناطة ، ثم عمغم :

- بدايته جيّدة إلى حد ما

عمغم (هانز) :

- لا تجعل هذا يخدعك ،

ارتفعت الطائرة الصغيرة في براعة حفيضة ، وواصلت انطلاقها في خط مستقيم ثم لم تلبث أن ارتفعت براوية حادة ، فابعقد حاجبا المدرب في قلق ، وهو يغمغم :

ماذا يفعل هذا الأحمق طائرة التدريب لن تحتفل الارتهاعات الكبيرة .

أما (هانز) ، لم يمسس بدت شمة ، وهو يراقب الطائرة ، التي واصلت ارتدعها طويلا ، ثم دارت دورة رأسية ، و فجأة راحت تهوي

تمائنا كما لو أن قيديها قد فقد سيطرته عليها ، وتركها تسقط من حلق ..

وفي هلع ، قفز المدرب من مقعده ، هاتفاً :

- رباح ! .. إنه يسقط ..

أما (هانز) فابعقد حاجباه في شدة ، وتمتم :

- مستحيل ! .. أمن الممكن أن ..

لم يكمل عبارته ، وإن بدا التوتر واضحا على ملامحه ، وهو يتابع سقوط الطائرة التي بدا وكبها سواصل ذلك السقوط



ثم مال نحو (أدهم) مستظرفاً

- هيا .. اعرض علينا مهارتك

العشوائي ، حتى ترتطم بالأرض ، فهتف المدرب مذعوراً :
- سيسقط .. سيسقط حتماً .

ولكن فجأة ، استعادت الطائرة توازنها ، واعتدلت ، وراحت
تنطلق بمحاذاة الأرض ، على ارتفاع منخفض ، متجهة نحو
خطيرة طائرات مفتوحة ، فانسعت عينا المدرب ، وغمغم
- ما الذي يفعله بالضبط ؟

اعتدل (هانز) في اهتمام شديد ، وهو يقول .
- يثبت مهارته .

التفت إليه المدرب في دهشة ، قائلاً :
يثبت ماذا ؟

أشار إليه (هانز) في صرامة ، وهو يقول :
- اصمت .. دعنا نر هذا .

كان (ادهم) يطلق بالطائرة نحو خطيرة الطائرات بالفعل ،
ثم مال بجناحيها قليلاً ، واقتحم الخطيرة بزاوية مخيفة ، وعبر
فراغها بسرعة ، قبل أن يبرز من الباب المواجه ، ويرتفع ثانية
بالطائرة ..

وفي انبهار ، هتف المدرب :
- مستحيل !

تأملت عينا (هانز) ، وقال في انفعال :

- إنه طيار حقيقي . هذا هو الرجل الذي احتاج إليه
بالصبط .

هرش المدرب رأسه ، قائلاً في حيرة
- كيف تعلم كل هذا ؟

كان (ادهم) ينطلق بالطائرة في مدار حلزوني ، وهو

يرتفع بها ، ويرتفع ، ويرتفع ، ثم عاد ينخفض بزاوية مخيفة ،
وكانه صاروخ يتجه نحو الأرض مباشرة ..

وفي توتر شديد ، غمغم المدرب :

- لابد وان يرتفع الآن .. لو تأخر قليلاً سيكون الارتفاع
مستحيلاً ، و ..

وانحبت الكلمات في حلقه لحظة ، قبل ان يتابع :

- مستحيل ! لقد فقد فرصة الارتفاع .. سيرتطم بالأرض
حتماً .

بلغ الانفعال (هانز) نبروته ، حتى انه قبض على معصم
المدرب في قوة ، وهو يقول ، وكأنه يتحدث مع (ادهم) مباشرة :

- هيا .. ارتفع يا رجل .. ارتفع .. ارتفع .

شهق المدرب ، متصوراً ان الطائرة سترتطم بالأرض
لا محالة ، ولكنها اعتدلت فجأة ، وبزاوية شديدة الصعوبة ،
وارتفعت مقدّمتها في مهارة ، في حين انخفضت مؤخرتها ،
واقتربت إطاراتها من الأرض ، قبل ان تلتقي بها في نعومة
مدهشة ، وتترلق الطائرة على المهبط على نحو يثير الإعجاب ..
وعندما قفز (ادهم) خارج الطائرة بعد توقفها ، لم يتمالك
المدرب نفسه ، وهتف في انبهار :

رائع .. أروع عرض طيران شاهدته في حياتي .

ابتسم (ادهم) في سخرية ، وهو يقول :

- لقد حذرتك من قبل .. لا تنبهر كثيراً .

كان (هانز) يشعر بالانبهار ، من قمة رأسه وحتى أخمص
قدميه ، إلا انه أخفى انفعاله هذا في أعماقه ، وهو يقول :

- مستواك لا بأس به يا رجل . ستفوز بالوظيفة .

٣ - العميل ..

خضع (هال) سرعة سيارته الأسيقة ، عندما بلغ تلك البقعة الخائبة . عند أطراف العاصمة ، وانحرف في طريق جانبي قديم غير مطروق ، وتوقف عند مبنى نصف متهدم ، وغادر سيارته في حذر ، وهو يتلفت حوله ، حتى سمع صوتاً يقول .
- اطمئن .. لم يلحقك أحد .

التفت (هال) في حدة إلى مصدر الصوت ، ثم زفر في عصبية ، قائلاً :

- (شالوم) .. لقد أفرغتنى .
طُنت ملامح الإسرائيلي خاوية من أية مفعالات ، وهو يقول :
لا ياس اخبرني هل سححت في إقباع رهقل ؟
هز (هال) رأسه نفياً ، وقال في نوتر :
ليس بعد مارانوا يشعرون بالقلق ، ويفتقرون إلى الثقة بكم .

عقد (شالوم) حاجبيه ، وهو يقول :
مهمتك أن تريح قلتي أو تمنحهم بعض الثقة
اجابه (هال) في عصبية :
- إنني أبذل قصارى جهدي .
رفع (شالوم) بظفرة صويدة ، قبل أن يقول :
- يمكنك أن تبذل جهداً أقل لو أردت .
قال (هال) في حدة :

بأن أعطيك اسم عميلنا في الك (كي جي بي) ..
اليس كذلك ؟

تعلقها في نفس اللحظة ، التي اقترب فيها أحد الغنير من المدرب ، وهو يسأله :

- قل لي يا سيدي : هل من الممكن أن ...
وبسر عسارته بعته ، وهو يحدق في وجهه (ادعم) . قبل أن يصرخ فجأة

- رماه ! .. أنا أعرف هذا الرجل .
وانعقد حاجباً (ادعم) في نوتر ملحوظ ..
وكانت مفاجأة .

* * *

قال (شالوم) :

- إنه ليس بالأمر العسير .

اجابه (هال) :

- بل هو أسخف شيء يمكن أن أفعله ، في ظل هذه

الظروف . لو أنني أعطيتك اسم العميل ، فما الذي يمكن أن يفيدني ؟

قال (شالوم) :

- ستحصل وحدك على خمسة ملايين دولار .

اشار (هال) بسبأبته ، قائلاً في حزم :

- خطأ يا (شالوم) إنها ثمانية ملايين وليس خمسة

ابتسم (شالوم) بشيء من السخرية ، وهو يقول :

هذا لو أنك حصلت على موافقة الجميع .. ستحصل معهم

على خمسة ملايين من الناحية الواضحة ، وعلى ثلاثة ملايين

وحدك بصورة سرية ، أما لو أخبرنا اسم العميل ، فستحصل

على الملايين الخمسة كلها وحدك ، ولن يعلم رفاقك عنها شيئاً

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفתי (هال) وهو يقول :

- محاولة طريفة لإغرائي يا (شالوم) ، ولكنها محاولة

فاشلة للأسف ، فطموحي يفوق عرضك بكثير

ابعد حاجبا (شالوم) ، وهو يردد في حذر :

- طموحك ؟

اشار (هال) بيده قائلاً :

- بالطبع هل تصوّرت أنني ساكتفي بتلك الملايين المحدودة

التي سأحصل عليها منكم ، مقابل إقناع رفاقي بالتعاون

معكم ؟ .. خطأ يا رجل . إنني أعتبر تعاونكم معاً أشبه بمنجم

الذهب . يظلّ يمنحنا إنتاجه ، ما دما نواصل التنقيب فيه ..

عملنا سيحمل إليكم الكثير والكثير من المعلومات ، وكلها عن

طريقي وحدي . وفي كل مرة ، أعطيكُم فيها المعلومة ، سأحصل

على مكافأة إضافية .. هذا هو طموحي الحقيقي . منجم ذهب

لا ينضب أبداً .

ابعد حاجبا (شالوم) أكثر ، وهو يقول :

- حذار يا (هال) المناجم تنضب أحياناً . أو تنهار في

أحيان أخرى .

قال (هال) في عصبية :

- أتهيد هذا ؟

اجابه (شالوم) في سرعة :

- بل تحذير يا (هال) .. ما نتحدث عنه ليس طموحاً .. إنه

الطمع والجشع .

اطلق (هال) ضحكة ساخرة عصبية ، وهتف :

- لقد تعلّمته منكم يا أساتذة الطمع والجشع عبر التاريخ .

هل لك أن تخبرني كيف صنعتهم إمبراطورياتكم المالية ؟ ..

اليس بالطمع والجشع ؟

قال (شالوم) في غضب :

- إننا ندير أعمالاً قانونية .

هتف (هال) :

- ولكنها غير محترمة .. إنكم أصحاب كل الشركات ، التي

نتاجر بكل واحط غرائز البشر . هل أنكر لك اسماءها ، أم ...

قاطعه (شالوم) في غضب صارم :

هل تركت مهنة المحاماة ، وتحولت إلى مصلح اجتماعي ؟

ارتفع حاجبا (هال) فى دهشة ، وهو يهتف :

- مصلح اجتماعى ١٩ .. أنا ؟

ثم تفحّرت فى حلقه ضحكة ساحرة مجلجلة ، قبل أن يميل

نحو (شالوم) ، ويشير إلى نفسه ، قائلا :

- لو أردت الحقيقة ، فأنا أكثر حقارة منكم يا رجل . تعلمت

على أيديكم الجشع والطمع والخيانة والعدو ، ثم تفوقت عليكم .. أنا التلميذ الذى فاق أساتذته .

واعندل فى حركة حادة ، مستطرذا فى صرامة .

- والذى سيريح معركته فى النهاية .

والثلاث دعسا عميقا من الهواء ، قبل أن يضيف فى حزم

غدا سنحصلون على موافقة رفاقي . واحصل أنا على

الملايين الثمانية

واتحه نحو سيارته ، وتوقف عندهما ، ليلتفت إليه ،

مستطرذا :

- وعلى مكافأتى المنتظمة .

قالها ، ودلف إلى سيارته ، وانطلق بها متفعدا ، وهو يطلق

ضحكة ساخرة أخرى ، انعقد لها حاجبا (شالوم) بشدة . وراح

يتابع السدارة ببصره وهو يعمعم فى مفت

تظن بفصل أدكى الأكباء أيها الدائمكى هيكى .. غدا

ستدرك أن أحدا لا يمكنه خداعك قط . وأنه عندما نحين لحظة

الحصاد ، نكون نحن الفائزين ..

والنقى حاجبا فى شدة ، وهو يضيف :

- نحن وحدنا .

وعاد يتابع السيارة فى اهتمام ..

وفى غضب ..

* * *

أطل مزيج من التوتر والفضول من عيني (هانز) ، وهو يتطلع إلى الفتى الذى لوح بسنائه فى وجه (أدوم) ، وراح يهتف

- لقد أطلق لحبته وشاربه ، ولكننى عرفتته .

التفت إليه المدرب . يسأله فى لهفة لم يحاول إخفاءها .

- من هو يا رجل ؟ .. من هو ؟

لوح الفتى بسنائه فى وجه (أدوم) وكأنما غلبه الانفعال ، قبل أن يهتف :

- (أدوم زيلمان) .

بدا الإحباط وخيبة الأمل على وجه المدرب ، فى حين انعقد

حاجبا (هانز) فى شدة ، وقد تصور كلاهما أن الرجل سيكون فى

بهذا الجواب ، الذى لا يضيف إليهما جديدا

ولكن الفتى ازدرد لعابه ، ثم استطرذ فى حماس .

إنه أفضل طيار رأيته فى حياتى كلها .. أنا وهو كنا نعمل

فى القاعدة الجوية السوفيتية ، فى (ألمانيا الشرقية)

غمغم (هانز) فى دهشة :

- (ألمانيا الشرقية) ؟

وقال (أدوم) فى صرامة :

- كفى يا رجل .

ولكن الفن تابع فى افعال :

- ثم فر ذات يوم إلى (سويسرا) فى انشاء زيارة رسمية ،
ومنها إلى (ألمانيا الغربية) ، وهناك التحق بالعمل كطيار
مدنى ، فى شركة (لوفتهازا) ، التى التحقت بالعمل بها اما
ايضاً ، عندما نجحت فى الفرار إلى (برلين الغربية) .
التفت (هانز) إلى (ادم) ، وانعقد حاجباه أكثر ، وهو
يتمتم .

- طيار مدنى ؟

بدا العصب على وجه (ادم) ، فى حين واصل الفن حديثه
بنفس الحماس :
- لم يحتمل هذا طويلاً ، وتشاجر ذات مرة مع رئيسه
المعاشر ، فلق له اتهاماً بالسرقة ، وفصله من العمل .
قالها ، وهز رأسه فى قوة ، قبل أن يتنسم ، هاتفاً فى
حرارة :

- إيه لمن دواعى سعادتى ان التقى بك ثانية يا هر
(زيلمان) .

كانت خدعة شديدة البراعة بالفعل ، من المخابرات المصرية ..
فظهر الفن فى هذه اللحظة بالذات ، مع قصة مثقبة ،
يتظاهر (ادم) بالعصب والحنق ، لأن الآخرين سمعوها ،
كفيل بمنح شخصيته مصداقية مذهشة ، وإحاطته بثقة يصعب
دحضها ..

وفى حدة ، هتف (ادم) :

اما أنا فيؤسفنى ان التقى بك يا رجل . لماذا لم تسرد
ما تبقى من قصة حياتى ايضاً .. ألم تصبح ملكاً للجميع ؟
بدا الارتباك والحرص على وجه الفن ، وهو يتمتم :
- هل أخطأت يا هر (زيلمان) ؟
التفت إليه (هانز) ، قائلاً فى سرعة :
- كلاً يا رجل . لم تخطئ .. هيا ، عد إلى موقعك ، واتركنا
وحدنا .

ارتبك الفن أكثر ، وغمغم :

- معذرة يا هر (زيلمان) .. معذرة .

واسرع بتنهد فى سرعة ، فى حين التفت (هانز) إلى
(ادم) ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :
- إنن فانت طيار حربى .

قال (ادم) فى حلق :

- لم أعد كذلك .. لقد انتهت تلك الحقبة .

هز (هانز) رأسه ، وغمغم ، وهو يتأمل (ادم)
فى اهتمام :

- من يدري ؟

التفت إليه (ادم) ببطء متسائلة ، فاستعت ابتسامة
(هانز) ومد يده يصافحه ، وهو يقول فى حرارة :
- مرحباً بك فى صفوفنا يا رجل . الآن بليت وطيفتك بحق .
وبكل جدارة .

صافحه (ادم) فى قوة ، وهو يتنسم ابتسامة حقيقية ، من
اعمق اعماق نفسه . فهذا القول يعنى ان خطة المخابرات
المصرية قد نجحت فى هذه المرحلة ..

وبمنتهى البراعة ..

وربما يعنى ايضاً ان (ادهم) قد انتقل إلى مرحلة جديدة

مرحلة ترتفع فيها درجة الخطر إلى حد جديد .

الحد الأقصى ..

* * *

« سيدتى .. إنها العاشرة .. »

همست الخادمة اسويدية بملك العمارة فى رقة ، فى أدن

مخدومتها (انحرید بيلمار) التى فتحت عينيها وتناعت فى

تكاسل ، قبل ان تغمغم :

- العاشرة ١٩

أومات الخادمة براسها إيجاباً ، وانسمت قائلة

- طلعت مى أمس ان أوقفك فى هذا الموعد ، للحاق

بالاجتماع فى الثانية عشرة .

هزت (انحرید) راسها موافقة ، وتناعت مرة أخرى قبل ان

تنهض جالسة فى فراشها ..

لم تكن تشعر ابداً انها على ما يرام ، فى هذا الصباح ، فقد

انتابها الارق طويلاً فى الليلة السابقة ، وهى تفكر فى تلك

العرض ، الذى تحدث عنه (هال) أمس ..

ولم تشعر نحوه بالارتياح قط ..

(بيير) على حق بالتأكيد ..

لا ينبغي ابداً ان تثق بالإسرائيليين ..

التاريخ كله يؤكد أنهم لا يتورعون عن سحق أقرب الناس

إليهم ، إذا مالات لهم أدنى فائدة من وراء هذا . ثم لماذا ترتبط

شبكتهم بأى جهاز مخابرات ١٩ ..

لقد أشاؤها خصيصاً كشبكة مستهدفة ، تعمل على جمع

المعلومات ، وبيعها لمن يدفع الثمن المناسب ..

أياً كانت هويته ..

فلماذا يكسرون القاعدة هذه المرة ١٩

استغرقها التفكير ، حتى أحضرت لها خادمتها طعام

الإفطار فى الفراش كالمعتاد ، وراحت ترتشف قدح القهوة فى

شروود ، قبل أن تلتقط ساعة الهاتف ، وتصل برميقيها (بيير

ثورداً) ، ولم تكد تسمع صوته ، حتى قامت

صباح الخير يا (بيير) نعم أنا أسعد أيضاً لحضور

الاجتماع ، ولكنى أردت التحدث معك قبلها .. (بيير) .. أنا

اتفق معك تماماً فى رفض المعام مع الإسرائيليين

كانت تتوقع منه التعدير عن ارتياحه بقرارها ، لذا فقد

تهجرت الدهشة فى كل حلية من خلاياها ، عندما فوجئت به

يقول :

ولكننى لم أعد أتشكك بهذا الراى يا عزيزتى (هال)

زارنى أمس ، وقضى معى أربع ساعات كاملة حتى اقتنعت

تماماً بوجهة نظره .

هتعت ذاهلة :

- اقتنعت ١٩ .. أنت ١٩

أحانها ، وصوته يحمل الكثير من الثقة والارتياح .

نعم يا أميرتنا الفاتنة (هال) نجح فى إقناعى تماماً .

ثم اكتسب صوته ربة حماس ، وهو يستطرد :

- هذا الرجل عبقري بحق إنه يدرك تماماً كى ما يمكن أن

يفعله الإسرائيليون ، وكل ما يدور فى أذهانهم من خطط

لخداعنا ، ولحاولة السيطرة على شبكتنا . واستعد لكل هذا ..
بل ودر خطة عنقريه ، لنصبح نحن الرابعين في النهاية .
هتفت مستنكرة :

- مع الإسرائيليين .

اجابها وحماسه يتزايد :

- إنهم أوعاد حدثاء ، رضعوا الدهاء مع لبن امهاتهم ،
ولكنهم ليسوا الهة . وخطة (هال) مذهشة . ستجعلهم
يتصورون انهم نجحوا في خداعنا ، واننا لم ننتبه إلى هذا ،
في حين اننا نحن الذين نخدعهم .

سألته (انجريد) في عصبية :

- (بيير) . هل نعرف ما يسعى إليه الإسرائيليون

بالضبط ؟

اجابها بسرعة :

بالطبع . اتوصل إلى عميلنا في المخابرات السوفيتية ،
ودفعه للعمل لحسابهم ضد السوفيت .

قالت في حدة :

- وربما ضدنا ايضا .

اجابها (ثوربال) في حماس :

(هال) توقع هذا ، واتخذ كل ما يلزم لمنع حدوثه ، بحيث
لن يتوصل الإسرائيليون لمعرفة عميلنا السوفيتي هذا قط ،
ويظل اتصالهم به دائما من خلفنا وحديا ، وهكذا نسيطر على
مقاييد الأمور باستمرار .

ادهشها قوله هذا بشدة ، فقالت محتدة :

- عجباً ! . لم تكن مقتنعا أمس بالفكرة نفسها !

ضحك قائلاً .

- أمس يختلف عن اليوم يا اميرتى .

قالت في حلق :

- هذا يبدو واضحا

وكانت تقطع شفتها السفلى باسنانها في غيظ ، وهي

تستطرده :

- سانهض الآن لارتداء ثيابي ، وستكمل مناقشة هذا الامر

في الاجتماع .

اجابها في شيء من المرح :

- بالتأكيد . سانتظرك بشغف يا اميرتى ، فلا ريب عندي في

انك ستكونين فائنة كالمعتاد ، في مكان كهذا .

انعقد حاجباها ، وهي تساله :

- ماذا تقصد بمكان كهذا ؟ .. ان نلتقى في الشركة

كالمعتاد ؟

فوجئت بصوت هادئ يجيب من داخل الحجرة

- كلا .. لن نلتقى في الشركة .

استفض جسدها في علف ، وهي تدبر عينيها إلى مصدر

الصوت ، وارتفع حاجباها في دهشة مستنكرة ، وهي تحدق في

وجه (هال) ، الذي ارتكن إلى الحدار المجاور لباب حجرة

نومها ، مستطرذاً بابتسامة كبيرة :

- لقد اخترت مكاناً مبتكراً هذه المرة .

اعابت سماعة الهاتف إلى موضعها بحركة حادة ، وهي

تهتف في غضب :

- (هال) ! كيف تدخل حجرة يومي بلا استئذان ؟ !

غمز بعينه ، قائلاً :

- لم أستطع مقاومة رؤيتك دون زينة هل تعلمين أنك أكثر فتنة هكذا ؟

صرخت في وجهه :

اخرج الآن .. الآن .

لوح بيده ، وهو يعاير الحجرة ، قائلاً بنفس الانشاسمة الكبيرة

- سأنتظرك على شوق يا امرتى .. لا تتأخري طويلاً .

أعقب الباب خلفه ، وهي تصرخ في غضب هادر

- أيها الوغد .

تسللت السخريّة إلى شفتيه ، وهو يتمتم :

- يا إلهي ! .. إنها تبدو بشعة بدون زينتها .

طال انتصاره لساعة كاملة ، في حجرة الاسطار ، قبل أن تطل

عليه (اجرید) تكامل زينتها ، وهي تقول في حدة

- هل أثبت لإقناعي بالصفقة الإسرائيلية ؟

رفع حاجبيه بهشة مصطنعة ، وهو يقول

إقناعك ! عجباً ! ألم تفتنني بعد يا عزيزتى ؟ لقد

زرت (بيير) و (هانز) أسس ، واقتنعا تماماً ، حتى أن الأخير

اقترح أن يحتفل بتوقيع عقد الصفقة ، فاخترت أنا سرلي

الجبلي للاجتماع والاحتفال معاً .

قالت في عصبية :

كيف يمكننا الوصول إلى مفرك الحلي أيها العذري ؟

الجليد سيغلق كل الطرق الجبلية حتماً :

لوح بكفه ، قائلاً في مرح :

- ومن يحتاج إلى الطرق الجبلية ؟

ثم غمز بعينه ، مستطرداً :

- (هانز) احتار طئراً جديداً بالفعل ، ومازل مهبط

الطائرات يجاور مدرسى اجسى أم أنك نسيت هذا ؟

مطلق عبارته الأخيرة في خبث شديد ، فاعتقد حاجبها في

غضب ، وقالت في حدة :

- إياك أن تشير إلى هذا ثانية .

أحاط كنفها بدراعه هاسناً بصوت أشبه بفحيح الثعبان :

- ولكنني لا أنساه أبداً يا عزيزتى .

صربته بمرعب في صدره بعنف ، فتأوه بالمر ، وهو ينتعد

عنها ، وسمعها تقول في عصبية :

- والآن ماذا لديك لتقوله ؟

سعل لحظة ، ثم أجاب :

- نفس ما قلته لـ (بيير) و (هانز) .

قالت في صرامة :

- لن يفلح هذا معي .

ابتسم في ثقة قائلاً :

- اسمعي ما لدى أولاً ..

ولنصف ساعة أخرى راح يلقي على مسامعها كل ما لديه

والعجيب أنه أثبت براعته كمحام بحق ..

فعندما غادر منزلها معاً ، كانت (اجرید ديلمار) قد اقتنعت

بالصفقة الإسرائيلية الجديدة ..

اقتنعت تماماً ..

* * *

بدت الدهشة على وجه مساعد الطيار ، داخل الطائرة الخاصة ، لزعماء الشبكة الاسكندنافية ، وهو يتابع (ادهم) ببصره قبل ان يغتم :

- اعتقد انك تبالغ قليلاً يا كابتن (زيلمان) . فالتأكد من سلامة المقاعد ووسائل الراحة ، ليس ضمن واجبات وظيفتنا .. مهمتنا هي قيادة الطائرة بحسب .

تجاهله (ادهم) بضع لحظات ، وهو يثبت قرص الاستماع جيداً ، اسفل احد مقاعد الطائرة ، قبل ان يعتدل قائلاً في صرامة :

الطيار الحق يتأكد من صلاحية كل شبر من طائرته ، قبل ان يقلع بها للمرة الاولى .

تنهّد مساعد الطيار ، وهو يتمتم :

- إذن فهذا يحدث في المرة الاولى وحدها .. حمداً لله عباد (ادهم) إلى مقعد القيادة ، وراح يراجع الآلات ، والمؤشرات امامه ، ومساعدته يراقبه في اهتمام ، ثم لم يلبث ان قال مبتسماً :

- يقولون انك طيار حربي سابق .

مط (ادهم) شففيه قائلاً .

هل يحتاج الامر إلى كاتم للصوت ، لمنع تسرب الاسرار هنا ؟

هزّ مساعده كتفيه ، قائلاً :

- بعض الامور لا يمكن إخفاؤها .

ثم مدّ يده إليه ليصافحه ، مستطرداً :

- اصديقاتي يخاطبونني باسم (فريدي) وهذا اختصار (فريدريك) .

صافحه (ادهم) في لامبالاة ، قائلاً في شيء من الخشونة :

- افضل اسم (فريدريك) .

بدت الدهشة على وجه الرجل ، وهمّ بقول شيء ما ، عندما اشار (ادهم) إلى سيارة تقترب ، وقال بلهجة تغلب عليها السخرية :

- لقد وصل السادة .

التفت (فريدريك) إلى سيارة سوداء كبيرة ، قطعت ممر الإقلاع ، حتى توقفت امام الطائرة ، وهبط منها الرجال الثلاثة مع (انجريد) ، وبدعوا يصعدون إلى الطائرة ، وقال (هانز) مبتسماً :

- كيف حالك يا (زيلمان) ؟ هل راقبت لك الطائرة ؟

مط (ادهم) شففيه ، وهو يجيب :

- لا بأس بها .

هتفت (انجريد) في دهشة مستبكرة :

- لا بأس بها ؟ ماذا يقول هذا الوغد ؟

انقسم (هانز) ، قائلاً :

- إنه طيار حربي سابق ، ومن الطبيعي الا تروقه طائرة بسيطة كهذه .

قالت في حدة ، وهي تربط حزام مقعدها :

- وما المطلوب منا ؟ .. ان نحاول استرضاعه ؟

ضحك الثلاثة لقولها ، ثم ضغط (هانز) زرّاً ، فبرز من قاع الطائرة حاجز من زجاج سميك ، فصل كابينة القيادة تماماً عن منطقة الركاب ، واسترخى في مقعده ، وهو يقول :

الطقس رائع اليوم يا رفاق . اعتمد ان هذه الرحلة القصيرة ستعبدنا كثيراً .

أغلقت ابظثرة في عوامة مذهشة . كشف عنها قائدها وحنكته ، في نفس اللحظة التي علق فيها ، ثوردال ، قاذلاً . كان يسعى أن يشاركنا (شسوم ، إياها ، مرمداً قد اتحقنا جميعاً على قول حقيقته

ابتسم (هال) .. وهو يقول :

- اطمئن .. سيلتقي بها هناك .

هتعت (أنجريد) في دهشة :

- كيف ؟

هز (هال) كتفيه ، قائلاً :

لست أدري . لقد بعيت عليه السور داته ، فاحبات بأن سبه وسائله .

ابتسم (ثوردال) في سخرية ، قائلاً :

- أراشكم على أنه سيوصل إلى منزل موسيعة تكفي لإبهارنا .. إنها وسيلتهم دائماً لإثبات القوة .

غمعت (أنجريد) :

- هل تعتقد هذا ؟

كأبوا يتبادلون الحديث في حربة ، حول الصفقة الإسرائيلية . معتمدين على ذلك الحاجر سميل الذي يعصلهم عن كائنية القيادة ، دون أن يتخيل أحدهم لحظة ن سفاعات الأذن ، التي يصعها (أدهم) على أسسه . لم تكن تنقل إليه تعليمات مرج الحصار فحسب ، وإنما تنس إليه أيضاً كل ما يدور بينهم ، من حلال قرص الاستماع ، الذي تحت أسفل أحد المقاعد .

وكان حديثه بالغ الأهمية بالنسبة إليه بحق

لقد تأكد من خلاله من أنهم قد عادوا إلى شاطئهم السابق بالفعل ، في عالم الجاسوسية ..

وأنهم يعقدون صفقة مع الإسرائيليين ، بشأن المحاسرات السوفيتية ..

بل والأخطر أنه عرف أن لهم عملياً في صفوف المخابرات السوفيتية .

وأنه عميل قوى بالفعل ..

وسمع تدفق المعلومات إلى أذنيه ، شعر (أدهم) بالأسف لأن الرحلة قصيرة للغاية ، ولن تسغرق أكثر من نصف الساعة ، مضت بسرعة الشرق ، ولاح المنزل الجبلي ، الذي تحيط به أشجار السرو من كل جانب ، ويمتد على مسافة منه ممر هبوط ، معد خصيصاً للطائرة الخاصة ..

وكما ينبغي أن يفعل الطيار ، ضغط (أدهم) زر جهاز الاتصال الداخلي ، وقال في لهجة جافة :

وصلنا إلى وجهتنا . سيم الهبوط بعد دقائق معدودة . قالها ، وهو بدور حور المكان . ثم يبدأ في الهبوط نحو الممر ، الذي تشارت فوقه بعض قطع الجليد ، التي لم تدجج في إخفائه تماماً ، مما يوحي بأنه هناك من يتولى أمره بصفة منتظمة

وهي هدوء . فثرب (أدهم) بالطائرة من ممر الهبوط ، و .. وفجأة ، انطلقت تلك الرصاصات ..

رصاصة مبهولة ، أصابت الإطار الأمامي المفرد للطائرة ، فافجر بدوى عفيف ، وصرخت (أنجريد) في رعب

- ماذا حدث ؟ .. ماذا حدث ١٩

هتف (هال) فى ارتياح :

- إنه أحد الإطارات .. لقد انفجر .

تشبثت (ثوردال) بمقعده فى رعب ، وصرخت (أنجريد)
ثانية ، فى حين انعقد حاجبا (هانز) فى شدة ، دون أن ينبس
ببنت شقة ..

فبحكم خبراته السابقة كطيار ، كان يدرك جيدا أنه فى هذا
الارتفاع ، ومع حركة الطائرة ، لم يعد التراجع عن الهبوط
ممكناً ..

وإن انفجار أحد إطارات الطائرة ، فى تلك المرحلة
بالتحديد ، لا يمكن أن يعنى سوى امر واحد ..

الارتطام بالممر فى عصف ، وفقدان الطائرة لتوازنها ، و ..
والموت ..

الموت بلا رحمة .

* * *

٤ - هبوط ..

لم يكن التراجع عن الهبوط ممكناً بحق فى هذه المرحلة ..
لقد اقتربت الطائرة كثيراً من ممر الهبوط ، وارتفعت
مقدمتها بالفعل استعداداً لتلامس إطارها الخلفيين مع
الأرض ..

ومن الواضح أن ذلك الذى أطلق النار ، وأصاب الإطار
الامامى ، يعرف الكثير عن مراحل هبوط الطائرات .

وعن عواقب نسف الإطار ، فى هذه اللحظة بالتحديد .
وبكل زعر النيا ، صرخ (فريدريك) ، وهو يحدق فى الممر ،
الذى يقترب فى سرعة مخيفة :

- لن نفلح .. لم يمكننا تعادى الارتطام .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت الرصاصات مرة أخرى
نحو جسم الطائرة ، واخترقته فى عدد من المواضع ، فصرخت
(أنجريد) ثابته ، وابثنى جسدها ، فى محاولة منها لدفن

وجهها بين ركبتيها ، فى حين صاح (ثوردال) .

- إنه هحوم .. بعضهم يحاول النخلص منا

امتقع وجه (هال) ، وهو يهتف فى ارتياح :

- ولكن لماذا .. لماذا ١٢

أما (هانز) فعلى الرغم من دقة الموقف وخطورته ، انحصر
تفكيره فى نقطة واحدة مثيرة ..

كيف يمكن أن يتصرف الطيار الجديد فى موقف هكذا ؟ ..

خبرته تؤكد أن السجاة من هذا الموقف أمر عسير للعاية .

ولكنه ليس مستحيلاً .

وفي نفس اللحظة ، التي دارت فيها هذه الفكرة في رأسه ،
اعتقد حاسماً (أدهم) في شدة ، وحسب إليه عجلة
القيادة ، و (فريدريك) يواصل صراخه :

- مستحيل ! .. مستحيل .

ارتفعت مقدمة الطائرة أكثر فاندفع إطارها الخلفيان نحو
ممر الهبوط . واحتكاك به بالفعل ، ولكن (أدهم) زاد من سرعة
الطائرة ، وقلب حادجها ، وعثر بقدر ثوارنها ، وكأنه يستعد
للإقلاع وليس للهبوط ..

ولستة أمبار كاملة ، انطلقت الطائرة فوق الممر ، على
إطارها الخلفيين محسب ، دون أن ينحصر مقدماتها ،
وصرحات (أنجريد) لا تفعل لحظة واحدة ، و (فريدريك)
يصرخ مرتاعاً :

- ماذا تفعل ؟ .. ماذا تفعل بالله عليك ؟

لم يحب (أدهم) السؤال قط . وهو يدفع عجلة القيادة إلى
الأمام في ببطء مدروس ، ويزيد سرعته أكثر وأكثر
وارتفع الإطاران الخلفيان ثانية عن الأرض ، وبدأت الطائرة
تعلو ، وكأنها تفلح بالفعل ..

وهي أنهار نام ، اتسعت عينا ، فريدريك) ، وعمعم

- مستحيل !

أما (هانز) فقد تألقت عيناها في إعجاب حقيقي ، والطائرة
تفلح ثانية دون أن يلمس إطارها الأمامي الأرض لحظة واحدة ،
وهتفت (أنجريد) :

- هل .. هل نجونا ؟

اعتدل (ثورداال) ، وهو يغمغم مبهوئاً :

- اعتقد هذا ..

وهي حماس ولأده لا يفعل ، نوح (هال) بعينه ، هانفاً

هذا لطيار الحديد رائع

وضغط زر إزالة الحاجز ، أدى بفصلهم عن كابينة القيادة ،

وهو يستطرد :

- سامحك مكافأة خاصة يا (زيلمان) عندما ..

قاطعه (أدهم) في صرامة :

- الزم مقعدك يا سيد (هال) .. الخطر لم يزل بعد .

امتقع وجه (أنجريد) ثانية ، وهي تمتم مذعورة :

- لم يزل بعد .. ماذا ؟ دعك من هذا بأقصى سرعة ،

ولبعد أنراجنا إلى (هلسنكي) !

اجابها (أدهم) بلهجة جافة :

- لم بعد هذا ممكناً .

اتسعت عيناها في ارتعاع ، وحسب اسرع انكمسات في

حلقها ، في حين اعتد حاجب (هانز) في شدة ، وهو يسأل

- لماذا ؟ .. هل أصبحت الموصلة (*) ؟

اجابه (أدهم) :

بل أصيب حزن لوقور وحسربا ، حذر من بصفه حتى

الآن

صرخت (أنجريد)

بصفه ؟ ربما ! هل سيمسقط وسط الحبال ؟

(*) الموصلة جهاز عسقي ، يستخدم لتحديد الاتجاه ، وهي - من

جانب المبدأ - إبره مغناطيسية مغلفة ، متحاذية مع المحاور المغناطيسية

المحيط بالكرة الأرضية ، أي أنها تشير إلى القطبين المغناطيسيين وهذا

القطبان لا يتطابقان على القطبين الجغرافيين

اجابها (ادهم) فى صرامة ، وهو يدور بالطائرة .
- اننا نبدل قصارى جهدنا لتفادى هذا يا سيدي ، ولكن
لا بد وان نجد مكاناً صالحاً للهبوط .

التسعت عينا (ثوردا) ، وعاد يغوص فى مقعده ، ويتشبث
به فى قوة ، فى حين اطلقت (انجريد) شهقة قوية ، وصرخت
فى رعب :

- لا اريد ان اموت الآن .. لا اريد ان اموت الآن .

وامتقع وجه (هال) بشدة ، وهو يغمغم :

- لا .. مستحيل ! .. مستحيل !

وعقد (هاسر) حاجبيه فى شدة نور ان يمس بيوت شفة
كعادته ..

اما (فريدريك) ، فقد تعلقت عيناها بمقياس الارتفاع ، الذى
يشير إلى انخفاض المخزون بسرعة مخيفة ، وسأل (ادهم) فى
شحوب :

- ماذا يفعل يا كابتن ؟ لا يوجد مكان واحد فى الجوار
صالح للهبوط . كلها منحدرات معطاة بالجليد ، وساحات
لممارسة رياضة التزلج .

التقى حاجبا (ادهم) اكثر ، وهو يفحص المنطقة كلها
ببصره ، قبل ان يحرف بالطائرة بعنة ، قائلاً فى حزم
- فليكن القول الماثور يقول : ان لم تجد ما تحب ، فاحب
ما تجد .

سأله (فريدريك) فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟

لم يجب (ادهم) هذه المرة ابضاً ، ولكنه بدا مرحلة الهبوط

بالفعل ، متجهاً نحو المنحدرات المعطاة بالجليد ، فصرخت
(انجريد) :

- ماذا يفعل هذا المجنون ؟ ماذا يفعل ؟

وعلى الرغم من صراخها ، واصل (ادهم) هبوطه ، وعينا
(فريدريك) تتسعان فى رعب أكثر و أكثر ، وهو يغمغم
- لا يوجد شبر واحد مستقيم . كلها منحدرات يا كابتن ..
لا يوجد شبر واحد صالح للهبوط .

تجاهل (ادهم) كل ما يحدث حوله ، وواصل هبوطه نحو
المنحدر الجليدى ، المعد لرياضة التزلج ، فاحتسست انفاس
الجميع فى رعب هائل ، وتعلقت عيونهم بالنوافذ ، التى تنقل
إليهم مشهد الجليد الأبيض الممتد إلى ما لا نهاية ، والذى يقترب
بسرعة مخيفة ، و ..

ولامس الإطاران الخلفيان الجليد ..

وواصلت الطائرة هبوطها ..

وانخفضت مقعمتها ..

انخفضت أكثر مما ينبغي ، لتلامس المنحدر ..

وصرخت (انجريد) فى عنف ، مع تلك الارتجاجة التى
صاحبت لحظة التلامس ، ثم تحوكت صرختها إلى ما يشبه
النواح ، عندما بدأت الطائرة انزلاقها فوق المنحدر بسرعة
كبيرة ..

وبكل الرعب فى أعماقه ، صرخ (ثوردا) :

- ماذا تفعل بنا أيها المجنون ؟

ومرة أخرى ، تجاهل (ادهم) ما حوله ، وركز تفكيره كله
فى السيطرة على الطائرة ، التى واصلت انزلاقها السريع ، كما
لو كانت زلاجة ضخمة ، و (فريدريك) يهتف مدعوراً :

ومادا بعد ١٠ ستواصل انطلاقها حتى ترتطم بالأشجار
 أجابه (أدهم) فى حزم :
 - لن نصل إلى الأشجار .
 سألته فى توتر شديد :
 - كيف ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يمسك عجلة القيادة فى قوة
 هذا المنحدر ينتهى بنجيرة كسرة ، يتجمد سطحها فى
 المعبار ، فى هذه الفترة من السنة ، وسنصل إليها قبل أن تسع
 منطقة الأشجار .

انقض جسد (فريدريك) ، وهو يهتف :
 حصل إليها ؟ هل تعتقد أن هذا كاف لإفادنا ؟ أنت
 وأهم يا رجل . بالسرعة أنتى مطلق بها ، سرتطم بسطح
 النجيرة ، وحطمتها ، ونعوض فى أعماق الماء المثلجة ، حتى
 نبقى حنينا

قال (أدهم) فى صرامة :

- لن يحدث هذا .

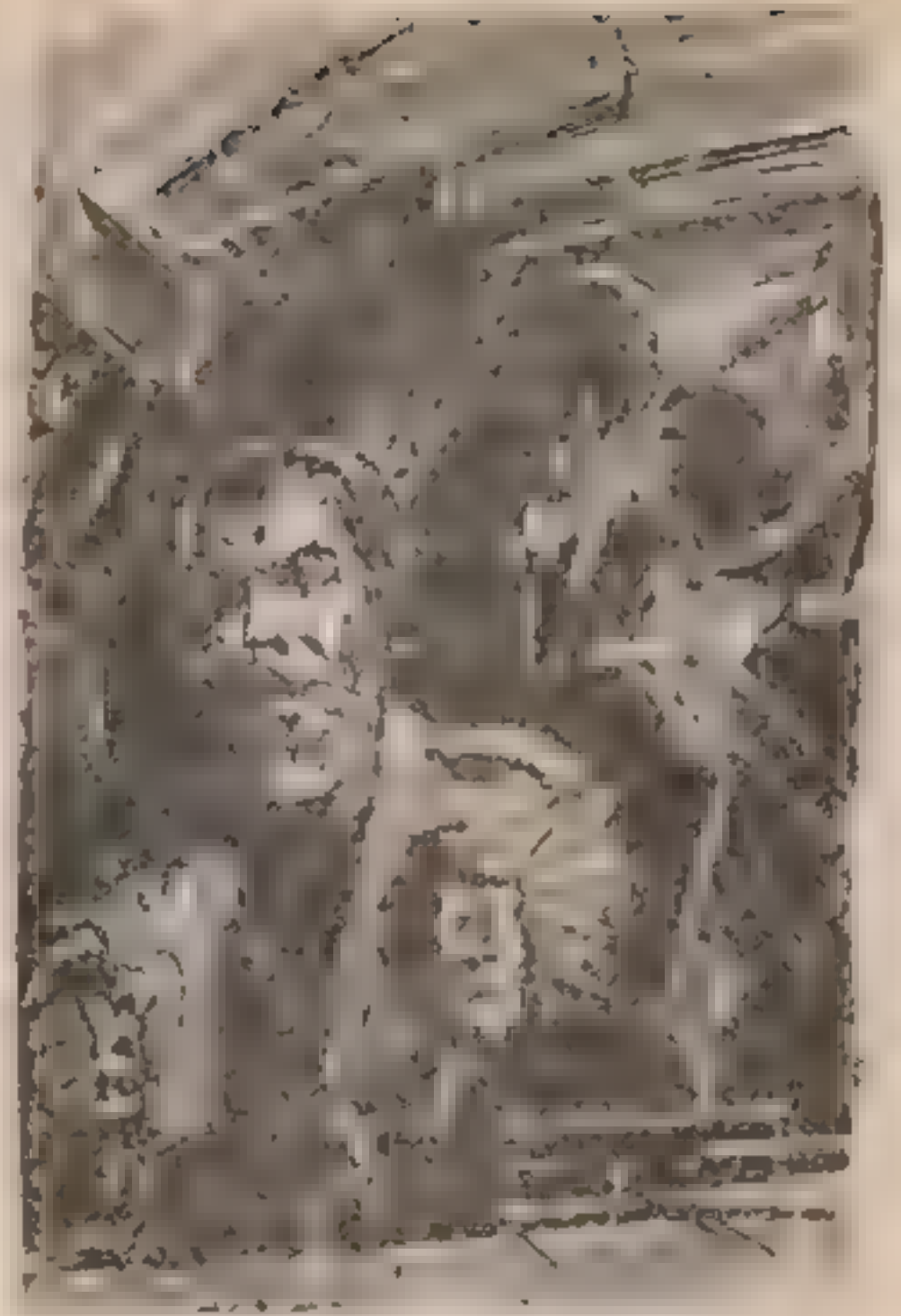
هتف (فريدريك) :

- وكيف ؟ .. أنا واثق من أن .

قاطعه (أدهم) فى صرامة أكثر :

- اصمت يا رجل . لا وقت لى لمحاورتك . اصمت .

ابتلع (فريدريك) لسانه فى توتر ، وراقب الموقف فى دعر ،
 والطائرة تواصل انزلاقها المحيف فوق الحليد ، حتى لاحت
 النجيرة من بعد ، فحس (فريدريك) أنفاسه ، وراح قلبه
 يحقق فى عصف شديد ، فى حين ازداد انعقد حاجبى (أدهم) ،



ومرة أخرى نجاهل (أدهم) ما حوله
 وركز تفكيره كله فى السيطرة على الطائرة .

وتمتعت شهاب بهمسبات غير مسموعة ، وبده تتجه نحو احد
الأزوار في لوحة القيادة ، و ...

وفي اللحظة المناسبة بالصسط ، ضغط (ادهم) الزر .
وابطلقت من مؤخرة الطائرة مظلات الطوارئ (٥) ..
كلها ..

ومع انطلاقها ، شات مقاومة مباغتة للهواء ..
وانخفضت سرعة الطائرة ..

انخفضت في نفس لحظة انتقالها ، من المحرر الجليدى ،
إلى سطح البحيرة المتجمد المستقيم ..

وارتجت الطائرة في عصف ، عندما لامس إطارها الأمامى
المفجر سطح الجليد ، وتشقق جزء من السطح المتجمد
أسفلها ، إلا انه لم ينهر ، فواصلت طريقها بسرعتها الجديدة
فوق البحيرة ، وأدار (ادهم) عجلة قيادتها في بطة وحذر ،
وهو يجنب فراملها في رفق مدروس ..

وانسعت عيننا (فريدريك) في رعب ، وصرخت (أنجريد)
نابية ، والطائرة اتخذت مساراً مائلاً ، منزلقة نحو نهاية
البحيرة ، حيث منطقة الأشجار المرتفعة ، التى راحت تقترب ،
وتقترب ، وتقترب .

ثم تجاوزت الطائرة سطح البحيرة ..

تجاوزته متجهة نحو الأشجار العالية المتقاربة ، وارنطم
جناحها شجرتين متجاورتين ، وجسمها يعمر بينهما ، فنحطت

(٥) فى بعض أنواع لطائرات ، يتم ترويد جهاز الطوارئ معند من
المظلات التى تفتح عند الاحتياج إليها لمخفف سرعة الطائرة على ممر
الهبوط ، إذا ما دعت الحاجة لهذا ، وعلى انطيار أن يطلق العدد المناسب من
هذه المظلات وفقاً لتقديره .

الجناحان في عصف ، وتطايرت شظاياهما فى كل مكان ، فى حين
مالت المقعدة ، وارتجت الطائرة فى قوة ، ثم مالت قليلاً ، و ...
وتوقفت ..

ولتوازن ، ران على الطائرة كلها صعت رهيب ، قبل أن يقطعه
(ادهم) وهو يقول فى هدوء تشويه لكتة ساخرة :

- محطة الوصول أيها السادة . نشكركم على ربط الأحزمة
والامتناع عن التدخين .

هتفت (أنجريد) :

- هل .. هل نجونا ؟

صرخ (هال) :

- بالتأكيد .. ألم أقل لكم إن هذا الطيار الجديد رائع ؟

غمغم (فريدريك) ، وهو يطلق زفرة متوترة .

- بل هى معجزة .

ارتسمت على شففى (ادهم) ابتسامة ساخرة ، وهم
يحيطون به ، ويهينونه بمراعاته فى الهبوط ، ويمتدحونه لإنقاذ

حياتهم ، وعقله يحمل فكرة لا يمكن أن تخطر ببال أحدهم قط .

فكرة تقول : إن هذه كانت أصعب مراحل الخطة ..

أصعبها على الإطلاق ..

تحرك مدير المخابرات المصرية فى مكتبه بقوتر شديد ، وهو
يفرك كفيه فى عصبية ، ووقف يتطلع لحظة إلى فناء من أفنية

مبنى المخابرات ، فى (حدائق القبة) ، وعقله يحمل ألف سؤال
وسؤال ، حتى ارتفع صوت مدير مكتبه ، عبر جهاز الاتصال

الداخلى ، وهو يقول :

- اخبار جديدة من (هلسنكي) يا سيدي .

اندفع المدير نحو جهر الاتصال ، وضغط زرر قائلاً

- إلى بها بسرعة يا رجل .

عبر الرجل الباب الذي يفصلهما ، وقدم له تقريراً مطبوعاً .

وهو يقول بابتسامة ارتياح :

عملية الهبوط تمت بسلام ، والجميع عادوا إلى العمل .

اننى يقيم فيها (هال) ، ومنحوا سيادة العقيد (ادهم) مكافأة

مالية ضخمة .

قرأ المدير تقرير في لهفة ، ثم تنهد في ارتياح ، قائلاً

- حمداً لله .. كانت اصعب جزء من الخطة .

قال الرجل :

- وتخطوى على محاطرة كبيرة !

أوما المدير برأسه موافقاً . وعاد إلى حيف مكتبه ، وهو

يقول

- كل جزء من عملنا يتخطوى على محاطرة كبيرة

قال مدير مكتبه مبهوراً :

ولكن هذا العمل بآداب كان يتخطوى على محاصر شتى

إطلاق النار على إطار الطائرة ، وحرائر وقودها ، ولا عيب

نمافاً على مهارة سيادة العقيد (ادهم) ، وقدرته على التعامل

مع الطوارئ - الا يبدو هذا مبالغاً إلى حد ما ؟

ابتسم المدير قائلاً :

هذا ما يدعى أن يكون بالصيغ حطبا الرئيسية كانت

تعتمد على فعل هذا في مكان آخر ، ولكن (ن - ١) ، أطلع في

الصباح أنهم سينجسون إلى منزل (هال) الجبلى ، وطلب

تعديل الخطة ، بحيث يحدث الهجوم بوهى هناك ، فهذا كفيل

بمحو أية دقة من الشك في أمره ، وإلغاء ظن من الثقة به في

قلوبهم ، وخاصة بعد أن ينفذ حياتهم .

سأله الرجل :

- ماذا لو أنه مثل في هذا ؟

تنهد المدير ، قائلاً :

- كانت ستصبح خسارة فادحة بحق .

ثم عاد ينتسم ، مستطرداً :

- ولكن مع رجل مثل (ن - ١) ترتفع احتمالات النجاح

لتفوق كثيراً احتمالات الفشل - ثم إن أحداً من رجال الشبكة

الاسكندنافية ، أو حتى من الاسرائيليين ، لا يمكنه أن يشك

لحظة واحدة في أمر (ادهم) ، أو في أن ما حدث مجرد خطة

مفعلة ، فالوسيلة انى ثم بها الأمر ، لا يمكن إلا أن

يحرروا (ادهم) قد أنقذ حياتهم بالفعل ، وسيديسون له

بالفضل لفترة طويلة .

علق الرجل ، قائلاً :

- لا اعتقد أنها ستكون طويلة ، مادام سيادة العقيد حلقهم .

تنهد المدير ، وشرود بصره قليلاً ، وهو يقول

- انعشدها يا رجل ، فاعلمنا من هذه اللحظة نقطع

صلتنا عملياً بـ (ن - ١) وتبدأ مرحلة الارتجال .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في قلق واضح :

- ومرحلة الخطر الحقيقي .

قالت وعد ستعطى تقرير الموضوع ، وانشق في اعماقه

بنضاعف .. وبنضاعف .. وبنضاعف

* * *

انعقد حاجبا الإسرائيلى (مائير شالوم) بشدة ، وهو يستمع إلى (هال) ، الذى راح يروى له فى حماس حادث المنزل الريفى ، وكيف نجح الطيار الجديد فى الهبوط ، وهى إقناذ حياتهم بمعجزة ، ولم يكذ (هال) ينتهى من روايته ، حتى سألته (شالوم) فى اهتمام :

- كيف يبدو هذا الطيار الجديد ؟ ومن أين أتى ؟

أشار (هال) بذراعيه وهو يقول :

- إنه طويل ، عريض المنكبين ، أشقر الشعر . كث اللحية والشارب ، له عيبان زرقاوان ، وهو المائى الجنسية ، اسمه (أدولف زيلمان) ، كان يعمل فى السابق فى شركة (لوفتهانزا) ، ثم فصلوه من العمل .

كرّر (شالوم) :

- (أدولف زيلمان) . المائى شركة (لوفتهانزا) . عظيم . تطلع إليه (هال) لحظة فى دهشة ، قبل أن يسأله :

- ماذا هناك يا (شالوم) ؟ تشكّ فى هذا الرجل الذى أمقذ

حياتنا ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (شالوم) وهو يقول .

- لقد أمقذ حياتكم ، ولم يقد حياتى أنا .

هزّ (هال) رأسه فى بطة ، وهو يغمغم :

- يا لك من نخب حذر !

أجابته (شالوم) :

الحذر هو الذى أبقي على حياتى ، حتى بلغت هذا

العمر يا رجل .

ثم أشار بيده ، مستطرذا :

ولكن دعنا من طياركم الحديد هذا ، وبراعته المدهلة ، وأخبرنى .. هل اتحسم امر الصفقة .

أجابته (هال) فى حماس :

- بالطبع .. أخبرتك أنتى قادر على إقناع الجميع .

ابتسم (شالوم) ابتسامة باردة ، وهو يقول :

- عظيم .. متى يمكننا بدء التعاون إذن ؟

أجابته بسرعة :

- فوراً لو أريدت .

تراجع (شالوم) وأطلّ من عينيه بريق أشبه بدئب حقيقى ، وهو يسأل :

- أتعنى أنه بإمكاننا الاتصال بعميلكم السوفيتى على الفور ؟

قهقه (هال) قبل أن يلوح بيده قائلاً :

- ألا تملّ أبداً يا (شالوم) ؟ ! أخبرتك من قبل أن الاتصال

بعميلنا السوفيتى لن يتم إلا من خلالنا .

ومال نحوه مستطرذا :

- لم إكم لم تدفعوا المبلغ المتفق عليه بعد .

التقط (شالوم) نفساً عميقاً ، ورمقه بنظرة طويلة ، قبل أن

يقول :

- لست أظنكم تتوقعون الحصول على المبلغ كله فوراً

بدا الغضب على وجه (هال) ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟ ! ألم نتفق على ...

قاطعه (شالوم) بسرعة :

سنحصلون على المبلغ كاملاً في النهاية بالطبع وأعسى
الملايين الثمانية كلها ، ولكن ..
توقف عند هذا الحد ، وعاد يتطلع إلى وجه (هال) ، الذي
سأله في عصبية :

- ولكن ماذا ؟

ابتسم (شالوم) قائلاً :

- إيسا يهود يا عزيزي (هال) ، وطبيعيتنا تصعبنا من دفع
سنت واحد ، قبل أن يثق من أنه سيتحده إلى هدفه
قال (هال) بعصبية أكثر :

- هل لك أن توضح ما ترمي إليه ؟

أوما (شالوم) برأسه مرتين ، قبل أن يتطلع إلى عينيه
مباشرة ، قائلاً :

نريد عينة أولاً يا (هال) .. شيء يوضح أسلوب التعامل
وفاعليته .

التقى حاجبا (هال) ، وهو يقول :

- مثل ماذا ؟

هز كتفيه ، مجيباً :

بعض المعلومات من المخابرات السوفيتية مثلاً

هتف به (هال) :

هل تمزح ، أم ماذا ؟

عاد (شالوم) يهز كتفيه ، قائلاً :

- مطلقاً هذا يحدث في كل الصفقات ، في العالم أجمع .
نريد أن نطلع أولاً على كفاءة وجودة ما لديكم ، ثم ندفع
المطلوب دون مناقشة .

أشار إليه (هال) ، وهو يقول في حدة :

أسمع يا رجل لو تصوّرتم أننا سنعنحكم بعض

المعلومات المجانية ، فأنتم ..

قاطعه (شالوم) بسرعة :

- ومن تحدثت عن معلومات مجانية ؟ : .. إنما سنمنحكم
مليون دولار في البداية ، ثم نحصلون على الباقي بعد مراجعة
المعلومات ، التي سنحصرها عميلكم السوفيتي .
تطلع إليه (هال) لحظة في شك ، ثم سأله في عصبية :

- مليون دولار للشبكة ، أم ..

لم يتم عبارته ، ولكن (هال) فهم ما يرمي إليه ، فابتسم في
خبت ، وهو يجيب :

- سيدفع ثلاثة ملايين بالطبع مليونين للشبكة ، والثالث
سودعه في حسابك الخاص في (سويسرا)

هز (هال) رأسه ، قبل أن يغمغم :

- أم .. هذا أفضل بالتأكيد ..

ثم عاد يشير إليه مستطرداً في صرامة :

- ولكن عليكم أن نعملوا جيداً أننا لن نقبل أية شروط
أخرى .

ابتسم (شالوم) مغمغماً :

- بالتأكيد .

ثم أشار بيده ، مضيقاً :

- هل تحصل على الشيكين الآن ؟

تألفت عينا (هال) ، وهو يجيب :

- بالطبع .. بالطبع .

استغرق الأمر نصف ساعة أخرى ، لحسم الأمور المالية ، ثم
انصرف (هال) حاسداً لشيكيين ، ومطاً (شالوم) شعفيه ،
متمتماً :

- جشع .. جشع وغبي .

ثم لوح بيده على نحو حاص ، فبرز أحد رجاله من الحجرة
المجاورة ، وقال له (شالوم) :

- ذلك الطيار الجديد (أدولف زيلمان) .. أريد منك أن تجمع
أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه .

سأله الرجل في اهتمام :

- هل تشك في أمره يا سيدي ؟

أوما (شالوم) برأسه إيجاباً ، وقال :

- بالتأكيد - قلائل هم من يمتلكون مثل مهارته التي
يتحدثون عنها . ثم إنه الماني ، ونحن بشك في كل الماني ، منذ
(هتلر)^(*) ، وظهوره المفاجئ في عالم الشبكة الاسكندنافية يثير
قلقاً .

قال الرجل في سرعة :

- إنه لم يظهر فجأة يا سيدي - لقد أعلن السيد (هانز
جوردان) عن اختصار للطيران وللطيارين الجدد ، و .

قاطعه (شالوم) :

- أعلم هذا يا رجل . أعلم أن كل شيء مناسب ومنطقي تعاملاً ،
ويسير على نسق لا يمكن أن ينطرق إليه الشك ، ولكنني كرجل

(*) عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، اعتقل (أدولف هتلر) آلاف
اليهود ، لاقتناعه بأن حشعهم واستغلالهم كان السبب الرئيسي لهزيمة
(ألمانيا) ، في الحرب العالمية الأولى .

مخبرات قديم ، اعتدت أن أشك في أصابعي ، لو أنها انتطعت
على نحو شديد الثقة ، فحيراني علمتني أن الحذاء الطبيعية
تحتوي في المعتاد بعض الأخطاء البشرية ، أو القصور الأدبي ،
حتى أنني لم أتوقع منها العكس قط .

قاسها ، وصغت لحظة ، ثم انعقد حاحاه ، وهو يتابع

- ثم إن وقوع حادث عارض للطيار السابق ، وإصابته بكسر
في ساقه ، واصطرار (هانز) بسحت عن طيار آخر ، في هذا
التوقيت بالذات ، كلها بدأت تثير في نفسي الشكوك .

وشرد لحظة ، ثم أضاف

- وعندما تشتعل بيران أشك في أعمامي ، لا توجد وسيلة
لإطفائها سوى المعلومات ، المعلومات والحقيقة الحقيقة
وحدها .

وعندما مطلق عبارته الأخيرة ، كان بالفعل يشبه الدث
الذئب المهترس .

* * *

٥ - الخطوة التالية ..

مط (ثوردال) شفّته ، وهو يجلس حول مائدة الاجتماعات في مبنى الشركة ، ولوّح بيده ، قائلاً :

كلاً يا (هانز) . هذه الخطوة تبدو لي متسرّعة للغاية .. لا يمكن أن تعرض على ذلك الطيار الانضمام إلينا صراحة ، مجرد أنه أنقذ حياتنا . هذا امر وذاك امر آخر تماماً .. إنه يارع في قيادة الطائرة ، وكلنا نشهد له بهذا ، ولقد منحناه مكافأة مجزية ، ولكن ماذا لو انه لا يعمل لمجال الجاسوسية ، او أنه يعمل بالفعل لحساب آخرين .

قال (هانز) في صرامة :

شكوكك لا مجال لها يا (بيير) . الرجل يروق لي منذ البداية . واعتقد انه يناسب ما نحتاج إليه بالضبط .. هل نسبت عملية طائرات (القاسوم) الجديدة ؟ . سنبحتاج حتماً إلى طيار يارع من أجلها ، وانت تعلم ان هذا ما خططنا له ، عندما طلبنا طياراً بمواصفات خاصة .

لتخلّ (هال) ، قائلاً :

هذا صحيح يا (هانز) ، ولكن لا داعي للعجلة .. الرجل موجود ، والرائب ابدي يتفحصنا لن يجعله يتخلّى عنا بسهولة . دعنا ندرسه أكثر ، وبختبره مرة ومرة ، قبل أن نكتشف امرنا امامه هكذا .

انعقد حاجسا (هانز) ، وكأنما لا يروق له ما يسمعه ، ثم التفت إلى (أنجريد) قائلاً :

- ما رأيك ؟

هزّت كتفها ، وارتسمت على شفّتها ابتسامة عابثة ، وهي تجيب :

إنه وسيم للغاية .

ثم انعقد حاجسا في صرامة مبالغ ، وهي تضيف :

ولكن انضمامه إلينا بهذه السرعة امر آخر

زفر (هانز) في حلق ، وقال :

- فلنكن .. من الواضح أنني لن أربح هذه المعاشية قط

سنتظر بعض الوقت ، قبل أن نفتح (ريلمان) بالامر

تراجع (هال) بمقعده ، وهو يقول :

- عظيم . هذا يطرح مشكلة (ريلمان) جانباً ، وبصعنا امام

النقطة التالية في جدول الأعمال . ما رأيكم في المطلب الإسرائيلي ؟

عقد (ثوردال) حاجبيه ، وهو يقول :

- لقد تمانوا كثيراً حقاً .. لماذا يتعاملون معنا ، ماداموا غير

واثقين من كفاءتنا .

واندفعت (أنجريد) تقول في حدة :

- لقد حنّرتكم منذ البداية .

هبّ (هال) يقول في سرعة ، محاولاً تهدئة الموقف

- إنهم لم يطالخوا بأمر شاد يا رفاق . هذا إجراء طبيعي ،

بالنسبة لموقف كموقفنا المبلغ صخيم ، ولابد ان يتأكدوا من انهم سيحصلون على المقابل المشهود .

بدا الغضب على وجوههم لحظة ، وسال (هانز)

- وما المطلوب منا بالضبط ؟

هزّ (هال) كتفيه ، مجيباً :

- بعض المعلومات ، عن المخابرات السوفيتية .

سأله (ثوردال) :

- أية معلومات ؟

أوما (هال) برأسه إيجاباً ، وقال :

نعم ، أية معلومات . إنهم فقط يحاولون التأكيد من

فاعلية عميلنا هناك .

تبادلا البطرات الصامدة يصنع له ذات . ثم قالت (انحرمد) :

- هل سكر أعطهم اجر ما وجد . من عميلنا السوفيتي

هز (هال) رأسه بغيثاً ، وقال :

هذا لا يصلح با عز ربي . أشعمون ، اتصل بي في الصباح

الباكر ، وطلب معلومات محدودة ، لتحديد مدى براعة العميل

والفائدة المرجوة منه .

تبادلا البطرات مرة أخرى ، وعممت (انحرمد)

- لست أشعر بالارتياح لهذا .

قال (هانز) :

ولا يوجد ممرٌ لشك فيه أيضاً . دعونا نطالب هذه المعلومات

الحديثة من عميلنا السوفيتي ، وبكبر قدر ممكن من الحذر

قالت في حدة :

احشوني يراقبوا اتصالنا به ، ويمكنهم تحديد موقعه

وهو يته بالضغط .

أجابها (ثوردال) في ثقة :

هذا مستحيل يا أميرتي . إنما ننت رسلتنا عن طريق

الأقمار الصناعية ، من أقصى الاتحاد السوفيتي إلى أقصى

واي شخص يمكنه التقاطها .

وأشار (هال) بسبائته ، مصفاً

- ألمهم أن يعهم ما تعنيه ،

مطت شفتيها ، وهي تهز رأسها ، مغفمة :

- لا بأس .. أقيم أكثر رواية مني بهذا .

أدارا (هال) عن يمينه من وحوشهم ليصيح من أمه قد ربح

جولته ، قبل أن يقول في ارتياح تام :

- عظيم .. فليطلب المعلومات في عميلنا إذن .

قالها بكل ثقة ، دون أن يتصور لحدة واحد ، أنه ، وبكل

دكانه وحذره ، قد وقع في الفخ الإسرائيلي ..

وقع فيه حتى النخاع ..

* * *

أطلق (فريدرت) من عيني أعماق صدره رهرة حارة ،

وتلعلل في مجلسه ، وهو يقول في ضجر :

أعترف أنك قد أنقذت حبيبنا في براعة يا كاس ، زيلمان ،

ولكن تحطم الطائرة أمر يؤسف له بحق .

أجابه (انهم) في هدوء :

- التامين سيتكفل بكل الخسائر .

ابتسم (فريدرت) وهو يقول :

- المشكلة ليست مشكلة بامرٍ . إنها مشكلة وقت الفراغ .

المثل الساشي عن عدد وحود عمل ما ، لا ينفذ انطيراناً بك عليك

أجابه (انهم) في شيء من الجرود :

- الطائرة تحطمت أمس فحسب

هز (فريدرت) كتفيه ، وقال :

- وعلى الرغم من هذا فانا أفتقد لها بشدة .

مط (أدهم) شفتيه ، ونهض قائلاً :

- مادام لا يوجد عمل ، فلا داعي للجلوس هنا .

سأله (فريدريك) فى دهشة :

- إلى أين ؟

أجابته (أدهم) وهو يعاين المكان :

- سأتجول قليلاً فى المدينة .

هتف (فريدريك) :

ولكن السيد (هاسر) طلب منا ألا نعاين المكان ..

وبالتحديد أنت .

تجاهل (أدهم) انقور تماماً ، وهو يصفق الباب خلفه فى

خشونة ، ويبعد فى خطوات سريعة ..

لم تكن شخصية المسهر الفط تشبه من قريب أو بعيد -

شخصيته الحقيقية . إلا أنها كانت تناسب تماماً الطيار الألماني

الهارب من (ألمانيا الشرقية) ، والذي لم يصادف نجاحاً فى

عالمه الجديد ، على الرغم من براعته وقدراته ..

ثم إنها كانت سبباً جيداً لتحركاته الخفية

فى الوقت الذى تصور فيه (فريدريك) أن (أدهم) يخالف

أوامر (هاسر) فى استهتار ، كان بطناً يستقل السيارة

الصغيرة ، التى استأجرها بصورة عسبية ، ويطلق وكأنه فى

طريقه إلى قلب المدينة ، إلا أنه لم يلبث أن انحرف عن مساره

بغنة ، واتجه مباشرة إلى حى الأثرياء ، على مشارف (هلسكى)

لم يكن طراز السيارة الصغيرة يناسب ذلك الحى ، الذى بنت

فصلاته الفاخرة أشبه بالقصور ، لذا فقد أوقفها خارج المكان ، فى

منطقة مبعرة تماماً ، وتلفت حوله فى حذر ، حتى تأكد من أن

أحدًا لا يراقبه ، ثم انخرع عن وجهه ذلك القناع الدقيق ، الذى
يحمل وجه (أدولف زيلمار) ، وثنت على وجهه قناعاً آخر بوجه
مختلف ، قبل أن يعاين السيارة ، ويسير فى خطوات سريعة
واسعة ، عبر الشوارع الواسعة الهادئة ، وكأنما يعرف هدفه
بالتحديد ..

وبعد عشر دقائق من السير المتصل ، بلغ الهدف .

الفيلا التى يقيم فيها (باتون هال) .

كان الحديث الذى استمع إليه فى السيارة ، يؤكد له أن (هال)
هو العقل المدبر للشبكة الاسكندنافية ، وأن المكان الوحيد ، الذى
يمكن العثور فيه على أية معلومات إصافية هو منزله ، أو مكتبه
فى الشركة ..

ولأنه ترس خريطة المنزل ، وراجعها مرتين على الأقل ، وهو
يستقل الطائرة ، من (القاهرة) إلى (لندن) ، فقد كان يعلم جيداً
أن الفيلا تصم ثلاثة من الحراس ، ونظام إدار متطوراً ، يجعل
اقتحامها أمراً صعباً للغاية ..

بالنسبة لشخص عادى ..

أما بالنسبة لمحترف مثله ، فهناك دائماً وسيلة

ومدخل لى نظام أمنى ، مهما بلغ تعقيده ..

وفى هدوء ، ضغط (أدهم) حرس بوابة الفيلا ، ووقف

ينتظر ، كما ينبغي أن يفعل أى زائر عادى ..

ولثوان ، بدا وكأن الفيلا خالية تماماً من البشر ، ثم لم يلبث

رجل قصير بدين أن ظهر عند بابها ، وتطعم إلى (أدهم) عبر

الحديقة ، ببطء معمة بالشك والقلق ، قبل أن يضع طرف جهاز

اتصال داخلى ، ويقول :

- من أنت ؟ .. وماذا تريد ؟

أحانه (أدهم) فى بسطه ، وبلعة فريسة سليمة

- أنا هنا لإلغاء بطرة على الفئلا ، قبل أن أشتريها

هتف ارجس فى دهشة وهو يحسنه بفريسة ركيكة

- تشتريه ؟ - ومن قال إن الفئلا معروضة للبيع ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

الإعلان ذلك الإعلان فى صحيفة الـ الـ لست أذكر

اسمها فى الواقع ، ولكنى أذكر الإعلان فيلا للبيع السداد

هورى ائمن معر لعاية البست هذه كصاكنم

مدت الحيرة على وجه الرجن واستدار بهتف مباديا رصيله

الذى أسرع إليه ، يسأله عما يريد ، فقال :

هل تحب الفريسة ؟ هذا الرجل هال يقول شيئا عن

الفئلا ، اظننى لا أجيد فهمه جيدا .

انتقلت حيرته إلى رصيله ، السى أحاب فى حشوة .

مادمت لا يفهم ، فاطرده على الفور . هذه أوامر السيد

(هال) .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وقال فى غضب ، وهو يعدّ بده

ليقتض على أحد قضبان البوابة المعدنية :

- اسمع يا هذا .. إبنى ..

صاح أحد الرجلين فى جزع :

- لا .. لا تفعل هذا .

وصرخ الثانى :

- احترس .

ولكن تحذيريهما وصلا يعد فوات الاوان ..

لقد قصص (أدهم) على البوابة المعدنية بالفعل .

قنض بأصابعه على أحد قضبانها ، الذى يسرى فيه تيار

كهربى قوته ثلاثة آلاف فولت (*) ..

وامام عدون الرجلين ، جحطت عينا (أدهم) ، واسطقت من

حنقه شهقة قوية ، وراح جسده ينقص فى عصف

وصرخ أحد الحارسين :

- رباء .. إنه لم ينتبه إلى التحذير .

ومع آخر حروف كلماته ، انهار حسد (أدهم) امام البوابة

المعدنية للفئلا ..

البوابة التى يسرى فيها تيار كهربى ..

وبقوة ثلاثة آلاف فولت .

* * *

توقفت (احريد) امام المرأة الكبيرة فى حشرتها ، تتحسس

شعرها فى عناية ، وتطمش على دفء زبنتها . قبل أن ترفع أحد

حاجبيها وتحفضه فى إعجاب مرجسى ، ثم تخرج إلى الردهة ،

حيث يجلس (نوربال) فى انتظارها ..

كانت تحمل على شفتيها ابتسامة كبيرة ، وهى تتوقع رد

فعله ، عندما يراها فى ذلك الثوب الأبيض الجديد ، ولكن

حاجبيها انعقدا فى ضيق ، ذهبت معه ابتسامتها ، عندما راته

(*) الفولت = وحدة قياس القوة الدافعة الكهربائية ، ويعرف الفولت

الدولى بأنه القوة الدافعة الكهربائية ، التى تولد تيارا قدره (امبير) بولى

واحد ، إذا أثرت على موصل مقاومته (اوم) بولى واحد ، وتقاس القوة

الدافعة الكهربائية بواسطة جهاز خاص ، اسمه (الجلفانومتر)

يقف شاردًا أمام الباهدة ، يراقب الحديقة الكبيرة ، فاتجهت إليه ، وسالته في توتر - فبم تفكر ؟

التفت إليها في نطه ، ورفع كاسه إلى شففيه ، وارتشف منه رشفة ، قبل أن يجيب :
- هناك أمر يقلقني بشدة .

قالت وقد ضابقتها أن يحمل معه مخاض العمل إلى منزلها - أهو أمر المصفة الإسرائيلية ؟

هز رأسه نفيًا ، ولوح بكاسه ، قائلاً :

كلاً هذا الأمر لم يعد يقلقني على الإطلاق
أحبها قوله بشدة . وعممت - ماذا يقلقك إذن ؟

تنهد في قوة ، وشرد ببصره لحظة أخرى ، قبل أن يجيب - (أدولف زيلمان) .

انعقد حاجباها ، وهي تقول في شيء من العصبية - كنت أظننا حسنا أمره بالفعل .

لوح بسنابته ، وارتشف رشفة أخرى من كاسه ، وقال

لست أتحدث عن رغبة (هانز) في صمعه إليها ، وإنما عن الرجل نفسه . هال أمور تجعلني قنفاً من ناحيته جنب حديثه اهتمامها وانتباهها ، فسالته :

- مثل ماذا ؟

تنهد مرة أخرى ، وقال :

- عندما كنا في الطائرة ، ألقى عليه (هال) سؤالاً ، فاجابه مباشرة ، وخاطبه باسمه ، على الرغم من أنه لم يتفق به من قبل

قط ، والمفترض أنه لا يعرف منا سوى (هانز) خاصة وأن أحداً لم يقدم نفسه له أبداً .

انتقل إليها قنقه وشكه ، فالتقى حاجباها ، وهي تتمتم

- من المحتمل أنه سمع أحداً يخاطب (هال) باسمه ، في أثناء ركوبنا الطائرة .

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول في توتر :

- ربما . وإن كنت لا أذكر أن أحداً قد خاطب الآخر باسمه

قط ، حتى تم رفع الحاجز العازل للصوت .

وارتشف رشفة أخرى من الكاس ، مستطردًا :

- ثم إن هذه ليست نقطة الشك الوحيدة .

امسكت كفه في أفعال ، وهي تسال :

- ماذا هناك أيضاً ؟

لوح بيده ، مجيباً :

- المفترض أن (ريلمان) هذا المائي الجنسية ، وأن هذه أول

زيارة له إلى (فيلدا) . وعلى الرغم من هذا فقد كان يعرف

طريقه جيداً ، وهو يطود الطائرة إلى المحذر الجبدي ، ثم وهو

يتجه بها إلى حيث البحيرة المتجمدة .

تصاعقت الشكوك في أعماقها ، وهي تقول

ربما درس خرائط المنطقة ، متصوراً أن هذا سيكون جزءاً من الاختبار .

قال (ثوردال) :

- ربما .

ثم انعقد حاجباها في شدة مستطردًا :

- وربما لا .

تطلعت إليه لحظة في ارتباج . ثم تراجعت هائجة .

- (بيير) .. إنك تثير خوفي .

اجابها في حزم :

- هذا أفضل من تجاهل الشكوك يا أميرتي .. إنني أصبر على
أن (هانز) قد تعجل كثيرا في تعيين ذلك الرجل ، وكان ينبغي
أن نتحرى أمره أولاً ، والا يكتفى بالأوراق التي قدمها لنا .

التقى حاجباها أكثر وأكثر ، وسألته في توتر

(بيير) ما الذي نتوقع أن يكونه هذا الرجل بالضبط ؟

رمقها (نورداال) ببطرة متوترة ، ثم ارتشف رشقة أخرى من
كأسه ، قبل أن يجيب في حزم واقتضاب :

- جاسوس .

وانتفض جسدهما في عنف ..

* * *

تألفت عينا الذئب الإسرائيلي (شالوم) في ظهره ، وهو
يستمع إلى (هال) عبر الهاتف ، قبل أن يقول ، في صوت بذل
قصارى جهده ، ليزيل كل ما به من نبرات انقور :

- إنني فقد أرسلتم تحليلون المعلومات في عميلكم السوفيتي
بالفعل .. عظيم يا (هال) . هذا بثت حسن نواياكم بالفعل

ثم أنهى الاتصال ، وهو يستطرد في سحرية .

- وغياكم أيضاً :

سأله أحد رجاله :

- هل يمكننا الاستفادة من اتصالاتهم بعميلهم السوفيتي
بالفعل ؟

اجابه (شالوم) في ارتباج :

- بالطبع .

هز الرجل رأسه في حيرة ، وهو يقول :

ولكن كيف ؟ .. لقد قضيت بيلتي كلها أمس ألقب الأمر في

راسي على كل الوجوه ، ولكني لم أجِد وسيلة واحدة
للاستفادة من هذا . إنهم يستخدمون جهاز بث خاص ، يمكنه
استغلال الأقمار الصناعية في نقل الرسائل ، وهذا الأسلوب
يبث الرسالة في مساحة واسعة للغاية ، ومن المستحيل تحديد
الشخص الذي سيستقبل هذا البث ، بل ومن المستحيل حتى
تحديد في أي نصف من نصف الاتحاد السوفيتي سيتواجد
عند استقباله البث .

ابتسم (شالوم) وقال في شيء من الزهو :

- لو أن الكل يفكرون بهذا الأسلوب ، فلا عجب في أن

يلقبونني بالذئب ، وإن كنت أفضل الشعب

أشار الرجل بسبابته ، قائلاً :

إنهم فائتم تعتمدون على إرسال العميل للمعلومات . لو أن
هذا صحيح ، فلست أظنه يصلح يا سيدي ، إذ إن العميل
سيأخذ حتماً كل الحذر ، وهو يبث المعلومات ، مما سيصعب
معه أيضاً تحديد موقعه .

استرخى (شالوم) في مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام

وجهه ، وهو يقول :

إننا سنعتمد بالفعل على إرسال العميل للمعلومات ، التي

سيحصل عليها ، ولكن ليس بالشكل الذي تتصوره .

سأله الرجل في شعف :

- كيف ؟

مال (شالوم) نحوه ، وهو يقول :

- بنوع المعلومات نفسها .

انعقد حاجبا الرجل ، واطل التسؤل في عيبيه ، فتابع

(شالوم) في شيء من الجدل والزهو :

- المعلومات التي طلبنا من هؤلاء الحمقى الحصول عليها ،

عن طريق عميلهم السوفييتي . لم يتم تحديدها عشوائيا ، وإنما

عكف حبراؤنا على تنسيقها بمنتهى الدقة ، فعندما يرسلها

العميل ، وبناء على ما يمتلكه منها بالفعل ، سيتمكننا تحديد

القطاع الذي يعمل فيه ، داخل المحادثات السوفيتية ، وعندئذ

يعد الخبراء أسئلة جديدة ، نرشدنا أجوبتها إلى موقعه في ذلك

القطاع ، ثم يأتى دور المجموعة الأخيرة من الأسئلة ،

التي لا يمكن أن يجيب عنها سوى شخص معينه

والتقط بعضنا عميقا ، ملا به صدره كله ، قبل أن يتراجع في

مقعده ، مستطردا في ظهر

- وهكذا نكون قد توصلنا إلى معرفة عميلهم السوفييتي

بمنتهى الدقة ، دون أن ينتهوا إلى هذا .

اتسعت عينا الرجل في النهار ، وهتف :

- يا للشيطان ! إنها خطة عنقريه بحق يا سيدي

أشار (شالوم) بيده ، قائلا :

- إياك لا تعمل في جهاز مخبرات سبيط يا رجل

واقفه الرجل بإيماءة من رأسه في حماس ، ثم ساله في

اهتمام :

- قل لي يا سيدي . ماذا ستفعل بهم ، بعد أن نتوصل إلى

معرفة عميلهم السوفييتي ؟

رفقه (شالوم) ببطرة جانبية ، قبل أن يهز كتفيه ، ويقول :

- لن تعود لنا حاجة بهم .

سأله الرجل في فضول :

- اتعنى أننا سننتهى صفقتنا معهم يا سيدي ؟

هز (شالوم) رأسه بعينا ، وابتسم ابتسامة جذلة ، وهو

يجيب :

لن نترك منظمة منافسة تواصل عملها ضدنا يا رجل .

اتسعت عينا الرجل في ابهار ، وهم يقول شيء ما ، لولا أن

اندفع أحد الرجال داخل المكان ، وهو يقول :

- سيد (شالوم) لقد احضرت كل المعلومات المطلوبة

رفع (شالوم) عيبيه إليه في لهفة ، وهو يقول :

- اعطني إياها .

اختطف الورقة بسرعة من يد الرجل ، وراح يقرأها في

انفعال ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في توتر ، قائلا :

- عجباً ! ، لم أتوقع هذا قط .

سأله الرجل الأول :

- هل أنت المعلومات بحديد يا سيدي ؟

أجاب (شالوم) في ضيق :

كلا (أدولف زيلمار) طيار حرمى بالفعل ، فر من

(ألمانيا الشرقية) والتحق بالعمل لفترة من الوقت في

شركة (لوفتهانزا) ، قبل أن يتم فصله لأسباب تتعلق بالشرف

والأمانة ، ثم انقطعت أخباره بعدها تماما ،

ورفع عيبيه عن الأوراق ، وهو يضيف في توتر أكثر .

عجباً ! كيف أخطأت حاستي إلى هذا الحد هذه المرة ؟

لم يكذب بقى تساؤله ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فاختطف
سماعته في لهفة ، وهو يقول :

- لعله (ماير) ، الذى أرسلته لمراقبة (زيلمان) هذا .

وضع السماعة على أذنه ، وهو يقول :

- (شالوم) .. من المتحدث ؟

اتاه صوت (ماير) مفعماً بالانفعال ، وهو يقول

ادون (شالوم) لن يمكنك أن تتصور قط ما وقعت عليه

واتسعت عينا (شالوم) فى شدة ، وهو يستمع إليه ، وخفق

قلبه فى قوة ، كما لو كانت داخله قبلة موقوتة

هذا لأن المعلومات التى حملها (ماير) كانت خطيرة بحق .

خطيرة إلى أقصى حد .

* * *

٦ - الحقيقة ..

لم يكذب (أدوم) بسقط أرضاً ، أمام البوابة المكهربة ، حتى
هتف أحد الحراس الثلاثة بزميليه :

- يا إلهي ! .. اسرعاً يطلب سيارة إسعاف هذا العبي
امسك البوابة ، دون أن يقرأ التحذير عليها .

وضغط زر فتح البوابة ، وهو يعدو نحوها بكل قوته ،
هافتحت فى بضع ، وتلاشى منها التيار الكهربى مؤقتاً ،
فاحتفى بعصر (أدوم) ، وهو يقول فى ازعاج
- اتعشتم ألا يكون قد لقي مصرعه ، وألاً ..

بشر عبارته بغتة وهو يحدق فى ذلك القفار المطاطى
السميل ، الذى انتصق بكف (أدوم) فى لون يصعب تمييزه
عن حبه الحقيقى ، وقفزت إلى ذهنه فكرة ، جعلت جسده
يرتجف ، وهو يتعمن :

- عجباً ! .. مع هذا القفار المطاطى ، من المستحيل أن يسرى
التيار الكهربى فى جسده^(١٠)

لم يكذب بنم عبارته ، حتى هتأ (أدوم) واقفاً على قدميه ،
وهو يقول فى مخزية :

أهبلت بأرجل ستحصل على درجات جيدة فى مادة
الفيزياء^(١١)

ثم هوت قبضته على فم الرجل كالقبلة ، مستظرفاً -

(٥) المطاط : مادة عازلة من التيار الكهربى .

(٥٥) الفيزياء : هى دراسة طوهر طبيعة محدودة . لكشف القوانين
العامّة وانحو من التشريك بها ، ويمكن تقسيم هذه الدراسات بصفة عامة
إلى ستة مجالات

انصوء ، و لاصوت و لحرارة ، والكهرباء ، والمغناطيسية ، والذرة ،
وخواص المواد . وعبد فرع آخر يعتمد على الحالات الكيميائية أيضاً ،
ويعرف باسم (الفيزيوكيمياء) .

- وعلى صفر في الإحساس الأمنى .
 رأى الحارس الذى يقف عند الباب ما حدث ، فانسعت
 عيناه ، وهتف :

- يا إلهى ! إنها حدة

كانت يده تعجز نحو مسدسه ، ادى يسعد عنها ثلاثين
 سنتيمتراً بحسب ، إلا أنه فوجئ بـ (أدهم) يقطع الأمتار
 العشرين ، اتى تفصله عنه ، عبر حديقة القلعة ، في وقت أقل
 مما قطعته يده لتقبض على مسدسه ، ووجدته يمسك معصمه
 بعنة بأصابع من فولاذ ، وهو يقول ساخراً :

- معذرة يا رجل .. هل أربكك وجودي ؟

شهق الرجل في قوة ، عندما لوى (أدهم) معصمه بيسراه ،
 وأجبره على إقالات مسدسه ، في نفس اللحظة التى غاصت فيها
 قبضته اليمنى في معدته ، كما لو أنها مطرقة هائلة من
 الصلب ، جعلته ينثنى في ألم ، فتحركت يد (أدهم) اليمنى في
 سرعة ، لتلتقط المسدس ، قبل أن يسقط أرضاً ، ثم ارتفعت
 قبضته اليسرى ، بعد أن تحلّت عن معصم الرجل ، وهوت على
 مؤخرة عنقه بضربة عذيفة ، أسقطته فاقد الوعى ، في نفس
 الوقت الذى اندفع فيه الحارس الثالث خارج المنزل ، وهو يحمل
 مسدسه ، ولكنه فوجئ بمسدس (أدهم) يلصق بعنقه ، وسمع
 هذا الأخير يقول في هدوء مثير :

لعنى أنتك لعراً طريفاً يا رجل صابا يدعى أن يفعل
 حارس أمن ، عندما يناعته هجوم ما ، ويحد زميليه أمامه
 فاقدى الوعى ، وفوهة مسدس ملصقة بعنقه ، هل يصبر على
 المقاومة ، أم يفضل الاستسلام ؟

ارتجف الرجل ، وألقى مسدسه في سرعة ، وهو يحيب



ثم هوت قبضته على فك الرجل كالقذيفة

- اعم - اعتقد انه سيفضل الاستسلام .

ابتسم (ادهم) قائلاً :

- عظيم إحابة صحبة هيا اسر سو جهي

استعد الرجل يواجهه ، وهو يقول :

- هانذا .. ولكن لماذا ؟

هو (ادهم) على فكة بكمة كالقبلة ، مجيباً :

- لأننى اكراه أن أضرب رجلاً فى ظهره .

سقط الحارس الثالث فسد اسوعى سموره ، ههرا ادهم)

كتفيه ، ونعمهم :

- ينبغي أن تدقق الاوعاد احتر ، فى اختيار حراسهم هذا

امر يثير الشفقة بحق .

ثم جذب الحارسين إلى الداخل ، وكذلك فعل مع الحارس

الثالث ، عند بوابة الفيلا ، قرر أن يبدأ عملية بحث

كان يتحرك فى سرعة وجهه ، ويحصر كل شىء تقريباً

الجدران والأرصيات ، وقطع الأثاث ، وغيرها

كان وانما من وجود مكان ما ، يحتفظ فيه (هل) بكل

اسراره ، وربما بكل أسرار الشبكة الاسكندنافية . أيضاً

ومن أن هذا المكان ليس بعيداً عن مساكن يده ، ليحكمه

الرجوع إليه وقتما يشاء ..

ولكن أين ؟ ..

أين هذا المكان ؟ ..

استغرق منه البحث نصف ساعة كاملة ، قبل أن يعهم فى

حيرة :

- عجبنا لا يمكنى أن اصدق أن هذا النوع يحاف

انواع المعتادة لعالم الأوغاد سيدشنى حقاً لو أنه يمتلك

البراعة الكافية لإخفاء أسرارهم فى مكان آخر .

لدى فكرة وجود مكان آخر هذه تروق به كثيراً ؛ فدراسته

لشخصية (هل) تؤكد له أنه من الضرورى أن يخفى المحامى

أسراره فى مكان يسهل الوصول إليه بسرعة وقت اللزوم .

مكان يكون دائماً فى متناول يده ..

ولكن منزله لا يحوى هذا المكان ..

وهذا قرار حير ، لا يشق له عيار فى هذا المحال

فأين يمكن أن يكون ؟ ..

أين ؟ ..

قبل أن يتوصل عفه إلى جواب شاف ، أو ينجح فى تفسير

هذا اللغز النغمت لاداه بعثة صوتاً خافتاً ، يأتي من

مسافة متر واحد ، خلفه مباشرة ..

وبكل سرعة ، استدار (ادهم) إلى مصدر الصوت ، فى نفس

الحدبة التى تحرك فيها الحارس ، الذى استعد وعيه مكرراً ،

ليصوب إليه مسدسه ، و ..

وبطلق النار ..

وعلى الرغم من أن الحارس قد تحرك بخفة حقيقية ، وانتظر

حتى أصبحت المسافة أبهى بفصله عن (ادهم) اقصر من أن

يحظى دافه ، ومن أن عامل المفاجأة كان لصالحه مائة فى

المائة ، إلا أن الرصاصة التى أصابته ، من مسافة متر واحد ، لم

تخرج فى إصابة الهدف ..

فعندما استدار (أدوم) ، ورأى الحارس أمامه ، بصوب إليه
مسدسه ، انطلق عقله بعمل بسرعة البرق ، متجاوزاً عامل
المفاجأة ، ونالقت سرعة استجابته المدهشة ، فابخفض
برأسه ، في نفس اللحظة أتى انطلقت فيها الرصاصة ، وشعر
بها تتجاوزته مستقيمة فيللة ، وقدمه ترتفع لتفوق في
معدة الحارس ، الذي تأوه في ألم ، ولكن قدم (أدوم) الثابتة
أخرست تأوهاتة مركلة محكمه ، أصابت أرنبة أفعه مباشرة ،
ودفعته ثلاثة أمتار إلى الخلف ، ليرتطم بالجدار في قوة ،
ويسقط عائداً إلى حالة فقدان الوعي ..

ولكن الرصاصة انطعت بالفعل ، ولا ريب في أنها ستدوى
كالقنبلة ، في هذا الحى الهادئ الصامت ..
وهذا يعنى أنه لم يعد هناك مجال للبقاء ..
حتى ولو لم يحل بعد لغز مخزن الأسرار ..

لدا ، فقد غادر (أدوم) الفيل بأقصى سرعة ، من بابها
الخلفى ، وتحرك في خطوات واسعة ، عائداً إلى سيارته
الصغيرة ، وهناك انزع قباعه ، واستعاد قباع (ريلمان) ،
واحكم وضعه على وجهه جيداً ، ثم انطلق بالسيارة عائداً إلى
المطار في هدوء ..

ومن بعيد ..
من مسافة تزيد على الكيلو متر ، كانت هناك عينا تنابعاه
، عبر منظار مقرّب شديد القوة ..

وعندما حوص صاحب العينين مطارده ، كان قلبه يخفق في
انفعال ، وهو يتمتم :

- لن يصدق أدوم (شالوم) هذا ! لن يصدق أنه

والتقط ساعة هاتف سيارته ، ليجرى محادثة هاتفية بالغة
الأهمية ..

محادثة مع (شالوم) -

الذئب الإسرائيلي الأرقط ..

* * *

اتسعت عينا (شالوم) في شدة ، حتى كادت تقهران من
محجريهما ، وهو يستمع إلى (ماير) ، قبل أن يعمم -

- مستحيل ! .. مستحيل !

ثم أنهى المحادثة ، والدهول يملأ من ذرة من ملامحه ، فسأله
الرجل الذى يقف أمامه في قلق :

- ماذا حدث يا سيدي ؟

التفت إليه (شالوم) ، وحذق في وجهه لحظة ، قبل أن
يجيب -

(ريلمان) زائف .

كان جواً مقتصناً للعناية ، إلا أنه جعل الرجل يهتف
مزعجاً

- زائف ؟

لوح (شالوم) بكفه في الهواء ، وانفجرت شفاته ، وكأنما
يهم بقول شيء ما ، إلا أن الكلمات انحبست في حلقه بعض
الوقت ، قبل أن تندفع من شفثيه في عصف ، وكأنما تحررت من
عقالها عنوة ، وهو يهتف :

- ليت الأمر يقتصر على هذا ،

التقى حاجبا الرجل في توتر شديد ، وهو يسأل

- ماذا هناك أيضاً ؟

أشار (شالوم) بسنائه ، وهو يجب في أفعال :
- الرجل الذي يتحلل شخصية (أدولف زيلمان) ليس
شخصاً عادياً .

بدأ القلق على وجه الرجل ، وهو يسأل :

- من هو يا سيدي ؟

هز (شالوم) رأسه في شيء من الدهول ، وكيف لا يستطيع
الخروج من صدمته ، ثم تمدد على الرجل نظرة شاردة ، وقن
وكانه يتحدث مع نفسه :

- (ماير) لم ير وجهه ، ولكنه شرح لي كيف أدر هيبته
ببراعة مذهبة ، وكيف تعبت على حراس العمل بسرعة المرق
وطوال عملي في (أوسباد) ، به أرسوى رحر وشد ، يمكن
ينطبق عليه هذا .

وارتجف صوته مع جسده ، وهو يستطرد :

- (أدهم صبرى)

قفز الرئيس من مكانه ، راينر حسمه في عيب ، وكأنه
لدى لحمار ساد ، ونادى بلتصق بأحد ، وهو يهيف مرتعاً
- أدهم صبرى) .. وما شأنه بما ؟

انعقد حاجباً (شالوم) بشدة ، مع ذلك الأفعال المبع ،
وصاح في الرجل غاضباً :

- ماذا أصابك يا رجل ؟ هل حنت ؟ ماذا يخيفك
(أدهم صبرى) إلى هذا الحد ؟ إنه مجرد رجل واحد

هتف الرجل مستكراً :

مجرد رجل واحد ؟ كلاً يا سيدي إنه (أدهم صبرى) .
الرجل الذي حطم كل رموزنا ، وكل عمالة المخبرات ، في العالم

أجمع تقريباً . إنه رجل المخبرات الوحيد ، الذي لا يمكن أن
يوصف بأنه (مجرد) رجل واحد .

نضاعف غضب (شالوم) مع هذا الجواب المستفز ، وصرخ
- قلت لك : إنه مجرد رجل واحد .

ثم تراجع مستطرداً في مقت :

- رجل يمكن أن يلقي مصرعه ، مثل أي رجل آخر .

هز الرجل رأسه ، متعمقاً :

- ليس بهذه البساطة .

التفت إليه (شالوم) بحركة حادة ، وهم بقول شيء ما ، إلا
أنه أحجم عن هذا في اللحظة الأخيرة ، وارتسمت على ملامحه
علامات التفكير العميق ، قبل أن يتمتم :

- بالتأكيد ليس بهذه البساطة . رجل مثله يحتاج إلى
خطة محكمة ، تضمن أن يلقي مصرعه ، دون أن يثير مشكلات
المشكلات من حوله .

قالها ، وغرق لحظات في تفكير عميق ، ثم التقط سماعة
الهاتف وطلب رقماً ما ، ولم يكذ يسمع صوت محدثه حتى قال .
- (هال) . إنه أنا . (شالوم) أعلم أنك أقبعت رفاقك

بشان العميل السوفيتي ، ولكنني لم أتصل بك لهذا ، وإنما
أريد أن أخبرك أن فيلتك قد تعرضت للاقتحام عنوة منذ قليل .
جحطت عينا (هال) ، عندما سمع هذه العبارة ، وصرخ :

- فيلتي أنا ؟ أية فيلا ؟ أعني . كيف لم يبلغني
رجالي ؟

أجابته (شالوم) في صرامة :

- رجالك لم يخبروك ؛ لأنهم جميعاً فقدوا وعيهم .

شحب وجه (هال) ، وهو يقول :

- فقدوا وعيهم أم .. أم لقوا حتفهم ؟

اجابه (شالوم) :

- بل فقدوا وعيهم بحسب . الرجل الذى اقتحم فيلتك ليس

من الطراز الذى يقتل لمجرد القتل .

سأله (هال) فى توتر شديد :

- هل تعرفه ؟ هل تعرف الرجل الذى اقتحم فيلتى ؟ ..

اسمع يا (شالوم) لو أنك المسئول عن هذا فسوف .

قاطعه (شالوم) فى غضب :

- كف عن سخافاتك هذه يا رجل ، واسنمع إلى جيداً

الرجل الذى اقتحم فيلتك حاسوس مصرى ، نجح فى التسلل

إليك .. بل وفاز بإعجابكم ولقنكم أيضاً .

احتبست الكلمات فى حلق (هال) لحظة ، قبل أن تخرج فى

صعوبة ، مختنقة متحيرة ، وهو يعمم فى انفعال .

- من هو يا (شالوم) ؟ .. من هو ؟

اجابه (شالوم) من صرامة :

- (زيلمان) .. طياركم الحديد (ابولف ريلمان)

جحظت عيننا (هال) من فرط الدهول والانفعال ، وكادت

أصابعه تعتصر سماعة الهاتف ، وهو يكرر

- (زيلمان) . بالشيطان ! أنت واثق يا رجل ؟

اجابه (شالوم) فى حزم :

- تمام الثقة .

احتقن وجه (هال) فى شدة ، وهو يهتف :

اللعة ! .. (هالز) العنى . أقحم علينا جاسوساً ..

اللعة ! .. اللعة !

ثم اكتسى صوته بغضب ومقت شديد ، وهو يستطرد :

- ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلاً . سأقتل ذلك

الجاسوس .. الآن .

صاح به (شالوم) فى حدة :

- كلاً .. إياك أن تفعل .

هتف (هال) فى دهشة :

- ماذا ؟ .. أى قول هذا يا (شالوم) .. هل تحاول منعى من

التخلص من ذلك الجاسوس ؟

اجابه (شالوم) فى حزم .

مطلقاً . إنما أحاول منعك من ارتكاب حماقة سخيفة ،

ستجعل الرجل يدرك أننا كشفاً أمره ، دون أن تنجح فى

التخلص منه . إسى أحاول قتله بوسيلة مضمونة يا رجل ..

هل تفهم ؟

سأله (هال) فى عصبية :

- (شالوم) .. أليك خطة محدودة ؟

اجابه (شالوم) فى سرعة :

- بالطبع .

ثم استترك فى شيء من الحزم :

ولكن هذه الخطة تحتاج إلى الكثير من الدقة والحكمة ،

وهذا يستلزم أن نناقشها جميعاً .

سأله (هال) فى توتر :

- ما الذى تقصده بكلمة (جميعاً) هذه ؟

اجابه (شالوم) :

- اقصد كلكم يا (هال) لاند ان اجتمع بكم جميعًا ،
لاعرض عليكم الحطة الوحيدة المضمومة ، للتخلص من رجل
مثله ..

والتقى حاجباه مرة اخرى ، وسال المقت من كلفاته ، وهو
يضيف :

- رجل مثل (انهم صبرى) .

ومع تلك اللهجة العظيمة : أدرك (هال) ان امر هذا
الجاسوس بالتحديد ليس بسيطًا او هينًا
ليس كذلك أبدًا .

* * *

امتفع وجه (انحرید) فى شدة وابغض جسدها فى عطف ،
وهى تحدق فى وجه (شالوم) ، داخل تلك الغيلا المعزلة ، التى
اخذارها للاحتماح ، وهنت بصوت خرج فى صعوبة من بين
شفتيها .

- (جاسوس) ١ . (أدولف) جاسوس ١٠

ادار (شالوم) عينيه فى الوجوه الداخلة المدعورة ، قبل ان
يقول

نعم يا سيدتى . جاسوس (أدولف زيلمان) الذى يعمل
لديكم ، ليس هو (أدولف زيلمان) الحقيقى إنه ضابط
مخابرات مصرى .

قال (هانز) فى توتر شديد :

- ضابط مخابرات مصرى ١٢

أوما (شالوم) براسه إيجابًا ، وهو يقول فى صرامة :

نعم ضابط مخابرات مصرى وليس مجرد ضابط
مخابرات عادى بل هو ضابط مخابرات هب ، من طراز نادر
عربى ، لا يمكن أن يتوافر مثله فى كل عشرة اجيبان ضابط
مخابرات يحمل اسم (انهم صبرى) .

لد بكذ بسبق الاسم ، حتى انتفض (ثوردل) فى عطف ،
وارتد بمقعده إلى الخلف كما لو ان الاسم قد اصابه فى صدره
كابرصاصة ، حتى ان المقعد سقط به أرضًا و شترك دويه مع
صرخته ، وهو يهتف :

- (انهم صبرى) ١٢

التفت إليه زملاؤه فى دهشة فى حين قال (شالوم) فى
صرامة :

احضر صوتك يا رمل الحدران بها آداب كما يقولون
وارتد صوت (انحرید) ، وهى تسال (ثوردال) فى
دهشة قلقة :

- هل تعرف هذا الرجل يا (بيير) ؟

بهض (ثوردال) فى عصبية وهو يقول :

عرفه ١٠ إبنى اعرفه خير لمعرفة يا (انسى) لقد
احتككت به مره واحدة ، كذب القى مصرعى خلالها إنه ليس
رجل مخابرات عادى بالفعل .. إنه شيطان .

ثم انتفت إلى (شالوم) ، وارتدح صوته ، وهو يستطرد

كيف يمكن القصاء على رجل كهذا يا (شالوم)

وقبل ان يحيب الإسرائسى ، قال (هانز) فى عصب

اللب واثق من قولك شد ، يا (شالوم) ١٠ لقد احتفرت

(زيلسان) بنفسى . ومن العسير أن أصدق أنه ليس طبيباً
محترفاً .

قال (شالوم) فى حزم :

(آدم صبرى) شخص يمكن أن يصفه بالمحترف . فى كل
المجالات تقريباً . فهو يجيد قيادة الطائرات بأنواعها ،
والمركبات . وحتى الدبابات . فنت لكم إنه ليس رجلاً عادياً
لوح (هانز) بسبأفته فى وجهه ، قائلاً :

كلامك هذا لا يبدو منطقياً يا رجل . كيف يتفوق شخص
واحد فى كل هذه المجالات ، فى هذه السن الصغيرة

قال (شالوم) بسى الأمام ، وقال فى حدة غامضة

اسمع يا سيد (هانز) الأمر أعقد من أن يشغل عنه
بصراعات داخلية . إنه أمام خطر يواجهكم ويواجهها ، ولابد
لنا من أن نحسم أمره بسرعة . قبل أن يندفعنا جميعاً
ومواجهته لن تكون أبداً مواجهة تعليمية . فخصم قاسر على
الصيدى لحسن كامل ، هو مدخته الفرصة ليستعد لهذا
وخبرتى معك تقول إنه من العسير ما عنته بفعل مدبر

تتم (ثوردا) فى قوترا :

- بل من المستحيل .

نهذ (شالوم) ، وقال :

إن من المحتم أن نجد وسيلة مبتكرة للتخلص منه ، وإلا
فلن نظهر به قط .

سألته (أجريند) متوترة :

- مثل ماذا ؟

صمت (شالوم) طويلاً ، وهو يتطلع إلى وجوههم ، ثم قال .

الحطة التى توصلت إليها جديدة ، ويتناسب مع
اشخصية التى يتحلها (آدم صبرى) ، ولكنها ستتكلف
مبلغاً باهظاً ، يربو على الثلاثة ملايين دولار
هاتف (هال) مذعوراً :

ثلاثة ملايين . . . ولماذا ندفع كل هذا المبلغ . . . لماذا
لا نطلق النار على رأسه مباشرة ؟ ١٩
اجابه (شالوم) فى صرامة :

لو أنك تجد فى نفسك القدرة على إطلاق النار على رأسه
مباشرة ، فانهب وافعل .

استعد حاجباً (هال) فى شدة ، وهو يقول :

ليس من الضروري أن أطلق النار عليه بنفسى . يمكننى
أن أستاجر قاتلاً محترفاً ليفعل هذا ، مقابل أقل من عشر هذا
المبلغ .

أشار إليه (شالوم) ، قائلاً :

- لو أن المال هو كل ما يفتك . فلا داعى للقلق ، إذ إنكم لن
تدفعوا شيئاً واحداً من هذا المبلغ ، بل ستدفعه حكومتى كله ،
وبدون أية شروط .

قال (هانز) فى ذهشة :

حكومتك ستدفع ثلاثة ملايين دولار ، للتخلص من رجل
مخابرات واحد ؟ ١٩

هن (شالوم) رأسه ، مجيباً :

- كلاً يا سيد (هانز) . ليس للتخلص من رجل واحد ،
وإنما لوضع الحكومة المصرية كلها فى مازق حرج ، يسوء
إليها عالمياً ومحلياً . فقد أبلغت (تل أبيب) بالموقف ، وعكف

تأكدت من أن تعاوننا صار أمراً عسيراً ، بالنسبة للمصريين بالذات ، فلم يعد يعينني كنهان اجتماعاتنا كثيراً قال (هال) في عصبية :

- هل تعنى أن (ادهم) قد أبلغ مالدیه لرؤسائه بالفعل ،
هز (ثوردال) رأسه بغيظاً ، وهو يسبق (شالوم) إلى الجواب ، قائلاً :

ليس كل مالدیه . ربما أبلغهم بأمر وجود تعاون بيننا وبين الإسرائيليين ، ولكنه لا يستطيع سرد كل التفاصيل في برقية شفرية . إنه يدخرها في المعتاد لتقريره النهائي .. وهذا يعني أن التخلص منه الآن يخفى هذه التفاصيل إلى الأبد .
ابتسم (شالوم) ، وهو يقول :

- منطق رائع يا عزيزي (ثوردال) ، إلا أنه يؤسفني أن أخبرك أن حظنا لا تعتمد على القضاء على (ادهم صبرى) ، وإنما تعتمد على المحافظة على حياته ، حتى يصل إلى أولئك الذين سيتولون أمر التخلص منه .

بدت عبارته الأخيرة غامضة للغاية ، حتى أن الدهشة ارتسمت على كل الوجوه ، وبالذات وجه (أنجريد) ، التي سألت في حيرة :

- ما الذي يعنيه هذا التناقض ؟

التقط (شالوم) نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

- سأشرح لك يا سيديتي .

نطق عبارته ، واعتدل ، وراح يشرح لهم خطته ..
والواقع أنها كانت بالفعل خطة مبتكرة وجديدة .
بل ورهيبية ..

رهيبية إلى أقصى حد .

* * *

٧ - خطة الذئب ..

على الرغم من أن (ادهم) قد استلقى في فراشه منذ العاشرة مساءً ، إلا أن النوم لم يتسلل إلى جفنيه إلا في الرابعة ويضع بقائق صباحاً ..

لقد قضى ليلته ساهراً مسهداً ، يفكر في أمر (هال) ، والشبكة الاسكندنافية ..

إنه واثق من أن (هال) يحتفظ بكل أسرار الشبكة

وفي مكان قريب منه للغاية ..

ولكن قبلته نظيفة تماماً ..

لا توجد خزائن سرية ، أو أرضيات مزدوجة ، أو حجرات خفية

أو حتى جدران متحركة ..

وهذا يعني أن (هال) يحتفظ بأسراره في مكان آخر ..

ولكن أين ؟

أين ذلك المكان القريب والبعيد في آن واحد ؟

أين ؟

ظلت الفكرة تؤرقه ، وأست أن تفارقه ، وهو يعيد دراسة

الموقف مرات ومرات ، حتى غلبه النوم ..

وحتى في نومه ، لم تفارقه الفكرة قط ..

لقد رأى نفسه يتسلل مرة ثانية إلى العيلا ، التي بدت خالية

تماماً ، من (هال) والحراس ..

وحتى من الأثاث ..

وعندما أبدى دهشته من هذا ، فوجئ بمدير المخابرات إلى

جواره ، يقول :

- لن تعثر على أي شيء هنا يا (ن - ا) .

ولأن الإحلام لا تحصع بساورة حصص

ولأن النائم لا يفرك هذا أبداً في حينه ..

فقد ساء وجود المدير يحتجب تحت قسطنطين : هم في

اهتمام :

- لماذا يا سيدي ؟

اجابه المدير في هدوء :

لا ، شال ، محام وشو الذي من ان يحتفظت في بيته في

فيلته .

قال (ادهم) في حيرة :

- اين يحتفظ بالاسرار اين

أشار المدير بده ، قائلاً :

- ربما هناك

الذهب ، ثم ، في حيز شمس المدر ، وري امامه مرآة

صحيحة يعطي حدراً كاملاً من حذر العمل ، وتنعكس فوقها

صورتها كلها ..

وكي هناك قارق حوشون بين انعكاس وصورتها المنعكسة

فدنياً كانت حاسة بقاء من الأثاث ، في حين كانت الصورة

المنعكسة كأمية الأثاث

ولانه حلم ، لم يبدد حساً عفر منطقي ، ولكن (ادهم)

نساع كيف يدبرهم بحدار ارجاحي من قس

وعندما انتفت ببقي اسسور على المدير ثم يحدده إلى

حواره ..

بل ولم يحدده في الفيل كلها ..

وهي دهشة ، هيف :

- اين انت يا سيدي ؟

استعنت فحده صوت يحول

من دهم ثم يستطع شيا

برشمة من اسنوب وحناء حراء من حجم ، ثم استندت على

حواس ادهم بعملة و يركب من الصوت يدي من عالة

انقاع بدمر ما يدق على باب حشيرة فهي حاسية على

طرف مرشمة و من بطلقة سريعة على ساعده انفي نشرت

عبارتي إلى بر بعد وانضم صديقا به فار بالبعد الأمانة

- من بالبواب ؟

اتاه صوت (هانز جوردان) ، وهو يقول :

- إنه أنا يا (زيلمان) .

قال (دهم) متعجب ، اعصب وانحنوية وهو يري شاع

(زيلمان) في إحكام :

- هل تعرف كم الساعة الآن يا سيّد (هانز) ؟

اجابه (هانز) :

نعم .. اعرف .. ولكنني أريدك الآن لأمر هام .

اسمك شمس ، سيرة في حراء وشو يقول

- انظر لحظة إلى .

ثم رددت فحسبه في سرعة وفتح الباب ، وهو يما

متعدياً ، ويقول :

- أنتشتم ان يكون أمراً هاماً بحق يا سيّد (هانز) .

انفي (هانز) نظرة سريعة على الحجرة ، ثم قال :

- إنه كذلك يا (زيلمان) .. إنه كذلك .

ونقدّم بضع خطوات داخل الحجرة ، قبل ان يجلس على
المقعد الوحيد بها ، ويضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ،
مستطردًا :

- الطائرة الجديدة ستصل في السادسة ، ومن الضروري ان
تستعد لاستقبالها

هاتف (ادهم) في دهشة .

- في السادسة صباحًا ١٢ ياله من موعد !

هزّ (هانز) رأسه نفياً في بطنه ، ثم تطلّع إلى عيني (ادهم)
مباشرة ، وقال :

- بل ستصل في السادسة مساءً .

انعقد حاجبا (ادهم) في غضب ، وهو يقول :

في السادسة مساءً ١٢ أتوقظ في الرابعة والنصف
صباحًا لتخبرني ان الطائرة ستصل بعد أكثر من اثنتي عشرة
ساعة ١٢

اجابه (هانز) في صرامة :

- قلت أيضًا إنه من الضروري ان تستعد لاستقبالها .

قال (ادهم) في عصبية تناسب شخصية (زيلمان)

وهل يحتاج هذا الاستعداد لنصف يوم كامل ؟

اجابه (هانز) في صرامة :

- ربما يحتاج إلى ما هو أكثر من هذا .

عطّ (ادهم) شفثيه معترضًا ، وجلس على طرف الفراش ،
قائلًا :

- هل لك ان تخبرني كيف ؟

صمت (هانز) طويلاً ، وهو يتطلع إليه ، قبل ان يميل نحوه
هجاءً ، قائلاً :

- (زيلمان) .. لقد رشحتك للعمل معنا .

تظاهر (ادهم) بالدهشة ، وهو يقول :

- ولكنني اعمل معكم بالفعل يا سيد (هانز)

هزّ (هانز) رأسه ، وقال .

- انت تعمل رسميًا مع الشركة ، وليس معنا يا (زيلمان) .

سأله (ادهم) :

- وما للعارق ؟

ابتسم (هانز) ابتسامة كبيرة ، وهو يجيب :

- العارق ضخم للغاية يا (زيلمان) .

ثم نهض ، مستطردًا :

- هيا بنا .. سأشرح لك كل شيء في الطريق .

سأله (ادهم) في حذر حقيقي :

- في الطريق إلى أين ؟

تهدّ (هانز) مجيبًا :

- ستعرف بعد قليل .. لا تنعجل الأمور .

لم تمضى ربع الساعة ، حتى ضفتها سيارة (هانز) ،

التي اطلق بها في الطريق الذي يتجه إلى الحدود السويدية ،

فسأله (ادهم) :

- إلى أين تذهب بالضبط ؟

اجابه (هانز) :

- إلى مخزننا الخاص يا (زيلمان) .

سأله (ادهم) متظاهرًا بالبساطة :

- مخزن الشركة ؟

هزّ (هانز) رأسه نفياً ، قبل ان يجيب :

- بل مخزننا الخاص يا (هانز) -

ثم رمقه بنظرة خاصة ، مستطردًا :

- مخزن الشبكة الاسكندنافية .

سعر رطل واحد يساوي خمسة رطلات صاعدة بالأسفل

على شدة سقوطه وبعد ما سقط .. سرعه سقوطه وارتفاع

دهشته واضحة في صوته ، وهو يكرر :

- الشبكة الاسكندنافية ؟

قال (هانز) في اهتمام :

بعض الرجال ، سمعته لأسير في سجنه

المختطف حديث على سياج سجنه ، ويسمى سجنه بـ " حديد "

وتدعى أربع ساعات حديدية .. ربح .. السراجه .. امر شبكة

النسب .. في سرجه بـ " حديد " .. السراجه .. كثير .. بعد محاول

إعداد الشبكة .. على زائد .. شحوب .. شعر .. وارتفاع

من إلى .. السراجه .. السراجه .. السراجه .. السراجه .. السراجه

الخطيرة ؟ .. ألا نخشى أن أبلغ الشرطة مثلاً ؟

ابتسم (هانز) ، وهو يقول :

بمكيد .. يقول .. إلى .. السراجه .. السراجه .. السراجه .. السراجه

سهولة تحديد الشخص الذي أممحه ثفتي

كم (أنهم) ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

- هكذا ؟

اجابه (هانز) :

بمكيد .. السراجه .. السراجه .. السراجه .. السراجه .. السراجه

لا بأس بك قط ..

١٠٨

ثم التفت إليه ، مستطردًا بلهجة خاصة :

- ولكن العمل الجديد سيناسب مواهبك حقًا .

قالها ، وهو يحرف عن الطريق الرئيسي ، ويتجه نحو

مخزن كبير ، فسأله (أنهم) :

- أهذا هو مخزنكم السري ؟

ضحك (هانز) ، قائلاً :

- ما تراه أمامك هو مخزن الشركة الرسمي ، أما مخزن

السري ، فهو تحته مباشرة

توقفت اسبيرة عند المخزن وهدده (هانز) إلى الداخل ، ثم

إلى قنوه يحتفى به خلف عدد من الصناديق ، وأشار إلى

مجموعة من صناديق الذخيرة ، قائلاً :

- ها هي ذى بضاعتنا الحقيقية .

لم يستطع (أنهم) إطفاء دهشته الحقيقية وهو يقول :

الذخيرة .. هل تتأخرون في الأسلحة والذخيرة ؟

اجابه (هانز) في حماس :

بالطبع يا (أنهم) .. إنها تحارة رائعة للغاية ، وتدر

علينا الملايين .

ثم وضع يده على كتف (أنهم) ، مستطردًا :

- وستدر عليك أرباحًا خيالية أيضًا يا رجل .

عقد (أنهم) حاجبيه ، وهو يقول في حذر :

- هل نطلب منك العمل لحسابكم على تجارة الأسلحة يا سيد

(هانز) ؟

هز (هانز) رأسه نفيًا ، وقال :

١٠٩

- بل طلب منك أن تتعاون معنا كشريك كامل يا (زيلمان) .
وان تبدأ هذا التعاون الليلة بالتحديد .
سأله (أدهم) في حذر :

- الليلة ؟

أوما (هانز) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم يا (زيلمان) الليلة ستنقل أول شحنة من الأسلحة
إلى زبائننا . هل تقبل هذا العمل ، بمائة ألف دولار ؟ .
لم يشعر (أدهم) بالارتياح ، إزاء هذا العرض ، واستيقظ في
أعماقه شعور قوي بالقلق والحذر ، وبأن (هانز) وأفراد شبكته
الاسكندنافية يحفون أمراً ما ، خلف هذا العرض السحري ، إلا أن
رفض موقف كهذا لم يكن يناسب قط مع شخصية
(زيلمان) ، لذا فقد سأل في اهتمام واضح :

- وأين هؤلاء الزبائن ؟

أجابه (هانز) بسرعة :

سستنطرونك في يخت خاص ، بالقرب من (ستوكهولم) ،
في البحر البلطي .

قال (أدهم) ساخرًا :

- عظيم . وهل تتوقع مني الهبوط على سطح الماء ؟

أجابه (هانز) في هدوء :

- بالطبع . الطائرة الجديدة مزودة بالواح إصطناعية عند
إطاراتها ، تسمح لها بالهبوط فوق سطح الماء .

ثم وضع يده على كتفه ، مستطردًا في حماس :

- صدقني يا (زيلمان) إنها صفقة العمر بعشرة لك

يا رجل .

صمت (أدهم) قليلاً ، وقد تخشع قلبه وحذره مررات
ومرات ، إلا أن الدور الذي يلعبه جعله يستسلم ، ويقول في
اهتمام :

- ومن يمكنه رفض مثلها يا سيد (هانز) ؟

ابتلأ وجه (هانز) كنه بانتسامة كبيرة ، وهو يقول

- عظيم عظيم يا (زيلمان) دعنا إن بعد المضائى ،
فهذا يحتاج إلى عدة ساعات .

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وهو يرسم على شفاهه
انتسامة باهتة ، أما في أعماقه ، فقد تصاعد القلق ، حتى بلغ
دورته ..

هناك شيء ما جثم وراء هذا العرض ..

شيء قد يحمل له الخطر ، أو ...

أو حتى الموت ..

* * *

بدت الدهشة على وجه (فريدريك) ، وهو يحدق في وجه
(أدهم) ، قبل أن يقول في حيرة :

ماذا تعني بك ستقود الطائرة وحدك الليلة يا كابتن
(زيلمان) ؟ المفترض دائماً ، طبقاً لقوانين الطيران ، أن

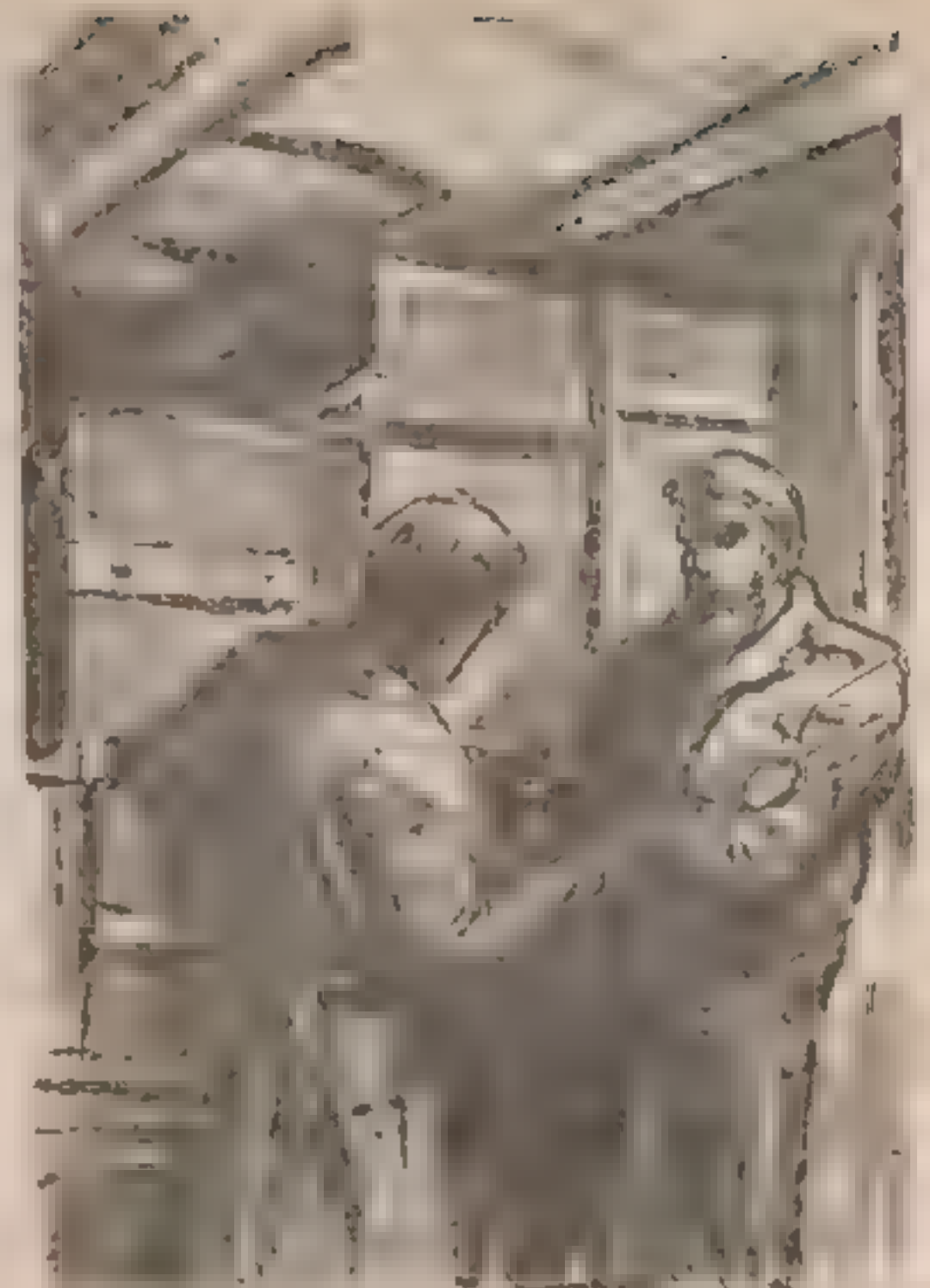
يصحب مساعدك

أجابه (أدهم) في حزم :

إنها ليست رحلة رسمية يا (فريدريك) ، بل مجرد اختبار
للتائرة الجديدة .

قال (فريدريك) في ضيق :

- وكيف يمكنك أن تختبرها دون طيار مساعد ؟



أوما (آدم) يرسم إيضاح وهو يرسم على سبيله بساعة تبرد

اعتدل (آدم) ، واعتقد حاحباه في صرامة ، وهو يجيب
 - سل السيد (هانز) .. إنها أوامره ،
 صمت (فريدريك) لحظة ، وهو يرافيه في توتر ، ثم قال في
 عصبية :
 وهل تحتم أوامره أيضا فحص الطائرة الجديدة بهذه
 الدقة ؟ إنك تعكف على فحصها منذ أكثر من نصف الساعة ،
 حتى أنك راجعت المحرك بنفسك ، وفحصت جسمها من الخارج
 مرتين ، وقلبت مقعدتها ، وحتى أجهزة الاتصال بها ، ماذا هناك
 بالضبط ؟
 أجابه (آدم) في حشونة :
 - اخترت أدنى لا أسفل طائرة جديدة ، قبل أن افحص كل
 شبر منها
 قال (فريدريك) في عصبية :
 - أنت واثق من أن هذا هو السبب الحقيقي ؟
 رده (آدم) بنظرة صارمة ، قبل أن يجيب في حشونة :
 - ليس هذا من شأنك ،
 لم يكن بمكانه حقاً أن يروى له السبب الحقيقي ، الذي
 يدفعه إلى كل هذا الحرص ..
 إنه واثق تمام الثقة ، على الرغم من عدم وجود أدلة قاطعة ،
 على أن (هانز) ورغائه يضررون أمراً ما من هذه الرحلة الليلية
 ولقد وضع في ذهنه كل الاحتمالات ..
 ربما وضعوا قبلة ما في الطائرة ..
 ولكنه فحص كل شبر منها بالفعل ، ولم يعثر على أدنى أثر
 لأية قبائل ..

حتى شحنة الأسلحة ، اتى سيحجمها إلى أولئك الرئس ،
بالقرب من (ستوكهولم)^(*) ، فحصبها بنفسه بمنتهى الدقة ،
ولم يجد فيها ما يخيف ، أو حتى يثير الشك ..

ما الذى أعدوه إذن ؟

هل سيضعون اشرطة ناصره ، عندما يفلح حاملاً شحنة من
الأسلحة غير القانونية ؟

ولكن مم يمكن أن يعيدهم هذا ؟ ..

كل ما سيحدث هو أن الشرطة ستلقى الفحص عليه ، متهمة
محاولة التهريب ، وهو يقرر طائرته الخاصة ، وهذا يصعبهم
أيضاً فى موضع الشبهات ؟ ..

أم أنهم يختبرونه بهذه الرحلة ؟ ..

ربما كانوا كذلك بالفعل ، ولكن لماذا يشعر فى أعماقه بذلك
القلق المدهم ، الذى ينبعث دائماً من عريته ، عندما يواجه أمراً
لا يروق له ، حتى ولو توافق مع العقل والمنطق السليم ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

و ماذا تفعل هنا ؟

انطلق السؤال من بين شفتى (هانز) فى صرمة ، فانفص
جسد (فريدريك) فى توتر ، وهو يقول :

- لا شيء يا سيد (هانز) لا شيء .. فقد بيت لآلى انتحية
على كابتن (ريلمان) ، قبل أن ينطلق فى رحلته المفردة هذه .

(*) ستوكهولم = عاصمة السويد (تقع على بعد نحو ١٤٠ كيلومتراً
إلى البحر البلطى ، لها ميناء كبير ومركز لسياحة السفن وصناعة الآلات
والمنسوجات والكمائنات والمطاط . وهى مقر لجامعة دولن ، ومركز ثقافى
وعلمى .

قالها ، وهو يضبط حروف كلمة (المفردة) فى قوة ، وكأنها
يكرر عدم اقتناعه بما يحدث ، ولكن (هانز) أجابه فى صرامة .
- لا شأن لك بالقواعد التى تتبعها فى الطيران ، قمهما بلعت
خديك ، لن تنفوق عليهما قط ، أما و (أدولف) ..

غمغم (فريدريك) :

- اعترف بهذا دون مناقشة ،

أشار إليه (هانز) إشارة صارمة ، وهو يقول :

- هيا ، عد إلى برج المراقبة ، فسأنازل جديداً قصيراً مع
كابتن (ريلمان) ، قبل أن يطلع .

أوما (فريدريك) براسه ، مغمغماً فى ضيق :

- كما تأمر يا سيد (هانز) .. كما تأمر .

والقى نظرة سريعة على (أدولف) ، قبل أن يعادر الطائرة فى
سرعة ، وابتعد عن المكان كله فى خطوات سريعة ، راقبه خلالها
(هانز) بعض الوقت ، ثم أخرج من حيبه مطروفاً ، وباوله
ل (أدولف) قائلاً :

خذ يا (ريلمان) . خمسون ألف دولار كمقدم ، والباقي
سنحصل عليه عند العودة ، وبعد أن يدلعنا رماننا بتسلم
الشحنة .

التقط (أدولف) المطروف ، وبسته فى جيبه . قائلاً :

- أعزق أنه يسقى أن أطلع على الفور ، حتى أصل فى الوقت
المحدد .

مد (هانز) يده يصفافحه ، وهو يقول :

بالتأكيد . ادع الآن يا (ريلمان) وانته جيداً لا نريد
أية مناعب .

قال (أدهم) فى حزم :

- اطمئن .

وعلى بعد عشرين متراً ، وقف (هانز) يراقب إقلاع (أدهم) بالطائرة فى صمت ، ورائعها بنصره ، حتى احتضت فى الأفق ، وسط ظلام الليل ، وفى هدوء ، برز (شالوم) من مدخل برج المراقبة ، وسار عبر صحر الإقلاع ، حتى توقف إلى جوار (هانز) ، الذى قال فى شيء من الارتياح :

- هل أدبت دورى جيداً يا سيد (شالوم) ؟

أوما الذئب برأسه ، مجيداً

- بالتأكيد يا سيد (هانز) .. بالتأكيد .

تنهد (هانز) ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- هل تعتقد أنه شك فى أمرى ؟

أجاب (شالوم) مبتسماً :

- بالتأكيد . رجل مثله لا يمكن أن يمر عليه موقف كهذا فى

بساطة ، ولكنه سيعصر عقله بحثاً عما يؤيد شكوكه ، وسيدل

قصارى جهده لفحص كل شيء فى الطائرة .

ثم اتسعت ابتسامته ، وامتلأت رهواً وشمسة ، مع

استطرابته :

- ولكنه لن يتوقع ما ينتظره قط .

وابطلقت من بين شفطيه ضحكة حدلة قصيرة ، قبل أن

يضيف :

الشيء الوحيد الذى يؤسفى ، هو أنى لن أكون هناك ،

لأرى ما سيرتسم على وجهه ، عندما يكشف جدعنا

ابتسم (هانز) وقال :

- ويكر عراعر الوحيد هو أنه لن يكشف الخدعة ، إلا بعد

عشرات الأبر . وعندما يصبح التراجع مستحيلأ

قائها ، واشترك الاثنان فى ضحكة طويلة ..

وشريعة ..

* * *

لأد ، دهم ، بالصحت تمامًا ، وهو يطلق بالطائرة الحديدية

طويلاً فوق البحر ، وعقبه مارال بحث عن تفسير للقلق الذى

يعمره

ومن الباحية المنطوية لم يكن هناك دليل واحد يؤيد قلقه

وشكوكه ..

لقد درس جهداً حقيقياً لإيقاد أفراد الشبكة الاسكندنافية ،

و ثبت لهم إخلاصه ، ومهارته فى الطيران ، ومن المؤكد أن هذا

قد برز أثراً قوياً فى أعصابهم ، دفعهم إلى اتخاذ قرار سريع

نضجه إليهم ..

وهذه الرحلة مجرد اختبار لقدراته ..

ولإخلاصه ..

هذا هو التفسير المطلق الوحيد ..

ولكن من قار . إن كل من شيء هذا العالم يخضع للمنطق ..

ساحسة لرحل مثل (أدهم صبرى) ، خاض أهوالاً يشيب

لبه سوداً . وواجه أخطر عشرات المرات ، واقتراب من الموت

حتى كان يشتم رثحته ، يكون هناك دائماً أمر يفوق أى منطق

فى يكون

إبه العريرة غريزة الشعور بالخطر

ملك العريرة التى يمتلكها كل مخلوق حى ، والتى تنمو

وتقوى أكثر في أعماق كل مقاتل ، والتي ملغت نروبها تقريبا .
عند الرجل الذي يحمل لقباً فريداً . لا ينافس فيه أى رجل
مخابرات ، في العالم أجمع ..

لقب (رجل المستحيل) ..

وفي أعماقه ، كانت تلك العريضة تصرخ وتنش ، معلية وحود
خطر قريب ..

قريب للغاية ..

ولكن أين ١٤ ..

أين ١٤ ..

واصل انطلاقه بالطائرة لصف ساعة أخرى ، وعيما
تراقبان كل المؤشرات في لوحة القيادة في حذر ، وعقله بواصل
البحث عن تفسير لقفقه ، و ...
وفجأة ، انتبه إلى أمر ما ..
إلى مجموعات النجوم في السماء ..

فطبقاً لحبرته السابقة في الملاحة البحرية ، ولما لقَّه إياه
والده في صباه ، لا ينبغي أن تكون تلك المجموعة البجمية في
مواضعه ، عندما يتجه إلى (ستوكهولم) ..

كان ينبغي أن تكون عندئذ إلى يساره ، وليس أمامه
مباشرة ..

ووجودها في هذا الموضع ، يعني أنه يتجه نحو الجنوب
مباشرة ، وليس إلى الجنوب الغربى كما ينبغي .

وفي دهشة متوترة ، تعلقت عيناه بالوصلة ، في لوحة
القيادة ، والتي تشير إلى أنه يتجه بالفعل نحو الجنوب العربى
وليس نحو الجنوب ..

ولكن كيف ١٤ ..

كيف ١٤ ..

وقبل أن يتم تساؤله ، أو يتوصل إلى تفسير هذا الخلل في
الوصلة ، ارتفع من جهاز اللاسلكى في الطائرة صوت صارم
يقول :

- أنت داخل مجال جوى محطور - حدد هويتك ، أو اتخذ
الإجراءات الدفاعية مباشرة .. اكرر ..

واسعد حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يستمع إلى النداء ،
الذى راح يكرر بلا انقطاع ، وسعة أكدت الشكوك التى تفجرت
في أعماقه منذ البداية ..

باللغة الروسية ..

وكان هذا يعنى أنه لم يكن يتحه ابداً نحو (ستوكهولم) ،
ولما نحو آخر مكان يرغب في الذهاب إليه ، في قلب شتاء
قارص كهذا ..

إلى الاتحاد السوفيتى ..

وفي غضب ، غمغم (أدهم) :

- يا للأوغاد !! .. لقد أحسنوا لعبتهم بحق .

ثم التقط فوق حمار اللاسلكى ، وقال بالروسية

دخول المحال لم يكن مقتضوه ، فخر في البوصلة الى
إلى ..

وبتر عبارته معنة ، وهو يحدق في الجهر
قطباً لحركة مؤشده ، كان من الو صبح انه لا يسمح بحد
لقد افسدوه بحث بعمل كجهاز ستندس محسب
ومعنى هذا ان السوفيت لن يستقيموا ، فسيبره لا يدرى
مجالهم الجوى قط ..
وانهم سينعاسون معه باعتبار دحضياً يعطى على مساهم
الجوى وحدودهم الأمنة ..
وسيستخدمون معه كل وسائل الدمار الحوى
وبلا استثناء ..
ولا توجد وسيلة لنفادى هذا ..
إلا إذا

قفزت الكرة إلى رأسه بعة ، مستعداً باستشارة سمكة حادة
واعنصر ذهبه لتعديل الانحاضات ، صفاء لمفعل الحس ، لى
أصاب البوصلة ، والذي قدده إلى الاتحاد السوفيسى ثم استلمق
محاولاً العودة من حيث أتى ..

وفى غيباب البوصلة ، ومع الطيران سسى ، لم يكن من
الممكن أبداً ان يدرك كم بوغل فى المجار ، حوى بدنه
السوفيتى ، ولكنه انطق بأقصى سرعه تسبح به محرشات
طائرة مدنية خاصة صغيرة ..

وصى سلكى ، ارفع ذلك الصوت السوفيتى الصارم ،
يقول

حشد هوبت ولا تحول الفرار إنا نحذر .. حذر
هوبت ..

تجمل ارفع لعداء ، وهو يطلق بأقصى سرعة لطائرة ،
فى خط مستقيم ، و ...

ويكن فجأة ، أدرك ان محاولته لن يكتب لها النجاح أبداً .
ولم يكن هذا بقرار بخلاف إلى خبرة فى عالم الطيران
فأمامه مباشرة .
وعلى يمينه ويساره ..
وحتى من خلفه ..

سرب سرب من الطائرات المقاتلة ، يحاصره بصواريخه
المقاتلة .

سرب من الطائرات السوفيتية .

* * *

انطلقت ضحكة (أنجريد) عالية مجلجلة ، وهي ترفع
كاسها عاليًا ، وتهنئ في حماس شديد :

نخب الذئب العحور - أبرع إسرائيل عرقته ، في حياتي
كلها .

وجرعت كاسها دفعة واحدة ، والجميع يتبادلون النخب ، ثم
سعلت ووجهها يحترق ، ويرداد احمرارا ، قبل أن تسأل :

قل لي يا (شالوم) كيف فعلت بالرجل هذا ...
وضحك (ثوردا) ، هاتفاً :

نعم - أخسرنا أيها الذئب الأرقط ، كيف جعلته يخترق
المجال الجوي للسوفيت ، بون أن يدري ؟

ابتسم (شالوم) في زهو واليق ، وهو يقول
لم يكن الأمر بهذه الصعوبة يا سادة - لقد زود خبراءنا

بوصلة الطائرة الجديدة بجهاز خاص ، به معطابيس قوى ،
يبدأ عمله فور إقلاع الطائرة ، فيتحرك في بطنه نحو الشمال

الغربي ، بحيث تنحرف نحوه بوصلة الطائرة ، حتى تثبت في
ذلك الاتجاه ، ومع القيادة الليلية ، واعتماد الطيار اعتماداً

رئيسياً على البوصلة لتحديد اتجاهه ، كان من الطبيعي أن
ينجيه (أنهم صبري) بطائرته نحو الجنوب ، في اتجاه الاتحاد

السوفيتي مباشرة ، وهو ينصور أنه ينجيه إلى الجنوب
الغربي ، نحو (ستوكهولم) .

قال (هانز) في إعجاب :
- يا للبساطة !

هتف (هال) في حماس :

- بل قل يا للعبقرية !

ثم رفع كأسه ثانية ، مستطرداً :

- نخب السيّد (شالوم) .. أدكى رجل (موساد) في العالم .
جرع الجميع كأسهم ، بعد أن ردّدوا النخب خلفه ،

وسالت (أنجريد) (شالوم) في اهتمام :
- لماذا لم تقرب كاسك يا (شالوم) ؟

ابتسم (شالوم) ، وهرّ كتفيه ، قائلاً :
- إنني لا أشرب الخمر أبداً يا سيّتي .

هتفت في دهشة :

- حقاً ؟ .. هل أقلعت عنها ؟
هرّ رأسه نفياً ، وهو يقول :

- بل لم أقرّبها في حياتي قط .
ارتفع حاجبها في دهشة حقيقية هذه المرة ، ثم لم تلبث أن

انفجرت ضاحكة وهي تقول :
- بالظرافة ! .. هذا يشبه أفلام السيّما القديمة ، التي لم

يعد يشاهدها أحد .. النطل المثالي ، الذي لا يشرب ولا يدخن ..
قل لي يا عزيزي (شالوم) ، هل تفعل هذا عن اقتناع .

ابتسم (شالوم) بون أن يجيب ، ثم أدار عينيه عنها وهو
يقول بصوت مرتفع :

- أخشى أن اصدم مشاعركم أيها السادة ، ولكن على الرغم
من أن مراقبيننا قد أكدوا لنا أن طائرة (أنهم صبري) قد عبرت

المجال الجوي السوفيتي بالفعل ، منذ ما يقرب من نصف
الساعة ، إلا أن هذا لا يعني أن خطتنا قد نجحت .

سرت عبارته على رؤوسهم كالصاعقة . وحدثوا في وجهه
بدشنة تمنع بشيء من استنزاع الحروف ، قبل . يقول
(هال) بصوت مبحوح :

- ماذا تعنى يا (شالوم) ؟

اجاب (شالوم) بصوت قوى :

سبق ان اشرف اى ان (ادشم صبرى) هدا ، بس رجل
مخاضرات عادى ، وانه يعتد عددا لا بأس به من المهارات
المختلفة ، وهذا يعنى ان سخره احتراجه سمحاح الحوى
السوفيتى ، لا يعنى بالضرورة ، وقوعه فى قبضتهم

قال (هانز) فى ضيق :

لماذا تصفى على هدا الرجل صفات استثنائية
(شالوم) ؟ اكتب بعترف سانه سارع بحق ويكنه بس
(سوبر مان) (*) هل تعلم ان الذى يعبه السوفيت مع صائرة
تحترق مجالهم الحوى ، ويرفض لاستحالة بدء بهم

اوما (شالوم) براسه إيجابا ، وهو يقول :

نعم . إنهم يرسون مقتلاتهم لإحصاره على السقوط

قال (هانز) :

- عظيم . هل تعتقد ان (ادشم) هدا يستطيع عدد رخص
الانصياع لأوامرهم ، فلا يهبط حيث يقودونه .

عقد (شالوم) حاجديه ، قائلا :

(*) (سومر مان) = شخصية انتكرها حوشاسبر (و حمرى سمحاح)

عام ١٩٣٧ م . وهى لرجل جاء من كوكب اخر كريسور (و كنسب موه
حارقة على الأرض ، استخدمها لعمل الخير وتحقيق العدالة .

- لا يمكن التنبؤ ابدا بما سيفعله (ادشم صبرى) ، هى اى
موقف .

قال (هانز) فى حدة :

إنه س يتصدى للمقاتلات اسوفيتية بطائرة مدنية على
الأقل .

صمت (شالوم) لحظة ، قبل ان يجيب فى بطة :

- لا .. لست أظنه يفعل هذا .

اندفع (ثورداال) يقول :

وحتى لو فعل ، وبحج فى خداعهم ، وفر من مقاتلاتهم ،
سينتفون مباشرة إلى الخطوة التالية .

أشار (هال) بسبأبته ، قائلا :

- صواربيخ (سام - ٩) (*)

ضحكت (أنجريد) ، وقالت :

- لا نقل لنا : إنه سيفلت من الصواربيخ أيضا !

صمت (شالوم) تماما ، واكتست ملامحه بشاع جامد ،
وتركهم يواصلون صحكهم وسخرتهم بضع لحظات ، قبل ان
يقول فى صرامة :

دعونا نقرر انه سيجج فى الإفلات من كى هدا

التفتوا إليه فى دشة واستنكار ، فتابع فى حدة

هدا افضل من ان نقرر افواشنا دهولا وارتياغا ، إذا
ما حدث هدا بالفعل .

(*) (سام - ٩) صواريخ دفاعية (ارض - جو) ، من انتكر
السوفيت ، يمكن إصابة أهدافه بدقة كبيرة ، ولقد استخدمها أحد أحيائها
السابقه (سام - ٦) فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ م . وكانت سفحة مذهلة
للإسرائيليين .

انتقل الصمت إليهم جميعاً ، وسادوا نظرة نقيص بالقلق ،
 قبل أن تسال (انجريد) :
 - ماذا لو فعل حقاً ١٩ ؟
 وهتف (هال) :

- هل سيعود لينتقم منا ١٩ ؟
 مطاً (شالوم) شفتيه ، وقال :
 - كلاً .. لست أظن براعته . مهما بلغت . تمنح به العودة
 إلى هنا . إنها فقط قد تساعد في مراوغة السوفيت بعض
 الوقت ، قبل أن يقع في قبضتهم .
 ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يستطرد :
 - وعندئذ يحين دور عميلكم .
 بدا القلق عليهم ، وتعمم (هانز) في حذر :
 - عميلنا ١٩

أوما (شالوم) براسه في صرامة ، وهو يقول
 - نعم أيها السادة . عجبكم السوفيتي عندما يصبح
 (أدهم) في قبضته ، فعليه أن يتوسل بنفسه عمالية القصاص
 عليه .

ساد الصمت لثوان ، ثم ارتفع صوت (هانز) ، وهو يقول
 - ما لم ينسفه السوفيت مع طائرته أولاً .
 هتف (شالوم) في حدة :
 - كلاً .. ليس الطائرة .

ثم التقى حاجباه ثانية ، وهو يضيف .
 - الطائرة تحمل الجزء الأكبر من خطتنا . وأكثر ما يهمنا
 هو أن يعثر عليها السوفيت سليمة .

وارتفعت على شفتيه ابتسامة ذئب مفترس ، مع استطرادته .
 - بهذا فقط يتحقق الهدف كاملاً .
 وتطلع الجميع إلى انتباهه المحيطة في قلق ، وقد امتابهم
 في أن واحد شعور مقلق بانسجعة على (أدهم صبرى)
 وعلى أنفسهم ..

* * *

حاصرت المقاتلات السوفيتية طائرة (أدهم) من أربعة
 اتجاهات ، وابتعدت من جهاز اللاسلكي أمامه صوت خشن ،
 يقول باللغة الإنجليزية

إننا نتحدث إليك بالإنجليزية ، في حالة عدم فهمك
 للروسية . حدد هويتك فوراً ، واتسعا إلى حيث نقول ، وإلا
 فسببنا لإطلاق صواريخنا عليك بلا تردد

شعر (أدهم) بالحرق ، لأن جهاز اللاسلكي عاجز عن
 الإرسال ، وحاول أن يتوحد بسده لقائد إحدى الطائرات
 اسوفيتية ، إلا أن الطلام حال دون أن يمتعه السوفيت إلى
 إشاراته ، فتحرك إلى حيث تفوده المقاتلات ، وهو يتمتم
 يا دأوغاد ! لقد أفسدوا جهاز اللاسلكي عمداً ، حتى
 يضعوني في هذا المازق الحرج .

قابها ، وقبض على عجلة القيادة في قوة يديه ، ثم راح
 يحل جهاز اللاسلكي بيمناه ، في محاولة لإصلاح الحل فيه ،
 وإبلاغ السوفيت بموقعه ..
 ولم يكن هذا سهلاً ..

كانت الطائرات السوفيتية التي تحاصره تنحرف إلى اليمين ،

في طريقها إلى أحد المطارات الحربية على الأرجح ، وهو مصطر
للانصياع لها ، واللاسلكي مثبت بلوحة القيادة جيداً
ولكنه استجاب أخيراً ..

وفي سرعة ، جذب (ادهم) اللاسلكي خارجاً ، وبحث
باصابعه عن أسلاكه ، و ..

وفجأة ، نجحت مشاعره كلها ، واعتقد حاجباه في شدة ،
وهو يحدّق في الأسلاك التي تتصل بمؤخرة جهاز اللاسلكي ،
وهي ذلك الجسم الرائد في قاع التحويف الخاص به ، في لوحة
القيادة ..

وهي هذه اللحظة فقط ، أدرك (ادهم) ما فعله به (هانز)
ورفاقه ..

فذلك الجهاز ، أمام عينيه مباشرة ، لم يكن أبداً أحد مكونات
أي جهاز اتصال لاسلكي تقليدي ..

بل كان جهازاً خاصاً بالتجسس الجوي ..
جهاز قد حصر مهمته في التصوير الليلي ، والخصيت على
الإشارات والموجات العسكرية ..

ودور ان يفحصه ، كان (ادهم) وانفأ من ان الجهاز
سبحوى حثفا عدداً من الأفلام ، لكل المناطق التي مرّت بها
طائرته ، مع تسجيل لكل ما التقطته من إشارات ..

وبالنسبة لسوفييت كرس هذا يكفي تماماً لانصياعه
بالتجسس ..

وربما لإعدامه ..
وتصاعد في أعماق (ادهم) مزيج من الغضب والحقق ،
والثورة ..

وبدا عقله يدرس الموقف من اتجاه آخر ..
وبصورة جديدة تماماً ..

ففي البداية ، وعندما أحاطت به المقاتلات السوفيتية ، كان
يفكر في محاولة إقناع السوفيت بحسن نواياه ، مستعيناً
بالخلل الواضح في الوصلة ..

وكان احتمال نجاحه في هذا لا يتجاوز الثلاثين في المائة ..
أما الآن ، فالاحتمال ينخفض إلى الصفر ..
وربما إلى ما هو أقل من هذا ..

وهذا يعني أنه ، وعلى الرغم من المقاتلات التي تحاصره ،
لا ينبغي له أن يستسلم قط ..
ومهما كان الثمن ..

ولكن محاولة الفرار من هذا الحصار ، بطائرة مدنية
صغيرة ، يشبه السعي للانتحار المباشر ..
وفي أعماقه ، هتف (ادهم) :
- وما الفارق ؟ ..

وكان على حق في هتافه هذا : فلو تبع المقاتلات إلى أي
مطار حرمي ، سينم إلقاء القبض عليه ، وفحص طائرته جيداً ،
طبقاً للإجراءات السوفيتية المعتادة ..

وسيكشف أمر جهاز الرصد والتجسس ..
هذا لو أنه الجهاز الوحيد ، الذي يخفي خلف لوحة
القيادة ..

والسوفييت لا يحاكمون الجواسيس طويلاً
وأحياناً لا يحاكمونهم إطلاقاً ..

فأما الإعدام فوراً ، أو الاعتقال مدى الحياة هي (سيديريا) .

وبالنسبة للعديد من ، يعدّ الحل الأول أكثر رحمة ..
ومن هذا المطلق ، اتخذ (أدهم) قراره بالمقاومة ..
ووضعه موضع التنفيذ على الفور ..

وهي نفس اللحظة ، التي انصرف فيها سرب المقاتلات
السوفيتي إلى اليمين استعدادًا للهبوط في المطار الحربي ،
انخفض (أدهم) بطائرته بعبء ، ثم أمال مقدمتها إلى أسفل ،
وتركها تهوى على نحو عشوائي . كما فعل بطائرة التدريب ،
في أثناء اختبارات (هانز) ..

وكانت مفاجأة حقيقية للمقاتلات السوفيتية التي هتف
قائدها في غضب :

- اللعبة ! .. إنه يحاول الفرار .

عدت المقاتلات اتجاهاها ، وأطلقت خف طائرة (أدهم)
الصغيرة ، اتى وأصلت هبوطها العشوائي لمسافة طويلة ،
جعلت قائد السرب السوفيتي يعمم في ذهنة متوترة .

ماذا يفعل هذا المجنون لو وأصل الانحدار على هذا
النحو ، سيرتطم بقمم الأشجار حتمًا .

ولكن (أدهم) استعداد سيطرته على الطائرة بغنة ، على
مسافة أمتار قليلة من قمم الأشجار ، وأعاد إليها توازنها ، ثم
انطلق بمحاذاة الأرض ، وبأقصى سرعة تمتلكها الطائرة .

وهتف أحد السوفيت مبهورًا :

- هذا الرجل بارع بحق .. أرايتم ما فعله ؟

انعقد حاجبا قائد السرب في غضب ، وقال في صرامة :

- كفّ عن الإعجاب به ، واستخدم صواريخك يا هذا

انقسمت مقاتلات السرب إلى مجموعتين ، وأصلت الأولى

طريقها إلى الأمام لتتجاوز طائرة (أدهم) ، ثم تدور
لمواجهتها ، هي حين انقضت عليه المجموعة الثانية ، وأطلقت
ثلاث صواريخ نحوه في آن واحد ..

وهي حرم ، هدف (أدهم) وهو يعمل بالطائرة إلى اليسار هي
عنف :

- ترى هي يمكنك الصمود ؟

جاءت استجوابته في اللحظة المناسبة تمامًا ، فتجاوزته
الصاروخ الأول ، وواصل طريقه ليعبر وسط المستنقعات ، في
حين ارتطم الثاني بقمة إحدى الأشجار ، وانفجر على مسافة
عشر أمتار محسب . أما (أدهم) بسرعة إلى اليمين ،
وانخفض جناح الطائرة على نحو محيف ، لتتجاوزها
الصاروخ الثالث بسرعة هائلة ، ويعوص في مهباء المستنقع ،
قبل أن ينفجر ..

وهي إحدى مقاتلات المجموعة الثانية ، هدف سوفيتي

- رائع هذا الرجل رائع . قد تصرف مراعاة لا تطير لها
أنا لم أر شيئًا كهذا في حياتي قط .

قال زميل له في النهار :

- ولكن لماذا لم يفر بمقلة الهبوط ويخلص من الطائرة
كلها ؟ إنه يعلم أننا سنطهر بها حتمًا . لن يمكنه أبدًا
التفوق على سرب كامل من المقاتلات الحديثة !

لم يكن الطيار السوفيتي يدرك أن (أدهم) ليس باستطاعته
أبدًا أن يتحلّى عن الطائرة ، ويقفز بمظلة الهبوط

هذا لأنه لم تكن هناك مظلة هبوط إطلاقًا

فتلك الحقيقة ، التي يفترض أن نحوى مظلة الهبوط

الاحتياطية ، لم تكن تضم سوى كومة من الخرق العالية ، التي لا تصلح حتى لهبوط فار صغير من طائرة ورقية ، على ارتفاع ستة أمّار عن الأرض ..

لقد أحسن الأوغاد تدبير خدعتهم بحق . وعلى الرغم من براعة (أدهم) المدهشة ، التي بهرت الطيارين السوفييت ، إلا أنه لم يكد يتجاوز الصواريخ الثلاثة الأولى ، ويبجو منها بمعجزة ، حتى فوجئ بمقاتلات المجموعة الأولى أمامه مباشرة ، وبصاروخين من صواريخها ينطلقان نحو طائرته ..

وانخفض (أدهم) بسرعة هذه المرة ، و ...

وارتطمت طائرته بقمم الأشجار ..

ومع هذا الارتطام ، تحطّم الحياح الأيسر للطائرة ، فعالت إلى اليمين في عصف ، وارتطم ذيلها بجذع شجرة أخرى ، وتحطّم بدوى مخيف ..

ثم وجد (أدهم) نفسه بهوى بين الأشجار ، التي ارتطمت بها الطائرة مرات ومرات ، في طريقها إلى الأرض بسرعة مخيفة

ولم يعد هناك مهر من السقوط هذه المرة .

وبسرعة تفوق سرعة البرق ، تحرك عقل (أدهم) ، وأدرك أنه هالك لا محالة ، فجذب حزام الطوارئ ، وهو يهتف :

- لبس بعد أيها الأوغاد .

وانتزع نفسه من مقعده ، واطلق يحدو نحو باب الطائرة ، الذي تحطّم تمامًا .

وترك حلفه فحوة كبيرة ، والطائرة تواصل اندفاعها نحو الأرض .

ثم حدث الارتطام ..

ارتطم باطن الطائرة بالأرض الطبيعية في عصف ، ودارت حول نفسها على نحو مخيف ، وهي سرلق نحو المستنقع ، وارتطم بكل ما يعترض طريقها ، ومن حلقها تدوى ثلاثة انفجارات عبيقة . قبل أن يتوقف عند حافة المستنقع . وقد شعلها صمت وسكون رهيبين ، لا يوحيان إلا بأمر واحد ..

أنه لم يعد بها أثر للحياة ..

أننى أثر ..

وعبر حيار اللاسلكى ، قار قائد السرب في حزم

- الطائرة المعنوية سقطت في منطقة المستنقعات انتهت مهمة السرب ، وسيعود إلى القاعدة .

وعاد المجموعتان لتحدان في سرب واحد ، انطلق متنعداً عن المكان بسرعة كبيرة ..

ومن موقعه ، راقب (أدهم) انعقاد اسرب في اثنام ..

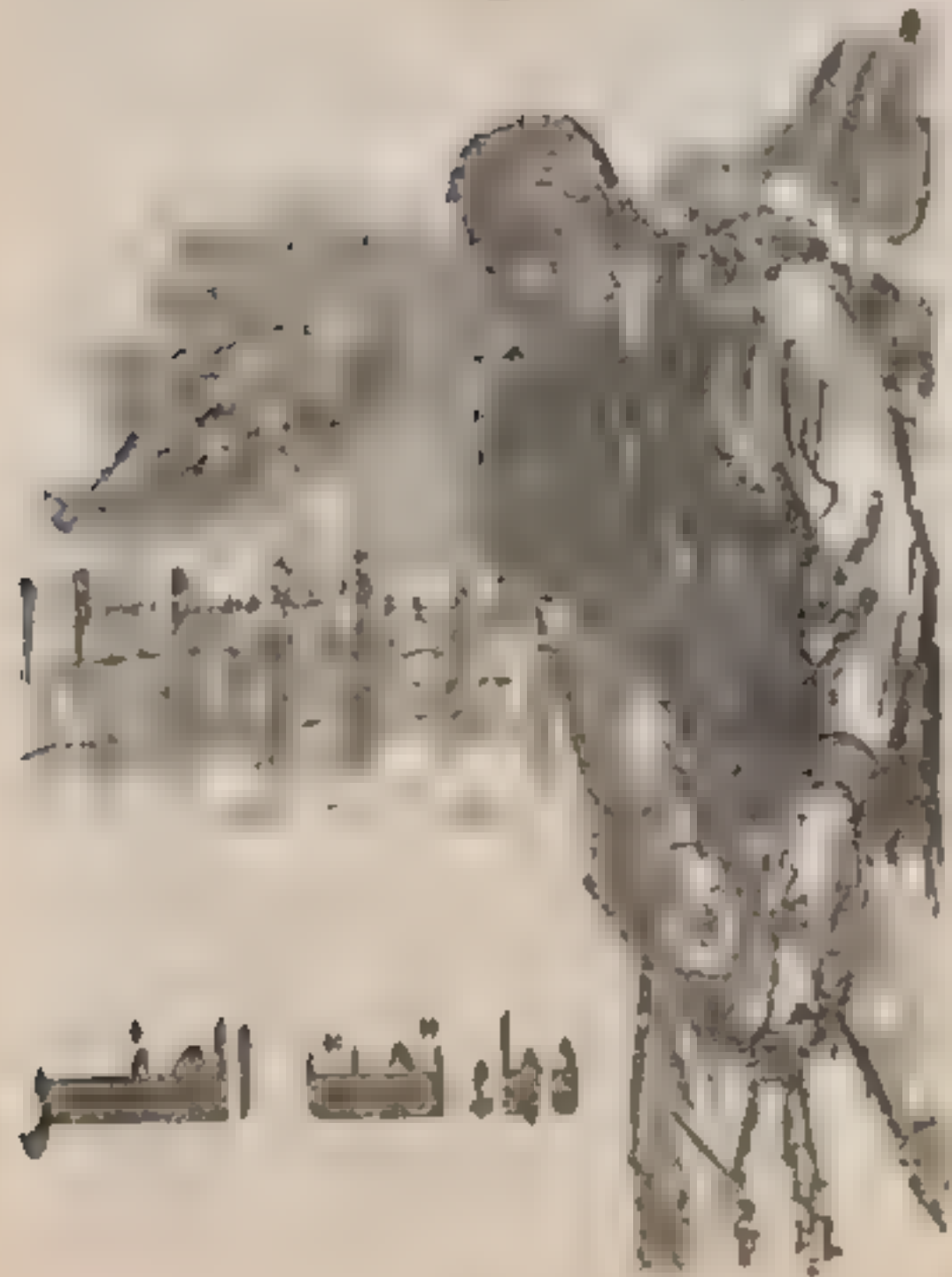
كانت سرعة استجابته المدهشة قد انقذت حياته هذه المرة أيضاً ، عندما وثب خارح الطائرة ، وتعلق بأحد أغصان الأشجار من رتظام الطائرة بالأرض مباشرة

ولكنه كان يعلم أن هذا لا يعنى أبداً أنه قد بجا .

فاسوفيت لا يهدعون أبداً ، عندما يسئل شخص ما عن جدويهم ، أو يخترق مجالهم الجوى ..

وخاصة عندما يحصلون على أدلة تثبت أنه فعل هذا لأغراض التجسس ..

القسم الثالث



وما من قوة في الأرض ، يمكن أن تقبضهم بالموثق عن
البحث عنه ، قبل العثور عليه ، أو على جنته ..
وهو يعلم أن الأوامر قد صدرت بالفعل حتماً ، لإرسال فرقة
للبحث عنه وعن حطام الطائرة ، فهذا هو الأمر الوحيد ، الذي
يتحرك فيه السوفييت بالسرعة المطلوبة ..
وتب الاسواء التي تتحركها وسط الأشجار ، تشير إلى أن
عملية البحث قد بدأت بالفعل ..
وهذا يعني أنه قد سقطت بعرب من منطقة عسكرية
وأن اقتدار قد استقر فقط من نحو إلى الأرض
الأرض التي لا تحل مرة واحدة من الشحنة أو الرحمة ، مع
أي تخيل ..
الأرض السوفيتية .

* * *

نهاية القسم الأول

اندفع (بورى جلجاووف) . رجل المحادثات السوفيتي ، مع زميلته (هيلجا مارويسكي) . نحو هيبوكومير جزيرة ، تدور مراقبتها بهدير قوي ، استعدادا للإقلاع . ووثب الاثنان داخلها ، تارتعت على الفور (هيلجا) تسأل

لمادا تفتحص ان تلك طائرة ، نفي سخط بالغرب من (تالين) . طائرة تجسس ب . بورى . لماذا لا تكون مجرد طائرة تجارية ضلّت طريقها إلى هناك ؟

انقسم (جلجاووف) في سحرة . وفيقول
- وثن بنصوري ان طائرة التجسس ستبحر في مجالنا الجوي . وهي تحمل على حاصيها كمية (تجسس) بحروف كبيرة ، ام انهم سيمضون على به افاد الامامية معتبرا اسود للتعمية ؟

انعقد حاجباها ، وهي تقول في غضب :

- لا داعي للسخرية .. اجب فحسب .

رمقها نظرة حاسية . و هلبوكومير شق طريقها نحو الشمال ، وقال :

احترق هذه الطائرة لمحسنا الجوي لم يكر ماعنا كانت لدي معلومات مسبقة بان هذا سيحدث ، حتى اننا نهبنا كل قواعدنا على الحدود الشمالية . واعت فيها انطوري العصى هزفت في لهشة :

لديكم معلومات مسبقة ؟ لماذا تتحدث وكاسي لست انتمي إليكم ؟ ثم من أين حصلتم على هذه المعلومات ؟ وكيف ؟

انقسم في خث مزهو ، وغنم :

- لدى مصابري .

ثم استنرد بسرعة ، قبل ان يمدحها فرصة للتعلق المهم بنا كما يتوقع ظهور طائرة تجسس . الليلة ماتت ، وبهذا طبت اعداد الهيبوكومير ، و سرب فذهب بان يتأهب للإقلاع في أية لحظة .

انركت من أسبونه انما من تحصيل على الكثير ، فاعقد حاجباها انكس في غضب ، وتراجع في مفعدشا ، ولانث بالصمت بصع لحطت ، ثم لم يلبث عصولها الانوى ان غلب عضها ، فسالت في اهتمام :

- اهي طائرة تجسس أمريكية ؟

هر رأسه بيا ، قبل ان يحيب في اقتصاب صارم .

- بل مصرية .

ارخسها الجواب بشدة . فعدلت بحركة حادة . هابفة :

- مصرية ؟ .. ومنذ متى يفعل المصريون هذا ؟

اجاب في صرامة :

- لكل شيء بداية .

هرت رأسها في قوة . تنعس عدم اقتناعها ، قبل ان تقول

- هناك شيء لا يبدو لي مطلقا ، في هذا الأمر

قال (جلجاووف) في صرامة أكثر :

- معلوماتنا مؤكدة في هذا الشأن .

مطت شفتيها . دور ان تحيب ، فابع في حرم

إننا حتى نعرف اسم الحاسوس الذي يقود الطائرة

جذب قوله اهتمامها في شدة ، فسالت :

من هو ؟

النقط نفساً عتيقاً ، ورقها معلقة جانبية . قتل ان يحيب

- (ادهم صبرى) ؟

انتقى حبيبها الخنجر في شدة ، وهي تقول في دهشة عارمة :

- (ادهم صبرى) ١٤ .. انقص ذلك الرجل ، الذى ..

قاطعها في حزم .

نعم . اقتصد لك الرجل ، الذى يطير جوار رؤسائنا ،

واندى مع ينسب معه حيار محبات ، فى معركة ما ، إلا وانهزم

أمامه ، كما لو أنه يواجه جيشاً حراً . إنه نفس الرجل

يا عزيزتى (هيلجا) .. (ادهم صبرى) .

بدا مرسح من الدهشة والانبهار على وجهها . قتل ان تقول

- (ادهم صبرى) تنور مائدة نحسب عينا . ولماذا

يقدم رجل فذ مثله على عمل تقليدى كهذا .

مط شفتيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :

- ربما كانت للمصريين اسبابهم .

ثم استطرد فى صرامة .

وبكنا سنعقد درساً فسيحاً لا يسويه أبداً ، ويكبدهم

خسارة فادحة ، عندما يسحق رحلهم المفصل على أرضنا

قالت فى توتر :

- لو ان خصمنا هو بالفعل (ادهم صبرى) ، فليس يكون من

السهل أبداً ان نظفر به ، فما بالك بسحقه !!

هتف فى حدة :

لقد سقطت طائره فى منطقة المستنقعات على أرضنا

اجابته فى صرامة :

ولو . مادرسنا عن (ادهم صبرى) هذا يؤكد أنه قادر

على القتال كاتليث ، أيا كان موقعه . ومهف احتلعت طبيعة

أرض الصراع .

زمجر (جلجانوف) ، قائلاً :

- إلا الأرض السوفيتية . إنها تنتهم كس من يقترب منها .

الا تعرفين ما الذى فعلته فى (بوبارث) و (هتير) ؟ ثم

إننا قد اتخذنا كل الإجراءات اللازمة للسيطرة على الموقف ، فور

سقوط الطائرة ، فحاصرنا المنطقة كلها بثلاث فرق من الحدود ،

وفرقه من الكوماندور . وسنحول المستنقعات كلها إلى شعلة من

الضوء ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشية شرسة . قتل ان

يستطرد :

لقد انتهى امر (ادهم صبرى) هذه المرة . انتهى كما

انتهى امر كل العراة الساقين ، الذين سالت دماؤهم على

الثلوج

والنقط نفساً عتيقاً ، قتل ان يصيف

- الثلوج السوفيتية

واتسعت ابتسامته أكثر ..

* * *

(٥) على الرغم من انتصاره الساحق لم يندح (ماسون بوبارث)

فى احتلال (روسيا) بسبب الطقس شديد البرودة الذى لم يجد

حيوره ماضطرباً لاسحاب منها . فى مشهد مأساوى ، بعينه إننا نروا

الأممية باقتدار ، أما (ادولف هتير) فقد بدأ جيشه يدرى موجة الهبة ،

بعد هزيمة على مشرف (موسكو) واضطرب له بالاسحاب يصب ، بسبب

البرودة القارصة ، مما دعا بعض المرحلين إلى يقول بان الثلوج هى درع

(روسيا) الحقيقى ..

شعر (أنهم) مذهشة حقيقية ، عندما لمح أصواء مصباح الجنود السوفيت ، وهي تقترب منه ، على الرغم من أنه لم تمض دقائق بعد على سقوط طائرته وعصم في شيء من السخرية العصبية :

- عجبنا - وكأنما كانوا ينتظرون عدوهم على أحر من الجمر .

كانت الأصواء تسعث من كل جانب ، على نحو يوحى بأنهم يحاصرونه بحطة محكمة ، ثم وضعها والاستعداد لها من قبل ، وعلى الرغم من هذا ، لم يسمح لخوف أو العصب بالسيطرة على أعصابه ، وهو يفكر في سرعة ، بحثاً عن وسيلة للخروج من هذا المازق الحرج ..

وفي حفة ، قفر من العصب أدى بتعلق به إلى الأرض ، وبهذه يرتب الأمور على نحو منطقي ..
وكان هدفه الأول هو الطائرة ..

فالشئ الوحيد الذي سيثير جنون اسوفيت حتمًا ، هو وجود أجهزة الرصد والتجسس داخل الطائرة ، وسيدفعهم هذا إلى الاستماتة في مطاردته ، وسيحبرهم على مواصلة البحث عنه دون توقف ، مهما كانت الأسباب ..

لذا ، فالخطوة المبطية الأولى هي التحصن من دليل الإداة من الطائرة ..

وفي سرعة ، اتجه نحو الحطام ، واسترع عطاء خزان الوقود ، وتمتم :

- وداعًا أيتها الطائرة الجديدة .

وبضربة سريعة مدروسة ، أصاب جسم الخزان بالغطاء المعدني ، فانبعثت شرارة صغيرة ، و ..
واشتعل الوقود ..

وبكل سرعته ، انطلق (أنهم) يعدو مبتعدًا ..
ومن خلفه ، نوى الانفجار ..

ومع موجة التضاعط العيفة ، التي وثها الانفجار ، اندفع جسد (أنهم) إلى الأمام ، وسقط على وجهه فوق الحديد ، الذي يغطي مساحات واسعة من الأرض المحنطة بالمستنقعات ، وزحف جسده لئلا أو أقل قليلًا ، قبل أن يتوقف ، وبهض واقفًا على قدميه ، ويتطلع إلى الطائرة ، التي اشتعلت فيها النيران ..
وكان له هدف مزيج من فعل هذا ..

أولاً سيتخلص إلى حد ما من دليل إدانته ، الذي يكمن في أجهزة التجسس ، المخفاة خلف لوحة قيادة الطائرة وثانيًا ، سيضع في رموس مطاردته احتمالاً ، ولو ضئيلاً ، بأنه قد لقي مصرعه مع هذا الانفجار ، فحنو عملية البحث عنه من الحماس الشديد على الأقل ..

وهكذا لا ينبغي أمامه سوى سؤال واحد .
أين يمكن أن يخفى ؟ ..

كانت الأصواء تقترب أكثر وأكثر ، من البقعة التي اندلعت فيها نيران الطائرة المحترقة ، وعباء تدوران فيما حوله ، بحثًا عن مكان يصلح للاختباء ..

وكان هذا امرًا محيرًا بحق ..

فالمكان كله عبارة عن أرض طينية ، غطي الحديد معظم أجزائها ، وتناثرت فيها أشجار عالية ، على نحو عشوائي ،

تفصل بين كل منها والآخرى مساحة واضحة ، لا تصلح للاختباء ، كما أن حدودها ليست بالصخابة ، كافية لإحباطه . أما المستنقع القريب ، وهو واحد من عدد كبير من المستنقعات ، تنتشر في المنطقة ، فقد عطلت قطع الحديد أجزاء كبيرة من سطحه ، ولم تنزل سوى بقع صغيرة ، لا تكفى للعوض ..

وحتى لو أنها تكفى ، فمن يمكنه احتمال مياه بلغت درجة برودتها هذا الحد ؟ ..

وكان المازق شديداً بالفعل ..

والحصار يضيق أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومن بعيد ، بدأت أصوات الحدود تنبأها إلى مسامعهم ، وهم يتحدثون بالروسية وصياطهم يلقون أوامرهم في صرامة ، ويطلبونهم بدين قصارى جهدهم ، لالقاء القبض على الجاسوس ، الذى أسقطت طائرته ، ويهددونهم بالويل والثبور وعظائم الأمور ، لو أنهم فشلوا في هذا ..

وبعد دراسة سريعة ، لم يجد (أدهم) أمامه سوى سبيل واحد ..

وهي سرعة وخفة ، راح ينسلق إحدى الأشجار العالية ، حتى بلغ قممتها ، فاحتفى بين أغصانها المتشابكة ، وكنتم أنفاسه ، وجلس ينتظر ..

ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى طهر الحدود السوفيت .

ومند اللحظة الأولى ، أدرك (أدهم) أن الخروج من هذا المازق لن يكون سهلاً أبداً ..

فعدد الحدود كان أضخم مما توقع بكثير ، حتى أنهم يضيئون دائرة الحصار في بطناء ، وعلى نحو أشبه بسوار محكم ، بحيث لا يمكنه أن يهاجم أحدهم ، دون أن يلمحه اثنان آخران على الأقل ..

ثم إنهم لا يتحركون جميعاً في اتجاه مركز دائرة الحصار . لقد رتبهم قادتهم في حلقات متتالية ، يقل نصف قطر كل واحد عن سابقتها ، بحيث يكون الخروج من الدائرة عملاً أشبه بالمستحيل ..

بل هو المستحيل ذاته ! ..

وبدأ يكر أمم (أدهم) ، والحال هكذا ، سوى أن يقنع في مكانه .

ويبتظر ..

ومن مكانه ، رأى بضباط والجنود يقتربون من الحطام المشتعل ، وسمع أحد الضباط يأمر الجنود بإطفاء السراة ، فأسرع فريق منهم إلى المكان ، حاملين اسطوانات إطفاء محمولة ، وكانهم استعدوا لهذا الموقف بآيات ، وراحوا يطفئون البيران في سرعة ومهارة ، حتى خمدت نيرانا ، والضابط يقول بصراخه السوفيتية التقبيلية

- أسرعوا - لابد أن نجد ما يمكن إنقاذه ، طفاً للأوامر ، والمعومات تؤكد أنها طائفة تحسُس أسرعوا

أعتقد حاجباً (أدهم) في شدة ، وهو يستمع إلى العبارة الأخيرة ..

إذن فقد كانت هناك معلومات مسبقة عن وصول طائرة
تجسس ١ ..

باللاوغاد ١ ..

الامر كله كان خدعة مدبرة إذن ١ .

حديث (هانز) ، والعرض السخى ، وعملية تهريب
الأسلحة ، وتعيير الموصلة ، والطائرة الجديدة .
كل شيء ..

وهو سقط في الفخ كالغزال الساذج ..

على الرغم من خبرته ، وخبرته ، ومهارته ، لم يستطع تصور
الموقف كما ينبغي ..

وما هو ذا في موقف لا يحسد عليه أبداً ..

وفي أرض قد لا يكتب له الخروج منها قط .

وفي أعماقه ، تولد غضب هانز ..

غضب جعله يقسم أن يدفع (هانز) ورفاقه ، من أفراد
الشبكة الاستكشافية ، النمن غالباً ، لو استطاع العودة إليهم .

ويكن هذه العودة بدت له ، في تلك اللحظة بالذات ، أمراً
عسيراً بعيد المجال ..

وإلى أقصى حد ..

لقد انتهى السوفيت من إطفاء النيران ، وبدأ الصباط
ينظمون صفوف جنودهم ، لمواصلة عملية البحث عنه ،

وتصديق الحصار أكثر وأكثر ..

وبنظرة سريعة ، قدر (ادهم) عدد الجنود المشاركين في
الحصار بأكثر من فرقتين كاملتين ، ولمح بينهم عدداً من جنود
الكوماندوز السوفيت ، الذين تم تدريبهم بحيث تُنتزع الرحمة

من قلوبهم ، وتحل محلها شراسة وحشية ، وقوة مدهشة على
تحمل الألم ، بالإضافة إلى مهارات ممتازة في أساليب القتال
اليدوي ، وفي استخدام مختلف أنواع الأسلحة ..

باختصار . كان هناك جيش سوفيتي صغير يحاصره من
كل الجوانب ..

وفي اهتمام . تعلقت عينا بضابط شاب ، انهلك في توحه
بعض الأوامر . لعدد من الجنود الذين التفوا حوله في حالة

محدودة ، ثم لم يلبثوا أن تفرقوا ، وقد أمسك كل منهم مسدسنا
من نوع خاص ، رفع فوهته إلى السماء ، ثم أطلقه يدوي مكتوم .

وأدرك (ادهم) بسرعة طبيعة القذائف ، التي أطلقتها تلك
المسدسات ، فتراجع بحركة حادة ، ليختفي بين الأعصان ، في

نفس اللحظة التي دوت فيها عدة فرقعات في السماء ، من جراء
تلك القذائف ، قبل أن ينبعث منها ضوء مبهز ، أحال طلعة الليل

إلى نهار مشرق ..

وفي بطنه ، راحت قذائف الصوء المبهز تهبط ، بوساطة
مظلات صغيرة ، لتضيء المكان لأطول وقت ممكن .

وضاقت الحلقة أكثر وأكثر ..

وشعر (ادهم) أن فرصته في النجاة تنحصر ، وتنخفض ،
وتنحصر ، مع كل خطوة جديدة يقدم عليها السوفيت ، وتعلق

بصره بعدد من الجنود ، الذين وصلوا إلى المكان ، على متن
دراجات آلية خاصة ، محملة برحاحات إضافية بلجلد ، وقفزت

إلى ذهنه فكرة مجبوبة

والعجيب أنها كانت ، وعلى الرغم من جدوها ، منطقية
للغاية ..

لقد سال نفسه : لماذا ينتظر ؟

ربما لا يلحقه الآن ، ولكن هذا سيحدث إن عاجلاً أو آجلاً ..
إنه يعرف السوفيت جيداً .

صحيح أنهم عصبيون مترمون
ولكنهم ليسوا أعياء
ليسوا كذلك أبداً

إنهم سيدركون - وبسرعة - أنه لم يلق حتفه داخل الطائرة ،
وأنه ليس في مكان ما حولهم ، وسينتفعون حثيثاً إلى الأشجار .
وسيبحثون عنه هناك ..

وسيكون عندئذ قد فقد بالفعل أى أمل في النجاة
إذن فلا مفرر للانتظار ..
ولا للبقاء ..

وكعادة (أدهم) ، لم تكن الفكرة تستقر في رأسه ، وبصاف
هوى في نفسه ، حتى وضعها على الفور موضع التنفيذ
ودون أن يضع ثانية واحدة إضافية ..
وقفز .

كان الجنود السوفيت منهمكين في البحث عنه بين الأشجار
عندما فوجئوا به يقص على رعوسهم من أعلاها كاصبغة
وفي نفس الثانية ، التي انقصر فيها ، حطمت قبعته فك
أحدهم ، وركلت قدمه اليمنى سلاح الثاني ، في حين قهرزت
اليمنى لتعوض في معدة الثالث ..

وصرخ أحد الضباط :
- ها هو ذا .

ومع صرخته ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية نحو (أدهم)
في سرعة ..

وانطلقت الديران ..

وطبعتته العظمية ، يكره (أدهم) في المعتاد القتل
والدمير ، ولا يميل إلى اللجوء إليهما إلا مضطراً ، ولكن في
هذا الموقف بالذات لم يكن لديه خيار ..
لقد كانت معادلة بسيطة للغاية ..
إما هم أو هو ..

ولم يكن الاختيار عسيراً ..

وبسرعة تفوق سرعتهم محتمين ، اختطف (أدهم) المدفع
الآلي ، الخاص بأحد الجنود الثلاثة ، اندين اشتبك معهم منذ
لحظة واحدة ، ثملقى نفسه أرضاً ، وراح يطلق النار بدوره
ومع اللحظة الأولى ، أدرك السوفيت أى خصم يواجهون ..
لقد أصابت كل رصاصة انطلقت من المدفع هدفها بالضبط ،
وكانما كانت معبوبة باسمه ، وتساقط الجنود كالذياب ، وهم
يصرخون ويتأوهون ، على الرغم من أن أحدهم لم يصب في
مقتل ..

وقبل أن يمحى أثر مفاجأة القتال الأول ، قفز (أدهم) واقفاً
على قدميه ، وانطلق يعدو نحو أحد الجنود ، راكبي الدراجات
الآلية ذات التلجيات ، ووثب بركله في وجهه ، ويلقيه عن متن
دراجته ، وهو يقول :

- معبرة يا هذا ، ولكنني مضطر لاستعارتها .

وفي غضب هائل ، هتف ضابط سوفيتي :

- أوقفوه .. لا تسمحوا له بالفرار .

أدار (أدهم) محرك الدراجة ، وهو يستدير إلى حيث يقف
ذلك الضابط ، ويطلق ديران المدفع الآلي فوق الرعوس في غزارة .

فانبطح الجميع أرضاً لبعادى رصاصاته ، وخاصة بعدما راوا
من براعته المدهشة فى إصابة أهدافه ..

وفى نفس اللحظة ، التى انخفضت فيها وعوسهم ، انطلق
هو بالدراجة الآلية ..

واحتقر وجه الصابط السوفيتى ، وبهض يصرخ فى ثورة ،
وهو يشير إليه :

- اطلقوا النار .. لا أريده حياً .

انطلقت رصاصات الجنود خلف الدراجة الآلية فى غزارة ،
وشعر (أدهم) ببعضها يرتطم بجسمها ، ويرصاصة تفوخ
فى ساقه اليسرى ، إلا أن هذا لم يوقفه لحظة واحدة ، وإنما
واصل انطلاقه بين الأشجار بسرعة كبيرة ، وهو يتفادها ،
ويدور حولها بمهارة مدهشة ..

وفى ثورة ، صرخ ضابط آخر :

- لا يمكن أن تسمحوا له بالفرار - ابن رجال الكوماندوز -

ولم تكن هناك حاجة فعلية لصرخته هذه ..

ففى نفس اللحظة انتهى انطلق فيها (أدهم) بالدراجة الآلية
بين الأشجار ، انطلق رجال الكوماندوز الستة من راكمى
الدراجات خلفه ..

وكانت مطاردة رهيبه ، بين الأشجار العالية ، وفوق الجليد
السوفيتى ..

مطاردة بين محترفين ..

وانطلقت ورصاصات رجال الكوماندوز السوفيت الستة نحو
دراجة (أدهم) الذى انطلق بها بأقصى سرعتها ، على الرغم
من صعوبة المكان ، وانتشار الأشجار به على نحو عشوائى .

ولأنه لم يكن ينطلق أبداً فى خط مستقيم ، فقد أخطأته كل
الرصاصات تقريباً ، وخاصة عندما يدور حول جذع شجرة ، أو
ينطق بزاوية حرجة بين جذعين آخرين ..

كان بثبت مهارة مدهشة فى القيادة ، وقدرة فذة على التحكم
فى مساره واتجاهه ، على الرغم من أنه لم يقدر مثل هذه
الدراجات الآلية الجليدية من قبل إلا نادراً ، ومن أن مطارديه
نلقوا تدريبات طويلة ومكثفة عليها ، قبل أن يلتحقوا بالعمل
كرجال كوماندوز محترفين ..

ولأن الانطلاق بهذه السرعة ، وفى مكان كهذا ، كان أمراً
شديد الصعوبة بالفعل ، فقد فشل أحد رجال الكوماندوز الستة
فى تعادى جذع شجرة ما بآسرة المناسبة ، فارتطم به فى
عنف ، وطار عن متن دراجته الآلية لثلاثة أمتار ، قبل أن يسقط
فوق الجليد ، ويدفع جسده فوقه لثلاثة أمتار أخرى ، ثم يرتطم
رأسه بجذع شجرة ثانية

أما الخمسة الآخرون ، فقد واصلوا المطاردة ، وهم يطلقون
نيران مدافعهم نحو (أدهم) ، فى محاولة مستميتة لإصطباذه
ثم لاح ذلك المستنقع بعثة ..

كان يعترض طريق (أدهم) ، على مسافة تقل عن عشرة
أمتار ، ويمتد لمساحة واسعة ، وقد تعاثرت على سطحه كتل
الجليد السميك ، وحلت أجزاء أخرى منها ، فهدت منها مياهه
القدرة ، على الصوء الباهت ، القادم من بعيد . من المصابيح
الصناعية فى السماء . وانتهى بدا ضوءها يخضو تدريجياً ، وهى
تواصل هبوطها بالمطلات الصغيرة ..

ولم يكن هناك مجال للتوقف ، فالتوقف معناه أن تصيبه

رصاصات مطاردة الشرسة ، وان يصح هدفاً سهلاً لمهارتهم
في التصويب على الأجسام الثابتة ..

وهو يعلم أنه من المستحيل أن يخطئ مثلهم إصابة هدف
مثله ، عندما يتوقف بعتة ، أو يستدير لمواجهةهم .

وهذا يعني أنه ليس أمامه سوى الاستمرار ..

وهو قطع غير مترابطة من كتل الجلدية

ولأنه اتخذ قراره بسرعة البرق ، فإن (أدهم) لم يتوقف
لحظة واحدة ، وإنما راد من سرعة دراجته نسبياً ، وقفز بها من
الأرض المعطاة بالجليد ، إلى كتل الصلبة على سطح
المستنقع ..

وكان المشهد مهراً بحق

لقد انطلقت الدراجة تنب من كتلة جلدية إلى أخرى ، في
ليونة مذهشة ، كما لو كانت حجراً أملس ، القاه أحدهم أيقياً
في براعة ، فوق سطح الماء ، من راوية حادة ، فراح يتغافل فوقه
في اندفاعه إلى الأمام ..

ولأن المشهد كان مهراً للغاية ، فقد اتسعت عينا اثنين من
رجال الكوماندوز ، وضغطا فرامل دراجتهما بحركة غريزية ،
قبل أن يبلغا المستنقع ، فتوقفت الدراجتان بغتة ، وانزلقنا على
الجليد بفعل القصور الذاتي ، ثم انقلبنا براكبيهما في عصف

أما الدراجات الثلاث الأخرى ، فقد انطبق بها راكبوها فوق
الكتل الجلدية ، وقد وقر في نفوسهم أنه مادام (أدهم) قد
فعلها ، فهم قانرون أيضاً على فعلها ..

والواقع أن اثنين منهم نجحوا في هذا بالفعل

وبنفس مهارة (أدهم) تقريباً ..

أما الثالث ، فقد أخطأ مساره مرة واحدة ، بفعل السرعة
التي ينطبق بها ، وبدلاً من أن تنب دراجته الألية إلى الكتلة
الجلدية التالية ، سقطت في مياه المستنقع المثلجة ، وغاصت
فيها كالجر ..

وهكذا عبر (أدهم) المستنقع ، وقد انخفض عدد مطارديه
من ستة إلى اثنين فحسب ..

ولكن المطارية لم تتوقف بعد ..

وهي حرم ، ضغط أحد المطاردين زر جهاز الاتصال ، المثلث
في دراجته الألية ، وقال :

- مارالت المطاردة مستمرة فعديا نشى الفريق حتى هذه
اللحظة الهدف يتجه نحو البقعة (٧ - د) ، على متن واحدة
من دراجاتنا البخارية .. استعدوا لملاقاته ..

لم يستقبل جهاز الاتصال في دراجة (أدهم) هذه الرسالة ؛
لأن السوفيتي استخدم موجة اتصال خاصة ، استقبلها فريق
من الكوماندوز ، عند البقعة (٧ - د) ، فهاشوا لاعتراض طريق
(أدهم) ، واستقبلها أيضاً جهاز اللاسلكي في الهيبوكويتز ،
فابعقد حاجبا (جلجاووف) في شدة ، في حين هبفت (هيلجا)
في نهشة :

- المطاردة مستمرة !^{١٠} إذن فقد نجح (أدهم صبرى) من
الحصار الأول بالفعل !^{١١}

لم يجب (جلجاووف) ، وارثم على ملامحه مزيج من
الغضب والنعمة ، وهو يرت على كتف الطيار ، قائلاً -

انطلق إني اسبعة (٧ - د) مباشرة

أطاعه الطيار دور مناقشة ، و (هيلجا) تقول في شيء من
الشماعة :

- لقد فقدوا ثلثي فريق المطاردة -

التفت إليها (جلعافوف) بحركة حادة ، قاتلاً في غضب

- إلى أي فريق تنتمين يا (هيلجا) ؟

اجابته بسرعة :

- إلى فريقنا بالطبع يا (يوري) ، وكفى لا استطيع إلقاء

دهشتي لبراءة ذلك الرجل -

لوح (جلعافوف) بذراعه كلها في حدة ، هاتفاً

- هراء ليست مسألة براءة إنه مخطوط محض

كادت تدفح صراحة في سحرية ، وبكفيها تماسكت في

اللحظة الأخيرة ، وسيطرت على أفعالها تماماً ، وفي نفوس

- مخطوط ؟ من تعتقد أن الرجل الذي يمدح في الفرار

من حصار حلقى ، هو مجرد رجل مخطوط ؟

قال في عصبية :

- ستريين

كان يقف عليها بشدة ، لأنها حررت على أسوح بما يمرق

كرامته بالفعل ، فهو يدرك منها أن ما فعله (ادشم) ، حتى هذه

اللحظة ، يشفأ بالفعل عن براءة حقيقية ، وحرارة ومهارة

مدهشتين ، ولكنه كان يأمل أن تخدله مهارته وبراعته ، عندما

يفاجئته الرجال ، عند المقعة (٧ - د) ..

وعندما تحسرت الهيوكوونتر فمم مجموعة من الأشجار ،

لاحت لها مساحة خابية كبيرة ، شقها بطريق بوحده الصالح

لسير الدراجات الآلية ، وبدت لهم فرقة الكوماندور من بعد ،

وهي تعترضه بسيارة نصف مصفحة ، وبسنة من الجيوب

بالمدافع الآلية ، عند المقعة (٧ - د) ..

ومن الناحية المصادفة ، انضحت لهم دراجة (ادشم) ، وهي
تطلق نحو المقعة ذاتها بسرعة كبيرة ، وخلفها الدراجتان
المطاربتان ..

وفي لهمة حقيقية ، هتفت (هيلجا) :

- ها هو ذا !

رمقها (جلعافوف) ببطرة غاضبة ، وقال محدداً

لست أدري لماذا يلوح لى أحداً ، أيتها النقيب

(مارويسكى) ، أنك شديدة الإعجاب بهذا الرجل

كأن يتوقع منها أن تنكر هذا أو تستنكره أو تهبط للدفاع

عن نفسها ، ودفع هذه التهمة عنها ، إلا أنه فوجئ بها تحيب

في لهجة جافة ، تحمل نبرة تحد :

- بالتأكيد .. أنا معجبة به للغاية .

هتف بدهشة غاضبة :

- إنه عدونا .

هزت كتفها ، قائلة :

ومن قال إنه من الضروري ألا تعجب بخصمك ؟ قاتله

بكل قوتك ، ولكن اعترف له بالمهارة والبراعة هذا أسلوب

قال في حدة غاضبة :

- هكذا .

ثم عطش شفتيه بشدة ، مستطرداً :

عليك أيتها النقيب (مارويسكى) سنناقش هذا عند

عودتنا إلى القاعدة .

وصرخ مضيفاً :

- وبصفة رسمية .

بدأ انهيار الشوج في التاسعة وأصنف تقريباً ، عندما وصل العقيد (فيدور كوزيريف) إلى مكتبه ، في إدارة مكافحة التجسس ، في المخابرات السوفيتية ، ولقد وقف إلى جوار نافذة حرفته ، ينظف إلى الجليد المهر بصع لحظات ، قبل أن ينادى سكرتيه ، ويسأله في اهتمام :

- هل من أخبار ، بشأن طائرة التجسس ، التي سقطت في (فالين) ؟

لوح سكرتيه بأخر التقارير الواردة ، وهو يجيب .
- الطائرة انفجرت ، واشتعلت فيها النيران ، ولكن رجالنا نجحوا في إطفائها ، والحمراء في طريقهم بفحصها الآن

سأله (كوزيريف) في توتر :

- وماذا عن الجاسوس ؟

مط السكرتيه شففيه ، وتردد لحظة ، قبل أن يجيب .

- لقد نجح في الخروج من الحصار .

التمت إليه (كوزيريف) في حركة حادة للنعاية ، وهو يهتف

- نجح ١ ؟

تراجع السكرتيه في سرعة ، وكأنما ارتطم به الهاتف ، وقال .

- ولكن رجال الكوماندور يطارونه ، ويعصهم يعترض

طريقه ، عند البقعة (٧ - د) ،

النقى صاحباً (كوزيريف) وهو يقول في عصبية

- وكيف يطارونه ؟

أجابه السكرتيه :

هزت كتفها مرة أخرى في لا مبالاة ، واشتاحت بوجهها عنه ، فغطم غيظه لحظات في صعوبة ، ثم لم يلبث أن التفت بوق جهاز اللاسلكي ، وفرغه عبره ، وهو يقول في حدة

- هنا الرائد (حلحانوف) ، من المخابرات السوفيتية

لا توجد أوامر بإلقاء القبض على الحاسوس حياً - أطلقوا النار فور رؤيته .

نطقها وهو يرمق (هيلجا) بفطرة شامنة مشفوية ، وكأنما يقصدها وحدها بهذا الأمر المباشر ، ويكر فريق الكوماندور عند البقعة (٧ - د) استقبل الأمر على نحو رسمي تماماً ، واستعد الجميع بمدافعهم الآلية ، وصوبوها إلى الطريق ، و

ولاحت دراجة (آدم) الآلية ، وهي تنصق نحوهم بسرعة مذهشة .

وجذب الرجال أزيدة مدافعهم في أن واحد ..

وانطلقت الرصاصات بدوي هائل ..

وسالت الدماء في غزارة ..

على الجليد السوفيتي .

* * *

- بدراجاتهم الآلية .

قال (كوزيريف) فى حدة :

وكيف يفشل رجال الكوماندوز ، بكل مسيراتهم وتدريباتهم ، وعلى متن دراجاتهم الحليدية الآلية ، فى الحاق برجل واحد ، مهما سعت سرعة ركضه على الحليد .

تفصح سكرتيره فى حرج ، وهو يجيب :

- معدرة ايها الرفيق العقيد ، وكر الحاسوس لا يركض على الحليد ، لقد استولى على إحدى الدراجات الآلية ، و قاطعه (كوزيريف) بصرخة هادرة :

- استولى على ماذا ؟

تراجع السكرتير اكثر واكثر ، واحاب مصطربا

على دراجة بحارية ايها الرفيق العقيد . لمست لدى اية تفاصيل عن الوسيلة ، التى فعر بها هذا ، ولكنهم يتأردونه فى إلحاح ،

اطل العصب من كل حلحة من حجابات كوزيريف ، وهو يشد قامته ، ويسال فى حدة :

- وكم تبقى منهم ؟

بدت الدهشة على وجه السكرتير ، وهو يعدم

- ماذا تقول يا سيدى ؟

صاح به (كوزيريف) كشلال هادر :

اقول كم تبقى منهم ، كم تبقى من اسودبا البواسل ، كم رجلاً منهم سقط ، قبل ان يطهروا ذلك الحاسوس رند السكرتير فى دهشة :

- إنهم افضل رجالنا ، ايها الرفيق العقيد .

صرخ (كوزيريف) فى وجهه :

- وهذا افضل رجل محابرات على العالم .. هل يمكنك ان تفهم هذا ؟

اتسعت عينا السكرتير عن احدهما ، وكادت الدهشة تعصف بنفسه ، وهو يتمتم :

- افضل من رجال محابراتنا ايها الرفيق ؟

تراجع (كوزيريف) امام السؤال ، والتقط نفساً عميقاً ، يملأ به صدره ، فى محاولة للسيطرة على اعصابه ، قبل ان يقول فى نوتر :

- من يبرى ؟

ثم عاد يلتقط نفساً آخر ، ويستطرد فى شروء .

- إنه ليس بالرجل الهين على الأقل .

او ما السكرتير براسه منهيناً ، وهو يجيب

- لهذا خرج الرفيق الرائد (جلجاووف) لمطارده بنفسه

انعقد حاجباً (كوزيريف) ، وهو يتمتم :

- (جلجاووف) خرج لمطارده بنفسه ؟ عجباً

ثم لم يصف بعدها حرفاً اخر ، وإن بررت فى ذهبه افكار كثيرة ..

وعجبة ! ..

* * *

فجأة ، رأى (ادهم) فريق الكوماندوز ، الذى يعترض طريقه ، وهو يحرف بالدراجة الآلية ، متجاوزاً منطقة المستنقع . وفى نفس اللحظة تقريباً ، انطلقت الرصاصات السوفيتية كان الرجال محترمين بحق ، وكابت اصابعهم متحفزة على

أرسل مدافعهم رمية ، وما إن لمحوه ، حتى اعتصرت أصابعهم
الأزمنة ، وابتلغت رصاصاتهم بلا هوانة ..

ولكنه أيضًا كان محترقًا ..

وبمقارنة براعته بسراعتهم ، يكن اعتبارهم مجموعة من
الهواة ، يحطون خطواتهم الأولى في عالم الاحتراف
ففي نفس اللحظة ، التي لمحهم فيها ، وفوجئت مدافعهم
مضوبة نحوه ، استوعب عقبه الموقف كله ، ودرسه جيدًا ،
وتوصل إلى خطة لمواجهة ..

بل ووضعها موضع التنفيذ أيضًا ..

وبسرعة البرق ، ومع انطلاق رصاصات رجال الكوماندوز ،
كان يحرف سيارته خارج الطريق المستوى ، ويثب بها نحو
المنحدر إلى يمينه ..

وتجاوزته رصاصاتهم إلا واحدة ، مزقت جردًا من سمترته
الجديدة ، ولحم ذراعه ، قبل أن تواصل طريقها ، لتخترق جسد
أحد رجلى الكوماندور اللذين بطاردانه ، مع عدد من
الرصاصات الأخرى ، فابتلقت من حلقه شهقة مكنومة ، وسقط
عن دراجته ، وتدحرج على الحليد ، أدى اصطغ بدمه ، في
حين انحرف رجل الكوماندور الثانى ليواصل المطاردة فوق
المنحدر ..

وفي غضب ، ومن موقعه فى الهيلوكوبتر ، هتف
(جلاجوف) :

- اللعة ! .. هؤلاء الأغبياء قتلوا أحد زملائهم .

انتسمت (هيلجا) فى سخريه ، متمتعة :

- ربما لأنه محظوظ .

رمقها بنظرة غاضبة ، ثم ربت على كتف الطيار فى حدة ،
هاتقًا :

- لا تتوقف هنا يا رجل .. واصل تعقبه .. هيا .

كظم الطيار غيظه من هذا الأسلوب الجاف الغليظ ، وواصل
انطلاقته خلف (أدهم) ، الذى راح ينحدر بدراجته الجديدة
فوق المنحدر بسرعة مخيفة ، ورجل الكوماندوز السوفيتى
ينطلق خلفه ، ويطلق رصاصاته نحوه فى غضب ..

ومرة أخرى ، أصابت الرصاصات جسم الدراجة الآلية
وكادت تخرق ساق (أدهم) ، إلا أنه انحرف براوية حادة
لبنفادها ، و ...

وفجأة ، أصابت رصاصة الإطار الخلفى للدراجة .
ونسفته ..

وعلى الرغم من أن الدراجة تنطلق فعليًا على زحافات
خاصة إلا أن الانفجار المتأخر للإطار أخل بتوازنها فى عطف ،
فماالت على نحو مخيف ..

وانقبت على جانبيها ..

وفى عطف ، انزلق جسد (أدهم) فوق الجليد وراح يتدحرج ،
حتى توقف بالقرب من جذع شجرة كبيرة ..

وفى فرح غامر ، صرخ (جلاجوف) داخل الهيلوكوبتر :

- سقط .. لقد سقط .. سيظهر به رحلنا الآن .

غممعت (هيلجا) :

- هل تعتقد هذا حقًا ؟

انعقد حاجباه فى شدة ، وهتف محنقًا :

- سترين .

في نفس اللحظة التي نطق فيها عبارته ، كان رجل الكوماندوز السوفييتي ينفق نحو (ادهم) مباشرة ، وهو يطلق صرخة قتالية طاهرة ، ويطلق رصاصات مدفعه في غزارة .. وقفز (ادهم) يحتتمي بحذع ا.تسجرة الضخم ، ثم دار حوله في خفة مذهشة ، وبرر من حاسبه الآخر ، ليغضن نعمة على رجل الكوماندوز ، ويثبت عاليًا ، ثم يكتم صرخته الطاهرة مركلة قوية ، أصابت وجهه ، وانترعبه من فوق دراجته الآلية ، لتلقى به على مسافة ثلاثة أمتار ..

ويرد فعل مباشر ، ودون أن تنبئه إلى قولها ، هتفت (هيلجا) في حماس :
- لقد فعلها !!

ابعد حاجبا (جلجانوف) في شدة ، وراقب (ادهم) ، الذي قفز فوق الدراجة التي سقط عنها السوفييتي ، وانطلق بها مواصلاً طريقه ، ثم رنت على كتف الطيار مرة أخرى ، هاتفاً في حلق :

- قل لي يا رجل البست هذه الطائرة مروّدة بمدفع الى ؟
اجابه الطيار بسرعة :

- بالطبع .. إنها مروّدة بمدفعين .

صاح به (جلجانوف) في حدة :

- ماذا تنتظر إذن ؟ .. اسحقه بهما يا رجل .

رفع الطيار احد حاجبيه ، وهو يجيب في ارتياح :

- على الرحب والسعة أيها الرفيق الرائد .

قالها ، ودار بالهليوكوبتر ، لواجه (ادهم) ، الذي يبرلق

بالدراجة فوق المنحدر بسرعة مخيفة ، و ...

وأطلق النار ..

ولم تكن مفاجأة له (ادهم) ..

نقد توقع هذا ، واستعد له ، وتحرك بسرعة مذهشة ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها الرصاصات .

وعلى الرغم من مهارة الطيار ، وبراغته في إطلاق النار ، إلا أنه فوجئ بـ (ادهم) ينحرف بالدراجة في حركة حادة رشيقة ، ويتفادى الرصاصات المنهمرة ، فهتف في حلق :

- اللعبة ! .. كيف فعل هذا ؟

كانت (هيلجا) تنهجر ضاحكة ، وهي تقول :

- من يدري ؟ .. ربما كان محظوظاً .

صاح بها (جلجانوف) في غضب :

- ماذا هناك أيتها الرفيق (مارونسكي) ؟ .. هل انسك

ابهارك بهذا الجاسوس واحبك ؟

قالت في صرامة :

- ربما .. تماماً مثلما انسكما مهارتكما .

احتقر وجه (جلجانوف) ، وصاح بالطيار

- هل سمعت يا رجل ؟ .. فشك في إصابته جعل السماء

تسخر منا .

عصر الطيار شفته السفلى في غيظ ، ودار بالهليوكوبتر مرة

أخرى ، ليلحق بدراجة (ادهم) الآلية ، ثم التف حولها

ليواجهها ، وهي تندفع نحوه بأقصى سرعتها ، وأمسك عصا

القيادة في قوة ، وإبهامه يستعد لضغط زر مدفعها ، هاتفاً .

- قل للجاسوس وداعاً أيها الرفيق الرائد سنسحقه

رصاصاتنا حتماً هذه المرة .

قديماً ، وهو بصوب مدعى الهليوكوتر نحو (أدهم)
مباشرة ..

وضغط الزناد ..

ولكن (أدهم) باغته مرة أخرى ..

ففي نفس اللحظة ، انشعب ضعت فيها الطيار الزناد ، انصرف
(أدهم) نحو صحرة بارزة ، وانجبه نحوها مباشرة ، وتنادى
الرصاصة المسهورة ، ثم ارتطم بالصخرة على نحو مدروس ،
وجذب معود الدراجة الآلية بحركة خاصة ..
وقهر

قهر بالدراجة نحو الهليوكوتر ، التي تحلق على ارتفاع
مستقر ، فالتسعت عيون ركبائها ، وهم يحدثون في ذلك
المشهد ، وقد بدا لهم (أدهم) كساحر عجيب ، حول الدراجة
معة إلى طائرة صغيرة ، اندفعت نحوهم مباشرة
وصرخ (جليانوف) في الطيار :
- ارتفع يا رجل .. اسرع .

كان المشهد مذهلاً ، بالنسبة للطيار ، فجمدت
أصابعه على عصا القيادة لجزء من الثانية ، ثم لم يلبث أن
استحسن في عصف ، وجذب عصا القيادة ، وضغط زر إطلاق أسار ،
وهو يصرخ :
- يا للشيطان !

وابطلقت الرصاصات تخترق جسم الدراجة الآلية ، في نفس
اللحظة انشعب ارتفعت فيها الهليوكوتر ، والتي وثب
فيها (أدهم) في الهواء ..
وكان المشهد مزيجاً على نحو عجيب ..



لقد توقع هذا ، واستعد له ، وتحرك بسرعة مذهلة ،

في نفس اللحظة التي انطلقت فيها الرصاصات

ومنهـر ..

(أدهم) يطير فى الهواء والهلوكوبتر ترتفع ، والدراحة تهوى مشتعلة ، و ..

وتعلق (أدهم) بالإطار السفلى للهلوكوبتر ، فى نفس اللحظة التى انفجرت فيها الدراجة فى الهواء ، وصرخت (هيلجا) فى ارتياح :

- احترس أيها الرفيق الطيار .. احترس .

انحرف الطيار بالهلوكوبتر فى حركة حادة ، ومدّ (جلجانوف) يده يبتزع مسدسه من غمده ، و ..

وفوجئ الثلاثة بـ (أدهم) داخل الهلوكوبتر ، التى وثب إليها برشاقة مذهلة ، وهو يهتف ساخرًا :

- مرحبًا أيها السادة .. هل يزعجكم وجودى ؟

أدار (جلجانوف) فوهة مسدسه نحوه فى سرعة ، وهو يصرخ :

- لا .. لن تصل إلينا بسهولة .

تحرك (أدهم) بسرعة البرق ، وضرب يد (جلجانوف) بقبضته ، فاطاح بمسدسه ، وهو يقول :

- ولكنى وصلت بالفعل يا هذا .

ثم هوى على فك الرائد السوفيتى بنكمة كالقنبلة ، مستطردًا :

- وربما ترحل أنت .

سقط المسدس بين ساقى الطيار ، الذى أصابه الهلع . مع دخول (أدهم) المفاجئ إلى الهلوكوبتر ، فانحرف بالطائرة على نحو عشوائى مدعور ، وهو يختطف المسدس ، صارخًا :

- لا .. ابتعد عني .

وضغط الزناد ..

وامطلقت الرصاصة ..

وفى نفس اللحظة التى مالت فيها الهلوكوبتر فى عنف ، احتكت الرصاصة بجسده (أدهم) الذى تراجع بحركة غريزية عنيفة ، و ..

واندفع جسده خارج الهلوكوبتر بغتة ..

وفى سرعة ، وثبت يده محاولة التشبث بإطار الداب ، ولكن أصابعه التى أصابها البرد والتعب لم تلتقطه جيدًا ، هافلت يده الإطار ، واختل توازنه ، و هوى

هوى من الهلوكوبتر ، من ارتفاع يزيد على العشرين مترًا ، نحو المحذر المغطى بالجليد مباشرة ..

ولم يكن هناك ما يمكن أن يتشبث به ..

وبسرعة ، لسى (أدهم) ركبتيه ، وصمتهما إلى صدره ، فى محاولة لانقضاء عصف السقوط ..

ولكن هذا لم يمنع ارتطام جسده بالجليد فى قوة ، وتدحرجه فوقه فى عنف ..

وكانت الآلام رهيبة ..

وعندما حاول (أدهم) النهوض ، أدرك أن نتيجة السقوط كانت فادحة بحق ..

لقد دار رأسه فى عنف ، وتصاعدت صرخات الألم من كل شبر فى جسده ، وفقدت اطرافه سرعة تجاوبها

كل هذا والطيار يعض عليه بالهلوكوبتر ، و (جلجانوف) يصرخ ، وهو يمسك فكه فى ألم وغضب :

- لا تضع هذه الفرصة يا رجل .. أطلق النار .. أطلق النار
بلا تردد ..
وفي هذه المرة لم تكن هناك وسيلة واحدة للنجاة ..
على الإطلاق ..

* * *

« ولماذا تشعر بالقلق ؟ »
لقى رئيس جهاز المخابرات السوفيتي السؤال ، على العقيد
(كوزيريف) ، وهو يتطلع إليه في قلق واهتمام ، فتنهّد
(كوزيريف) ، قبل أن يجيب
- من الطبيعي أن أشعر بالقلق ، عندما يصير (جلجاوف)
على تولي الأمر بنفسه ! فكلنا نعلم أن (جلجاوف) عصبي
ومتهور ، وربما يفيض به الحماس ، فيغرق فيه عقله ، ويقدم
على قتل (اداهم صبرى) بلا تروأ أو تفكير
انعقد حاجبا رئيسه ، وهو يقول في حذر :
- وماذا لو أنه فعل ؟
اجاب (كوزيريف) في سرعة ، وكأنه كان ينتظر هذا السؤال
ويتوقعه .

- سنخسر بهذا أقوى قضية جاسوسية في تاريخنا
انعقد حاجبا رئيسه ، وأطلق من عينيه نظرة متسائلة ،
فتابع (كوزيريف) :
- لقد نجحنا في إسقاط الطائرة ، ولن تضي ساعة واحدة ،
حتى يصدر خبراؤنا تقريرهم ، الذي يؤكد وجود أجهزة رصد
وتجسس بها ، طبقا لما بلغنا من معلومات ، فالحريق الذي
أصاب الطائرة لن يتلف الأجهزة تمامًا .. وعندما نعلن الأمر

للعالم أجمع ، لن يكون لدينا ما نؤيد به قولنا ، سوى حطام
طائرة ، وجثة رجل ندعى أنه جاسوس مصري . امور يمكن
تفنيدها وإنكارها ، فما الذي يهم المصريين من جاسوس لقي
مصرعه ؟

قال رئيسه في حذر :
اتعنى أن إلقاء القبض عليه حيا ، يمثل فائدة اكبر ؟
هتف (كوزيريف) في حماس :
- بالتأكيد . إلقاء القبض عليه حيا يعنى وجود متهم ،
واعترافات ، وشخص يخشى المصريون بقاءه في قمضتنا ،
ومفاوضات ، ومساومات . باختصار . حياته تعنى انتصارنا
العلنى على المصريين
انعقد حاجبا رئيسه ، وهو يدير الأمر في رأسه ، ثم لم يلبث
أن غمغم :
- يا إلهي ! إنك على حق بالفعل .. إنها قضية العصر .
ثم رفع عينيه إلى (كوزيريف) ، مستطرذا في حماس :
- أجز اتصالك بالرفيق (جلجاوف) على الفور ، واطلب
منه ألا يقتل ذلك الرجل .. أسرع .
تنحى (كوزيريف) ، قبل أن يقول :
- معذرة أيها الرفيق الرئيس ، ولكن في مثل هذا الموقف
الشديد الحساسية ، اعتقد أنه من الأفضل أن تبلغ أنت
الرفيق (جلجاوف) هذا الأمر بنفسك .. سيكون لهذا وقع
أفضل .
انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يفكر فيما قاله (كوزيريف)
جيذا ، ثم قال في حسم :

- فليكن .. صلتى به .

اسرع ، كوريريف (يضغط ازرار الهاتف ، وهو يقول

- على الرحب والسعة يا سيدى ، ولكن المهم ان يصل إلى
(جليجانوف) ، قبل ينفذ ماريه وان يتصل به فى الوقت
المناسب ..

نعم ليس المهم فقط ان نحدد (جليجانوف) يا ، كوريريف (المهم ان تجده فى الوقت المناسب ..
وقبل ان ينفذ ماريه ..

* * *

ابعد حاجبا مدير المحادثات المصرية فى شدة ، وهو يهتف
فى وجه مساعده فى انزعاج شديد :

(ادهم صبرى) محاصر فى الاتحاد السوفيتى .. انت
والق من هذه المعلومة يا رجل ١٩
اجابه مساعده فى توتر :

- تمام الثقة يا سيدى عميلنا فى الاتحاد السوفيتى ارسل
برقية شفرية لاسلكية عاجلة ، يؤكد فيها هذا .
تراجع المدير فى مقعده مبهوتا ، وهو يسأل :

وما شان (ادهم) بالاتحاد السوفيتى ١٩ مهمته كانت
تتخصص فى (فنلندا) وحدها !
هز مساعده راسه فى حيرة ، مجيبا :

لا احد يدري ماذا حدث بالضبط يا سيدى ، ولكن رجالنا
فى (هلسنكى) يؤكدون ان سيادة العقيد (ادهم) قد اقلع
بطائرة جديدة ، منذ اكثر من خمس ساعات ، ولم يعد بعد ، او
يقوم باى اتصال لاسلكى .

شحب وجه المدير ، وهو يتمتم :

رباه لا ريب فى انهم ارسلوه إلى الاتحاد السوفيتى
لسبب ما .

سأله مساعده فى قلق :

- ماذا تفعل يا سيدى ؟

قلب المدير كفيه فى حيرة ، متمتما :

- وماذا يمكننا ان نفعل ١٩ .. إنما نهتقر إلى كل المعلومات
الأساسية .

ثم اعتدل بحركة حادة ، مستطردا فى حزم :

- اتصل فورا بعميلنا هذا ، واطلب منه ان يوافينا بكل
ما يمكنه من معلومات ، فور حصوله عليها .

قال مساعده فى اهتمام :

- هل نطلب منه التدخل ؟

هز المدير راسه نفيا ، وقال :

كلأ موقعه لا يسمح له بهذا فقط اطلب منه مديا
بالمعلومات .

ثم التقى حاجبا ، وهو يستطرد فى حزم :

- المهم ان يمدنا بها فى الوقت المناسب .

سأله مساعده فى قلق :

اتحشى ان يقتلوا سيادة العقيد (ادهم) يا سيدى ؟

تطلع إليه المدير ، مرتدا :

- يقتلوه ١٩

ثم عاد يشره ببصره ، وهو يضيف فى حزم :

- فى سد مثل الاتحاد السوفيتى لا يقلق كثيرا ان يقتلوا
رجلك .. وإنما يقلقك ان يظهروا به حيا .

ومط شفتيه ، وهز رأسه ، قبل أن يستطرد في مرارة :
- فهذا هو العذاب الحقيقي ..

* * *

كان الطيار يصوب مدفعي الهليوكوبتر نحو (أدهم) ،
ويستعد لضغط زر إطلاقهما ، في قعة عصا القيادة ، و ...
وفجأة انبعث صوت رئيس المخاضرات السوفيتي ، وهو
يقول في حزم :

- ها الرئيس أيها الرفيق (جليانوف) .. استمع إلى
الأوامر الجديدة جيداً .. لا تقتل الجاسوس . نريده حيّاً .. اكرّر
.. لا تقتله .. من المحتمل أن نطفر به حيّاً
انعقد حاجباً (جليانوف) في شدة ، وتراجع الطيار عن
ضغط زر الإطلاق ، وهو يقول :

- يا الشيطان . ثانية واحدة وكنا سنخالف أوامر الرئاسة
وهتفت (هيلجا) :

- دعنا نهبط ونلقى القبض عليه إذن ..

اجابها (جليانوف) في صرامة :

- لن نلقى القبض على رجل ميت .

تطلعت إليه في دهشة ، وقال الطيار في حيرة :

- رجل ميت ؟ .. الرجل يترنّج بعد الصدمة أيها الرفيق

الرائد ، ولكنه قوى ، ولن يلقى مصرعه بسبب .

قاطعه (جليانوف) :

- لقد لقي مصرعه برصاصاتنا ، قبل أن تصلنا أوامر

الرئاسة .

فهتت (هيلجا) ما يعنيه على الفور ، فانعقد حاجبها في
شدة ، في حين هتف الطيار مستكراً :

- هذا لم يحدث .. لقد وصلتنا أوامر الرئاسة قبل أن ..

قاطعه (جليانوف) في صرامة ، وهو بضغط كنفه في قوة :

- إياك أن تعترض يا رجل .. أطلق النار على الفور ،

وساتحمل المسئولية كاملة .

رند الطيار ذاهلاً :

- ولكن الأوامر ..

صرخ (جليانوف) بثورة عارمة :

- فلنذهب الأوامر إلى الجحيم .

رفع الطيار يده عن عصا القيادة ، قائلاً :

- انهب معها إلى أيها الرفيق الرائد ، ولكنني لن أفعل شيئاً

كهذا قط .

صرخ (جليانوف) :

- أيها الوغد .

لم دفع يده إلى عصا القيادة ، ونشئت بها في قوة ، وضغط

زر إطلاق النار ، في نفس اللحظة التي كان فيها مدفعي

الهليوكوبتر مصوّنين نحو الهدف ، الذي لم يعد بإمكانه الدفاع

عن نفسه .

نحو (أدهم صبرى) .

مباشرة

* * *

تعلقت عيدا (أنحرید) بساعة الحائط ، وهى تفرق كفيها فى عصية ، فى المقر الحاصر باندثب الإسرائيلى (ماثير شالوم) ، الذى ابتسم فى هدوء واثق ، وهو يقول :

- اصمتنى يا سيديتى . لا ريب فى ان (أدهم صبرى) فى قبضة اصدقائنا السوفيت الآن .

التفتت إليه قائلة فى شيء من الحدة :

- هل تظن هذا ؟

أوما براسه إيحائا فى صمت ، فهرت رأسها فى قوة ، قائلة : ولكن (ثوردا) يؤكد ان هذا الرجل مذهش بحق ، وانها لن تكون معالحة له ، لو سمع انه نجا من مارقته ، وخرج منه خروج الشعرة من العجين ، بعد ان حطم غطرسة السوفيت ، ووضع انفهم فى التراب .

بدا العضب على وجه (شالوم) ، وهو يقول :

ليس إلى هذا الحد الرجل بارع ولا شاك ، ولكنه فى النهاية محروك بشر ، لا يمكنه ان يتصدى بلقوات السوفيتية المدربة .

هرت كتفها ، قائلة فى صوت خافت :

- (ثوردا) يقول : إنه فعل من قبل (٥) .

أجابها (شالوم) فى سرعة وحدة :

- ليس فى كل مرة تسلم الجرّة .

تخلعت إليه تعبين باعستين ، قبل ان تقول فى دلال

(٥) راجع قصة (الجليد الدامى) .. المغامرة رقم (٥) .

ابتسم ، مجيبا :

- بالتأكيد .. خبرتى فى هذا المجال ليست بالقليلة ، يا سيديتى . إننى أعلم بالضبط كيف تُعالج الأمور ، وكيف يفلّ الحديد الحديد .

اقتربت منه أكثر ، هامسة :

- أحب دائما الرجل الذى يثق بقدراته .

رمقها بنظرة فاحصة ، وهو يقول بلهجة دات مغزى .

- وأنا أحب دائما المرأة التى تدرك أين صالحها بالضبط .

اقتربت أكثر وأكثر ، حتى لفحت أنفاسها وجهه ، وهى

تهمس :

- حقا ؟

كانت تتصور أنها ستدهره بجمالها وأنفاسها العطرة ، وأنه لن يلبث ان يدوب بين أصابعها ، إلا أنه ظل باردا كالثلج ، وهو يسألها

- ما اسم عميلكم السوفيتى بالضبط ؟

داعيت أزرار سترته بأاملها ، مجيبة فى خفوت .

- لست أدري . لا أشغل عقلى فى المعتاد بمثل هذه الأمور .

(ثوردا) و (هال) هما اللذان يتوليان أمر العميل

السوفيتى وغيره .

التقى حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

- هراء .

أدهشتها لهجته ، فتراجعت تتطلع إليه فى قلق ، وهو

يسفطرد :

- قولك هذا يعنى انه لو اصاب (ثور دال) و (هال)
بمكروه ، ستقطع صلتكم بالعميل ، وهذا اسخف ما يمكن ان
يحدث ، فى شبكة منظمة
اغضبها أسلوبه فى التعامل معها ، فاعقد حاجبها فى
شدة ، وقالت :

- ماذا تريد بالضبط يا (شالوم) ؟

اجابها فى صرامة :

- اسم العميل السوفيتى ،

صرخت فى وجهه :

- ان تحصل عليه قط .

اندفع نحوها بعنة ، وجديها من شعرها فى قسوة ، جعلتها

تطلق صيحة الم ، وقال غاضباً :

- اسمعى يا امرأة اكثر ما بغضبى فى هذا العام ، ان

تسخر منى واحدة مثلك سألنى عليك سؤالاً واحداً ، واريد

جواباً مختصراً واضحاً وصريحاً هل تريد التعاون معى ام

ماذا ؟

صاحت فى عصبية :

- ليس وانت تعاملنى بهذا الأسلوب .

أفلت شعرها مرة واحدة ، وسالها فى غلظة -

- اهذا الفضل ؟

قالت محددة :

بالتأكيد .. لا تنس أبداً انك تتعامل مع سيّدة محترمة

هتف ساخراً :

- سيّدة ماذا ؟

قديماً ، ثم انفجر بصحكة قاسية خشنة ، قبل ان يستطرد :
- انسيت ماريك ، ام تظاهرين ببسيابيه يا امرأة ؟ ، الا
تذكرين عمل اسباق فى (ستوكهولم) ؟ ، انسيت كيف
كونت ثروك التى تمبهاين بها الآن ؟ ، هو انك نسيت فنحن
لم ندرس ، لاسا نهوى مراجعة منك باستمرار ، بكل ما يحويه
من صور وافلام .

احتقن وجهها فى شدة ، وهى تهتف :

ايها بونج كيف تجرؤ ؟ ، لقد كان (ثور دال) على

حق لا يمكن اندا الثقة بالاسرائيليين اتدنى ان يلقتكم

(ادهم) هذا برساً قاسياً ،

بالتها ، وندفعت تعادى المكان فى عنف ، فاعقد حاجبها

خلفها فى شدة ، وهو يقول فى غضب :

سيحب رجاؤك حتماً اينها البعينة ما دام كل شيء

على ما يرام ، هل يصح (ادهم صبرى) هذا قادراً على تلقين

النروس لى شخص .

وصفت لحظة ، قبل ان يضيف فى مقت :

- باستثنائه هو .

قالها ، فاعقد حاجبها اكثر ..

وتضاعف غضبه ومفته ..

تضاعف الف مرة ..

* * *

لم يكن بإمكان (ادهم) ادفاع عن نفسه حقاً هذه المرة

لقد اصابه السقطة بمرضوص عبيقة ، واطلقت فى جسده

الأمنا مبرحة ، و فقدته الكثير من صفاء ذهنه ، وسرعة

استجابته المدهشة ..

وكان (جليانوف) بصوب إليه مدفعى الهليوكوبتر
بالفعل ، و ...

ولكن (هيلجا) تحركت بغتة ..

وفى حركة حادة عييفة ، جذبت جسد (جليانوف) هائفة :
- إياك أن تفعل .

جماعت الجديدة فى الوقت المناسب بالضبط ، هابطت
رصاصات مدفعى الهليوكوبتر بالفعل ، ولكنها لم تصب هدفها ،
إذ جذب (جليانوف) عصا القيادة على نحو غريزى ، عندما
جذبتة (هيلجا) فارتفعت الهليوكوبتر قليلاً ، وطاشت
الرصاصات كلها فى الهواء ..

وفى غضب هادر صرخ (جليانوف) :

- ماذا فعلت أيتها المجنونة ؟

فوجئ بمسدسها يلتصق بصدغة ، وهى تجيب فى صرامة .

امنعك من محادثة الأوامر أيها الرفيق الرائد

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول محتدماً :

- هل ترغبين فى أن يبقى هذا الحاسوس على قيد الحياة ؟

أجابته بنفس الصرامة :

ليس من شأننا أن نرغب أو لا نرغب أيها الرفيق ، مادامت

أوامر الرياسة قد صدرت بالفعل .

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يتمتم فى حق عصي .

- ستدفعين الثمن ، عندما نعود

أجابته ساخرة .

- حاول أيها الرفيق (جليانوف) ، وسنجرى بعملتك على

شرح محاولتك لمخالفة الأوامر للمستولين

احتقن وجهه ، وهو يتطلع إليها فى مفت ، ثم لم يلبث أن
أفرغ عضيه فى وجه الطيار ، وهو يصرخ به

ماداً تنظر يا رجل ! كفا عن الدوران فى السماء

كالأوزة المجنونة ، وعد بنا لبقى القبض على ذلك الجاسوس

ومطأ شفتيه فى غضب ، مستطرداً :

- حياً .

دار الطيار بالهليوكوبتر دورة واسعة ، وعاد يتجه إلى حيث

تركوا (أدهم) ، ثم هتف فى دهشة :

- يا للشيطان ! .. إنه ليس هناك .

انفص جسد (جليانوف) فى عصف ، وهو يصرخ .

- ليس ماداً ؟

ومال بجسده كله ، ليلقى نظرة على المكان ، قبل أن يلتقى

حاجباه فى شدة ، وبغصم :

- اللعة !

فوسط الظلام والحلبد ، لم يكن هناك أثر لـ (أدهم)

لقد اختفى ..

اختفى تماماً ..

وفى غضب هادر ، قال (جليانوف) ، وهو يلتقط بوق جهاز

اللاسلكى :

- هل رأيتم ما الذى فعلته جماعتك ؟

ثم ضغط زر جهاز اللاسلكى ، مستطرداً فى صرامة .

- من الهليوكوبتر إلى فريق الكوماندور . الهدف اختفى

داخل المنطقة (٦ د) . حاصروا المكان ، وحاولوا إلقاء

القبض عليه .

ورمق (هيلجا) بنظره محبقة ، قبل أن يصيف -
والاولوية لبقائه على قيد الحياة .

فى نفس اللحظة التى القى فيها اوائره لرجل الكوماندوز ،
كان (ادهم) يتحرك فى اثم ، بين اشجار المنطقة (٦ - د) .
لقد انتهز فرصة دوران الهليكوبتر ، ورفع جسده فوق
المنحدر ، ليمتدحرج بصع دقاته ، حتى بلغ منطقة اشجار
جديدة ، فتوقف عندها ، ونهض واتفأ وساقاء تطنطن
صرخات اثم ، وحاول أن يواصل رحلة الهروب
ولم يكن الأمر سهلاً ..

فعلى الرغم من مهاراته وقدراته العديدة ، إلا أنه مجرّد بشر ،
لجسده حدوده ، مهما قاوم واحتمل ..

وهو مصاب بطلق نارى فى ساعته ، وبرصوص وكدمات فى
جسده كله ، والبرودة من حوله يرايد ، والحليد يدهمر بالفعل
ومن بعيد ، تعالى ضجيج يقترب ..

ويقترّب ..

ومن كل الاتجاهات ..

وكان من الواضح أنهم يحاصرونه من جديد

وهى نهالك ، انصق (ادهم) بجذع شجرة كبيرة ، وذاح
يتابع الاضواء ، التى تحيط به ، وعقبة يحدث عن محرج من كل
هذا ..

والعجيب أن عقبة المدهش أنى أن يطيعه هذه المرة

لقد بدل قصارى جهده بالفعل ، إلا أن شيئاً ما كان يحول
بيده وبين تركيز أفكاره على النحو المطلوب ، لسعر على وسية
مناسبة للنجاة ..

دل وكانت هبال غيبوبة سخيقة ، تقاقل فى استماعة
للسيطرة على عقله ، وإحباط ذهنه ، ومنع أفكاره من
الانطلاق ..

وكان عليه أن يقاوم تلك العيبوبة أولاً ، قبل أن يسعى
للخروج من مرقه ..

ولقد حاول ..

وحاول ..

وحاول ..

ولكن الاضواء راحت تقترب أكثر وأكثر ..

وفجأة ، سقطت دائرة من الضوء على وجهه ، وارتفع صوت
بهتف بالروسية :

- ها هو ذا ،

تراجع (ادهم) فى سرعة ، واستنفر ما تبقى من قواه ،
وتحرك بخطوات واسعة ، ليدور حول جذع الشجرة ، فى حين

صاح رجل الكوماندور السوفيتى فى افعال

- لقد عثرت عليه .. أسرعوا .

قالها ، وهو يقفر حلف الشجرة ، ولكن قبضة (ادهم)

استقبلته بلكمة عذبة ، لم تحمل قوته كلها ، إلا أنها كانت
كافية لتلقى بامرّج أرضاً فى عصف ، وقبل أن يدهض أو يستعيد

تواريه ، أصابته قدم (ادهم) بركلة قوية فى وجهه ، وهذا
الخير يلهث بشدة ، وكأنما يدل جهداً خارقاً ، لا قبل له به .

وباقصى ما سمحت به حالته من سرعة ، انحنى (ادهم)
يلتقط سلاح رجل الكوماندوز ، فى نفس الوقت الذى ارتفعت
فيه أصوات رجال الكوماندوز الآخرين ، الذين يهرعون إلى

المكان ، ثم نهض ليطلق رصاصات المدفع نحو أقرب بقعة ضوء إليه ..

وفحاة ، برز إلى جانبه حدى آخر من جنود الكوماندوز ، وهو يرفع مدفعه ، مدار (أدهم) على عقبه لمواجهة ، و . وهو كعب المدفع الآلى على رأسه . قبل أن تكتسمل استدارته ..

وفى هذه المرة ، انهارت مقاومته تمامًا ..

واستسلم جسده للضعف البشرى ..

وسقط ..

سقط (رجل المستحيل) فاقد الوعي ، فوق الثلوج السوفيتية ..

وبين الخصوم ..

الذ الخصوم ..

واكثرهم قسوة ..

* * *

هبط العقيد (كوريريف) من الطائرة الهليكوبتر الصاعدة ، التى افلته إلى موقع سقوط طائرة (أدهم) ، وبدأ بقاامته اعارمة وكتفيه اعريضين ، ومعطف الفراء الذى يرتديه ، أشبه مدب صحم ، وهو يتجه إلى حطام الطائرة ، ويسأل أحد الخبراء ، الذين ابهمكوا فى فحصها

- هل عثرتم على شيء ؟

اجابه الخبير ، فى لهجة يمتزج فيها الاحترام بالحماس .

ياطبع يا حمرال لقد انفجر خزان الوقود بالطائرة ، وأشعل النيران فى جسمها كله ، ولكن من حسن حظنا وسوء

حظ المصريين ، أن رجالنا نجحوا فى إطفاء السيران المشتعلة فى سرعة ، فلم تتعرض اجهزة التحسس ب تلف صحم

قال (كوريريف) فى لهفة :

- إنن فقد عثرتم عليها .

هتف الخبير :

ياطبع يا حمرال ثلاثة اجهزة من طراز امريكى حديث ، مصنوعة بحيث تحتص وتقاوم عوامل التلف إلى اقصى حد أحدها يلتقط الصور الحوية ، بالأشعة فوق الحمراء ، والثانى جهاز تصت بالبح التطور ، والثالث جهاز رسم مساحى إنها طائرة تجسس ولا شك .

امعقد حاجبا (كوريريف) ، وهو يسأل :

- ولكن لماذا كانت تطير على ارتفاع منخفض . كما أكد تقرير الرادار ؟

هز الخبير كتفيه ، واجاب :

- لست أدري يا حمرال المخصص من كل هذه الأجهزة لا يمكن أن تعمل إلا على ارتفاع كبير ، على الأقل حتى يمكنها التقاط صور واضحة لمساحات واسعة ، ولكن ربما اصاب الطائرة عطل ما ، اضطر قائدها للهسوط إلى هذا الارتفاع المنخفض !

عقد (كوريريف) حاجبه بصع لخطات ، قبل أن يقول فى صرامة :

- لن يقتنع القصة اعسكرمون بهذا التفسير قط

سأله الخبير مرثبًا :

- ماذا تقترح إنن أيها الرفيق ؟

رمقه (كوزيريف) بنظرة صارمة ، وهو يقول .

- لا يوجد حل ثالث . إما أن تجد تفسيراً أكثر منطقية ،

أو تكتم أمر هذا الطيران المنخفض ، لتعلق باب المشكلات

انخفض صوت الخبير ، وهو يسأل متوتراً :

- وأيهما تفضل أيها الرفيق العقيد ؟

أطلقت صرارة مخيفة من صوت (كوزيريف) ، وهو يقول .

- أنت الخبير .

سرت قشعريرة باردة في جسد الخبير ، وتطلع إلى

(كوزيريف) في حذر محاولاً استشفاف ما يدور في أعماقه ،

خشية أن يأتى قراره مخالفاً لوجهة نظره ، إلا أن صراره ارتطم

بملاحق قياسية ، باردة كالثلج ، جعلت صوته يرتجف ، وهو

يتعمق في حذر شديد :

- اعتقد أنه من الأفضل أن منجأهل أمر الطيران المنخفض

هذا تماماً . فلا توجد ضرورة للإشارة إليه . سيفترض

الجميع تلقائياً أن طائرة التحسس كانت تطير على ارتفاع كبير

سأله (كوزيريف) بلهجة باردة كالثلج :

- أهذا رأيك ؟

ارتجف الخبير ، واتسعت عيناه في ارتباك ، وهو يقول .

- ألا يروق لك أيها الرفيق العقيد ؟

ولثوان ، بدت له ملامح (كوزيريف) جامدة باردة ، حتى أن

جسده كله راح يرتجف ، وتصوّر أنه قد اتخذ قراراً خاطئاً ،

وهم بالاعتذار عنه ، لولا أن قال (كوزيريف) فجأة :

- لا بأس به .

ثم استدار عائداً إلى الهليكوبتر ، وهو بضيق

- ساستظر تقريراً رسمياً بهذا .

حبس الخبير أنفاسه ، حتى حُلقت الطائرة برجل المحابر

السوفيتي ، ثم أطبق من أعماق صدره زفرة ملتهبة ،

وهتف :

- النعمة ! .. هم يصنعون هؤلاء الرجال ؟

وقفز الجواب إلى عقله على الفور . دون أن يحرر على

الاقتراب من شفتيه ..

إنهم يصنعون هؤلاء الرجال من أكثر المواد برودة وقسوة

في هذا العالم ..

من الثلج ..

* * *

، السوفيت القوا القبض على العقيد (أدوم) ،

هتف مساعد مدير المخابرات المصرية بالعصاة في توتر

عنيف ، جعل حاجبي المدير ينحدان بأشد ما يكون ، وهو بهتف :

- القوا القبض عليه ؟

ثم نهض من خلف مكتبه ، واستطرد بتوتر أكثر عنفاً

إبها كارثة نكل المقاييس . لو أنه رجل محابر عادي

لكانت مصيبة ، أما وهو (أدوم صبرى) ، فكارثة محيقة

محقق .. ستجد العشرات ممن يمكنهم تعزفه ، في صفوف

المخابرات السوفيتية ، ومنهم من لديه دافع قوى لمثار منه ،

ووقوعه في قبضتهم يرفع درجة الخطر المحيط به إلى مائة في

المائة .

تنهّد مساعده ، وهو يقول :

- معذرة يا سيّدى ، ولكن الكارثة هدم المرة اعنف من أن

تقتصر على الحصر ، اندي دواحيه سياده العقيد (ادھم) بصفة شخصية ، بالسوفيت اعيدوا اليهم اسقطوا طائرة تجسس مصرية ، والقوا القبض على قائدها وتلديهم ما يثبت انتماؤه إلى المخابرات المصرية ، واخذوا اليهم سيحاكمونه في جلسة علنية ، لاثبات ان (مصر) تسعى لتجسس عندهم ، بعد ان طردت خبراءهم قس حرب أكتوبر ١٩٧٣ م ، ولم تعد تعتمد اعتماداً مطلقاً على اسلحتهم^(٥)

هتف المدير في غضب :

بالسحافة : هن سنعمشور مع الأمور عى نحو على
هذه المرة ١٤

أوما مساعده براسه إيجاناً ، وهو يقول :

نعم وعلى نحو سافر ايضاً ، فقد أعلن مسئولوهم انهم سيعقدون مؤتمراً صحفياً علنياً في الثالث من الشهر القادم ، لإعلان كل الحقائق والتفاصيل .

عمقم المدير في توتر بالغ :

الثالث من الشهر القادم هذا يعنى انهم سيعقدون مؤتمراً بعد أسبوع كامل لما اذا لم يعقدوه فوراً^(٦)

ترنّد المساعد لحظة ، قبل أن يعمقم في حذر :

ربما لانهم يعرفون سيادة العقيد ، ادھم (جيداً)
رفع المدير عينيه إليه ، وساله في قلق :

(٥) ، قبل حرب أكتوبر بنصفه شهر اتحد برئيس لراجر محمد أنور السادات ، قرّر حريث وشجاع بطرير ان خبراء سوفيت بعد ان تمادوا في مدخلهم في السنور العسكرية ، ادخله حتى وصل بهم لاسر إلى حد منع بعض العسكريين المصريين من دخول قواعدهم

- ماذا تعنى يا رجل ١٥

ترنّد المساعد مرة أخرى ، ثم جسم أمره ، واجاب :

اعنى ان السوفيت لن يترددوا في استخدام أعينهم وسائلهم ، وكثرها قسوة ووحشية للحصول على اعتراف صريح بتجسس ، من سيادة العقيد ، ادھم (يا سيدى ، وهذا يحتاج إلى بعض الوقت ..

تلاقى حاجبا مدير المخابرات في شدة ، وهو يستوعب عبارة مساعده ، انى تحدثت بها الدماء في عروقه ، وانقص لها كيانه كله ..

نعم السوفيت لن يدحروا جهداً لاحبار (ادھم) على الاعتراف ..

و (ادھم) لن يدى بمثل هذا الاعتراف قط ، حتى ولو مرقوه إرباً

وهذا يعنى ان الأباطم القادمة ستحمل لـ (ادھم) عدائنا رهيناً

عدائنا بلا رحمة .

وبلا حدود

* * *

لم يدر (أدهم) كم مضى من الوقت ، قبل أن يستعيد وعيه ، ويفتح عينيه في مطه ، ولكنه وهو يفعل ، كان يستعيد ذاكرته كلها بسرعة الفرق ، ويدرك حيناً أنه أسير في قبضة السوفييت . وعلى الرغم من هذا ، فلم ترتفع في جسده شعرة واحدة . فقط أدار عينيه في المكان الذي يرقد فيه في فضول واهتمام ، ليتعرف موقعه بالضبط ..

كان من الواضح أنه يرقد داخل زمراة رطبة ضيقة ، لها سقف يرتفع خمسة أمتار ، وجدران تشققت على نحو مؤسف ، تتوسط أحدها ، وعلى ارتفاع ثلاثة أمتار ، نافذة صغيرة ، يعطيها رجاج مزبوح مضاد للرصاص ، مكون من طبقتين سمكيتين ، يملح سمك كل منهما ست سنتيمترات ، وبينهما قضبان فولاذية قوية ..

أما الباب ، فكان صغيراً متيناً ، تم صمعه من صلب قوى ، وفي منتصف هذه العلوى نافذة صغيرة للعاية ، تعطى أيضاً قضبان من الصلب ..

وكان (أدهم) يرتدى ثوباً خافاً رمادي اللون ، وقد ضمّد أحدهم إصاباته على نحو جيد ، ومن الواضح أنهم انتزعوا الرصاص من ساقه أيضاً ..

وفي حذر ، نهض (أدهم) حائساً على طرف الفراش الصغير في ركن الزمراة ، وعينه تحوسان المكان ثانية . ثم فتحت تلك النافذة الصغيرة في أعلى الباب ، واطل منها وجه عريض قاس ، حنجه صاحبه بنظرة صارمة ، من عينيه الباردتين الزرقاوين ، قبل أن يقول بالروسية :

- لقد استيقظ أيها الرفيق .

قالها ، ثم أعلق النافذة الصغيرة في عصف ، وسمع (أدهم) صوت رجاج ضخم يتراح ، وانتهى في تلك اللحظة بالتحديد إلى أن قدميه مكبلتان بأغلال فولاذية مثبتة بسلسلة إلى الجدار ، ليضموها عدم فراره ، وحذروا طول هذه السلسلة ، حتى لا يمكنه بها بلوغ الباب قط ..

وعلى الرغم من دقة موقعه وصعوبته ، ابتسم في سخرية ، معمعاً :

- رماه .. يبدو أنك ، حتى وانت بين أيديهم ، مارلت تثير خوفهم وذعرهم يا (أدهم) ،

افتتح الباب في هذه اللحظة ، واطل منه وجه (كوزيريف) ، الذي رمقه بنظرة طويلة صامتة ، قبل أن يسأله بالإنجليزية :

- إنني فقد استعنت وعيك .

اجابه (أدهم) بالروسية ، في هدوء ساخر :

- بالطبع يا عزيزي (كوزيريف) من العار أن يفقد المرء وعيه ، ولا يستمتع بجناح فاخر كهذا !

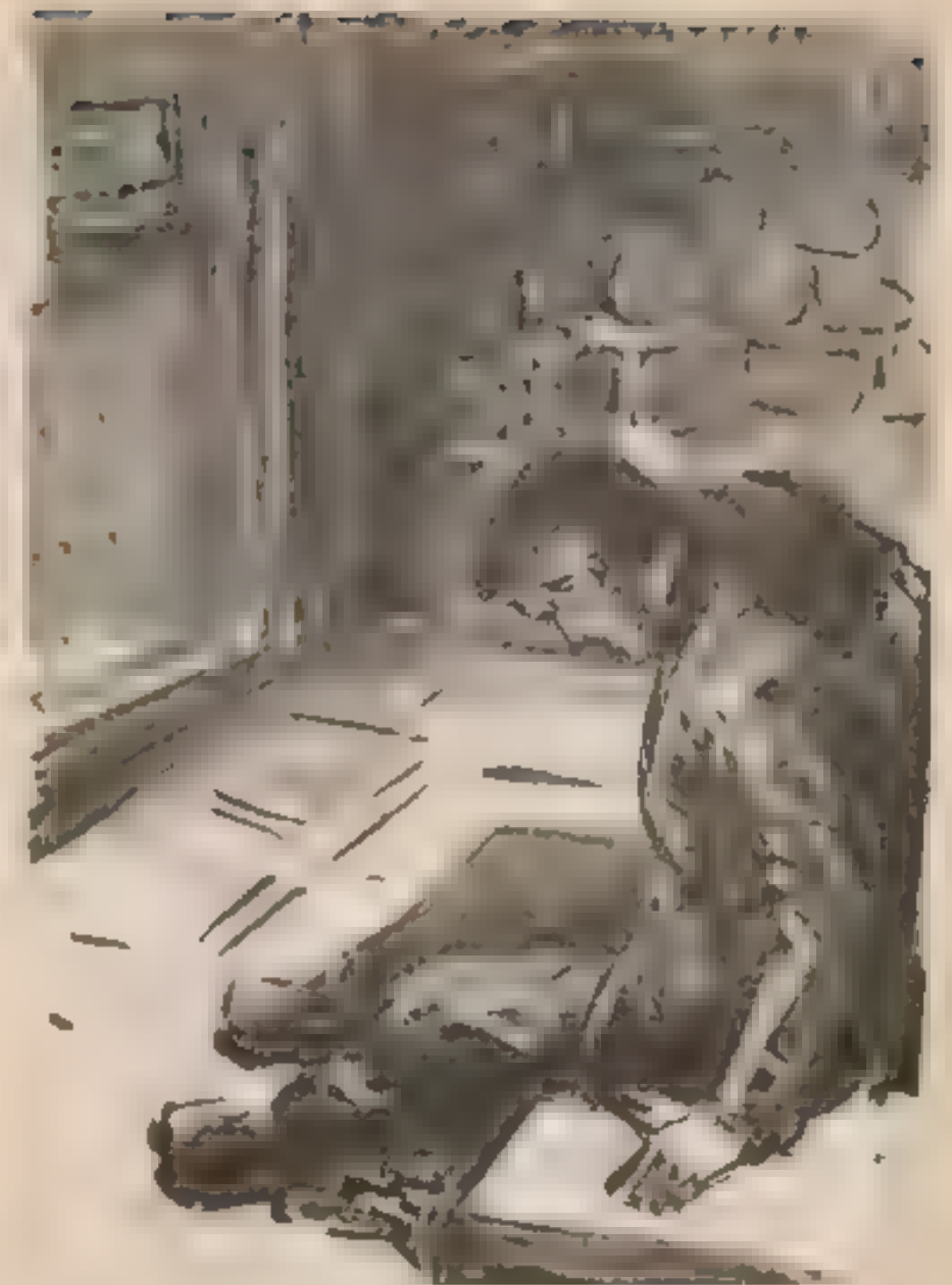
انعقد حاجبا (كوزيريف) بشدة ، وهو يقول :

- هل تعرفني ؟ .. هل سبق لنا أن التقينا ؟

اجابه (أدهم) ، وهو يلوح بإصبعه على نحو مسرحي .

- معذرة يا عزيزي (كوزيريف) ، ولكنني ساجيب سؤالك

الثاني قبل الأول .. كلاً يا رجل .. إننا لم يلتق من قبل قط ، وعلى الرغم من هذا فلدي ملف كامل عنك .. اسمك (فيدور فيزيسكي كوزيريف) .. مدير إدارة مكافحة التجسس الداخلي والخارجي ، في المخابرات السوفيتية (K G B) .. لك



وانتم في تلك اللحظة بالتحديد إلى أن قدميه مكلتان
ماغلال فولانية مثبتة بسلسلة إلى الجدار

خبرة طويلة في التعامل مع المخابرات الأمريكية (C I A) ،
والمكتب الخامس البريطاني ، وأنت المسئول عن تجنيد نائب
مدير المخابرات البريطانية لحسابكم ، وعن مساعدته على
الفرار إلى هنا في الوقت المناسب ، عندما اكتشف أمره ، وقبل
أن يقع في قبضة رجاله هناك (*) .

ضأقت عبنا (كوزيريف) . وهو يقول في صرامة
- من الواضح أنك تعرف الكثير أيها الرفيق (أدهم)
رفع (أدهم) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول
سأخبرك :

- (أدهم) ١٩ .. (أدهم) من يا رجل .
أجابه (كوزيريف) في تحقير :
- (أدهم صبرى) بالطبع نحن أيضا نعرف عنك الكثير
يا رجل ، ولدينا ملف كامل عنك . هل تحب أن أروي لك
هنا (أدهم) كنفه في لا مبالاة ، وهو يقول
سيكون هذا مسليا بالتأكيد ، فالمرء لا يسمع إلى قصة
حياة رجل آخر في كل يوم .
قال (كوزيريف) في حذر :
- رجل آخر ؟

(*) في عام ١٩٥٠ م . كشف جهاز المخابرات البريطاني المعروف باسم
(المكتب الخامس) . أن العين من كمار رجاله . (برجس) و (ماكلين)
يعملان كجاسوسين للاتحاد السوفيتي . على الرغم من أن أحدهما كان
يحتل منصب نائب رئيس الحبار ، ولقد تم إلقاء القبض عليهما ، والتحقق
معهما في هذه البهمة ، ثم تمكنا من الهرب بواسطة ما عام ١٩٥١ م إلى
الاتحاد السوفيتي ، ليكتشف بعدها أمر جاسوس ثلث في الشبكة نفسها .
وكانت فضيحة كبرى لجهاز المخابرات البريطاني .

تطع (أدهم) إلى عبيه مباشرة ، وهو يحجب
- نعم يا عزيزي (كوزيريف) رجل آخر يدعى
(أدهم صبرى) .

انمقد حاجبا (كوزيريف) أكثر ، وهو يقول :
- (أدهم صبرى) هو أنت يا رجل .

هتف (أدهم) نفس ، دهشة المصطلعة الساحرة

اب ' مستحير يا رجل ' (أدهم صبرى) هذا
مصرى ، والمصريون لم يحاولوا انتجس علىكم قط . نحن
فقط فعل هذا طوال الوقت ، بمساعدة اصدقائنا الأمريكين .
هذا مريح من الدهشة والتوتر على وجه (كوزيريف) ، وهو
يقول :
- أنتم ؟ !

أوما (أدهم) براسه إيجانا ، وهو يقول
نعم يا عزيزي (كوزيريف) . إسى اعترف مادنا متجسس
عليكم .. نحن ألك .. الإسرائيليين .
ارتفع حاجبا (كوزيريف) ، فى دهشة ، وهو يهتف
الإسر نيبين ' .

ثم انمقد حاجبا ثانية ، مستطردا فى غصب
- هل تسخر منا يا رجل ؟

اجابه (أدهم) فى لهجة تحمل كل الإصرار والتحدى
- مطلقا . إسى أخبرك ما سنحويه الأوراق الرسمية فى
النهاية .

أطل غصب عديف من عيبي (كوزيريف) ، وهو يقول فى
صرامة شديدة :

- هل نطق هذا ؟ أنت وأهم إبن أيها المصرى عندما تاتى
مرحلة من الأوراق الرسمية ، لن نوضع فيها إلا ما نريده نحن ..
لن نكتب كشف سرأ لو احسرتك أن الأوراق الرسمية معدة
بالعمل ، ولا يقصها سوى توقيعك .

قتل (أدهم) ساخرأ :

- التوقيع الإسرائيلى .

اجابه (كوزيريف) فى صرامة :

لن التوقيع المصرى أنها الرفيق (أدهم) التوقيع الذى
سننوسك إليها فى النهاية ، لتمهر به اعترافك هذا لو حافظ
الرجال على أصابعك لنفعل .
ثم هتف فى حدة :
- (إيفان) .

هتف إبنى الرمزانة رجل ضخم الحلة ، عريض الدق والمكبين
على نحو عجيب ، وصيق الحمهة والعيين على نحو أعجب ،
وبدا شعنتيه العنطتين وأفعه الأظاس وشعره الأشقر القصير ،
وربه العسكرى العريض ، أشبه بصورة شرلية فى قصة مصورة
قديمة (٥) ، وغغم بصوت خشن غليظ :

- أوامرك أيها الرفيق العقيد .

أشار (كوزيريف) إلى (أدهم) قائلا :

إسنا نريد من هذا الرجل أن يوقع اعترافا يا ، (إيفان)

(٥) بقصص الصورة = فن جمع ما بين الفن والرسم . من خلال
سيدريو مدم محولة إلى شرائح مصورة ، ظهرت محاولاتها الأولى عام
١٩٢٠ م . ثم ولدت رسميا مع ظهرها بشكل منظم فى الولايات المتحدة
الأمريكية عام ١٩٩٦ م ، وأنيوم تعد من أشهر وسائل الترفيه وأكثرها
انتشارا .

زمر الرجل ، وهو يقول :

- كما تأمر أيها الرفيق العقيد .

تأملت عينا (كوزيريف) وهو يستدير إلى (أدهم) ، قائلاً
الجندى (إيفان) هو المسئول عن انتزاع الاعترافات هنا ،
وهو رقيب السقب ، حتى أنهم يطلقون عليه اسم
(إيفان الرهيب)^(٤) ، وقدرته على انتزاع الاعترافات ، وتمزيق
عباد المعترفين اسطورية ، ولكن هؤلاء الذين يقاومونه لا يتبقى
منهم في النهاية ما يكفي حتى لنوقيع أية ورقة ، سوى شهادة
وفاتهم .

قال (أدهم) في سخرية ، متصنعاً الخوف :

- يا إلهي ! .. إننى أرتجف رعباً .

بدأ انعصب على وجه (كوزيريف) ، وهو يقول

- سنرى أيها المصري .. سنرى .

قالها ، واندفع يعاين الزنزانية ، هاتفاً :

- إنه لك يا (إيفان) .

وتأملت عينا الوحش الأدمى ، وهو يخرج من جيبه أداة

طويلة ، ذات طرف حاد مدب ، وهو يقول في جدل :

- أوامر أيها الرفيق العقيد .

(٤) إيفان الرهيب أحد قيادى ثورة روسيا (١٩٣٠ - ١٩٨٤ م) توج

قيصراً عام ١٩٤٧ م ، وبدأ موسع (روسيا) فى (آسيا) و (سيبيريا) ،

وفشل فى حربه مع (السويد) و (بولندا) ، فقام البلاء ، وقررت

العاملة وشجع البحارة ، بحارحية مع (إنجلترا) ثم فقد اثراته العقلى .

حتى قتل ابنه الأكبر .

وفى نفس اللحظة ، التى صعد فيها (كوزيريف) أبواب
خلفه فى قوة ، كان (إيفان) يقض على (أدهم) ، ومن عينيه
تطل نظرة رهيبة ..

نظرة وحش مفترس ..

* * *

كانت عقارب الساعة تتجاوز الثالثة صباحاً فى (القاهرة) ،
عندما اجتمع فريق من قادة المخابرات العامة المصرية حول
مائدة الاجتماعات الكبيرة ، فى مبنى المخابرات ، فى (حدائق
القبلة) ، وأدار المدير عينيه فى وجوههم ، قبل أن يقول فى
اهتمام مشوب بالتوتر :

الموقف أصبح أخطر مما يمكن السكوت عليه يا رجال
لقد اعتقل السوفييت (١٠) بالفعل ، ولم ينجح فى إقناع
منهم هذه المرة ، ومن الواضح أنهم سيفعلون معسه كل
ما يوسعهم ، ليثبتوا للعالم كله أننا نحاول التجسس عليهم

قال أحد الرجال فى اهتمام :

لا ريب فى أنهم - كعادتهم - سيحاولون انتزاع اعتراف
بهذا من (أدهم) ، بكل الوسائل الممكنة .

هزأ آخر رأسه ، قائلاً فى حزم :

- لن ينجحوا مهما فعلوا فكنا نعرف (أدهم) جيداً ، إنه
يفضل الموت ألف مرة ، على الاعتراف الكاذب بتورط (مصر)
فى عمل كهذا .

مطأ ثالث شفطيه ، وهو يقول :

- (أدهم) مجرد بشر ، وربما ينهار أمام تعذيبهم الرهيب .
هتف الأول فى حماس :

(أدهم) ببهار . هراء (أدهم) لن ينهار حتى ولو حاولوا قرمه حياً .

بدا الضيق على وجه مدير المحاربات ، وهو يرفع يده ، قائلاً .
- كفى أيها السادة . لستأ هه لمناقشة صلاة (أدهم)
وقدراته . فالموقف أخطر من هذا بكثير . السوفيت لديهم
وسائل لا تدفع معها القوة أو الصلاة ، وحتى لو فشلوا في
استفراغ اعتراف قهرى من (أ - أ) ، فس يتورعوا عن تزييف
اعتراف ملفي . وكلكم درستم أساليبهم هذه . السؤال المهم الآن
هو ما مصير (أ - أ) ، وكيف يمكنه أن يواجه محبته ؟ وهل
توجد وسيلة لمعاونته على تجاوزها ؟

قال أحد الرجال في اهتمام :

- معدرة يا سيدي ، ولكن هذه الأسئلة تعددنا مرة أخرى إلى
الحديث عن قوة (أدهم) وصلابته . فمن رأيي أنه سيقاوم حتى
آخر رمق ، مهما كانت الضغوط والآلام ، أما عن مصيره ،
فالرغبة تسرى في أوصالي ، عندما أحاول تخيله
اندفع آخر يقول :

سيحاكمونه علانية بالناكيد ، ثم يأتي حكمهم قاسياً
تمتم ثالث بصوت يجمع بين الرهبة والشفقة
- الإعدام .

فعلق رابع بسرعة :

- هذا لو كان حكمهم مشمولاً بالرافة .

هز المدير رأسه في بظه ، وهو يستوعب ما قالوه ، ثم سأل
- كيف يمكننا أن نعاونته على التصدي لهذا إس ؟
قال أحد الرجال في حماس :

ماذا لو قمنا بعملية انتحارية ، بالتعاون مع القوات
الخاصة المصرية : لتهريبه من سجنه ، وإعادته إلى (مصر) ؟
هز المدير رأسه نفياً ، وهو يقول :

- خيراؤنا درسوا هذه الفكرة ، وقدروا استحالة تنفيذها ،
فالسوفيت يحتفظون بـ (أدهم) في سجن خاص بالجواسيس ،
محاط بحراسة مكثفة للغاية ، ووسائل مراقبة لا تتوقف لحظة
واحدة . وهو داخل مقر مخبراتهم ، ويتصل بجهاز خاص ،
ينسف الزناريين كلها بضغطة زر . ويشعل فيها النيران ، عند
أول محاولة لاقتحام المكان .

قال أحدهم في حذر :

- ربما كان هذا حلاً .

تطلع إليه الجميع في دهشة واستنكار ، وعقد المدير حاجبيه
في شدة ، وهو يسأله :

- ماذا تعنى ؟

أدار الرجل عينيه في العبور العاضة ، وهو يجيب :

- أعنى أن السلاح القوي في أيدي السوفيت ، لتفريق تهمة
التجسس لنا ، هو (أدهم) نفسه . ونو تعقدت الأمور أكثر ، ولم
يعد من الممكن تفادي الأمر . فربما يكون الحل الوحيد هو ..

قاطعه المدير في صرامة غاضبة :

- لا تنطقها .

هز الرجل كتفيه ، قائلاً في حزم :

- من حقى طرح وجهة نظرى . هذا هو النظام المتبع هنا .

أجابه المدير :

- هذا صحيح ، ولكننا لن بلجا إلى هذا الأسلوب قط . مهما

كانت الظروف .

قال الرجل في إصرار :

- إنها (مصر) كلها مقابل رجل واحد .

صمت الجميع في ضيق . وبدأت لهم الفكرة ، على الرغم من بشاعتها ، منطقية بلعاية ، إلا أن المدير قال في حسم :

- الخبراء قالوا إنه من المحتمل أن تبدأ العرقة الانتحارية عن بكرة أبيها ، قبل حتى أن تصل إلى مدخل السجن . لا تنسوا أنهم سيقابلون في قلب نولة قاسية لا ترحم ، ولها مقاتلوها الأشداء أيضاً .

اندفع أحد الرجال ، يقول في اهتمام :

- وماذا عن عميلنا هناك يا سيدي ؟

أشار المدير بأصابعه ، قائلاً :

- سبق أن أخبرتكم أن عميلنا هذا ليست لديه الصلاحية لـ .

قاطعه الرجل بسرعة وحماس :

- لست أقصد هذا العميل يا سيدي المدير . أقصد الآخر .

انعقد حاداً المدير في شدة ، وسرت مهمة بين الآخرين ، ساد بعدها الصمت لدقيقة أو يزيد ، والعيون كلها منعقدة بوجه المدير ، الذي داعب دقته بسبائته وإنهامه ، قبل أن يقول :

- عميلنا الآخر هذا يحتل موقعاً خاصاً ، في جهاز المخابرات السوفيتي ، وأية محاولة منه للتدخل لإنقاذ (ن - ١) ، قد تؤدي إلى كشف أمره .

قال الرجل في حسم :

- ألا يستحق (أدهم) هذا ؟

صمت المدير لحظات أخرى ، وهو يدرس الأمر في عمق ، وغمغم وكأنه يتحدث إلى نفسه بصوت مسموع .

لو أننا غامرنا بكشف عميلنا الهام هذا ، فلابد وأن نكون مستعدين لدل الكثير من الجهد ، لإعادته مع (أدهم) إلى هنا ، فحسن لا نتخلى عن عملائنا قط .

وصمت بضع ثوان إضافية ، ثم تنهّد ، قائلاً في حزم : فليكن . سطرّح الفكرة على الخبراء ، ونترك لهم تقدير هذا الموقف .

سأله رجل منهم في قلق :

- وحتى يتخذ الخبراء قرارهم ، ماذا يفعل بشأن (ن - ١) ؟ تنهّد المدير قائلاً :

ليس لدينا للأسف ما نفعله في الوقت الحالي ، وليس أمامنا سوى أن نعتد على مهارته وقدراته

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :

- وعلى صلاته أيضاً .

وفي هذه المرة لم يعلق أحدهم على العبارة بحرف واحد .

ورأى على حجرة الاجتماعات صمت مهيب ..

ورهيّب .

* * *

انقضى (إيفان) على (أدهم) في وحشية ، وعيناه تظفان صحنكة جدية ، تشف عن استمتاعه بعملية ابتزاز المعنومات هذه ، وأصابعه تقيص على أدوات الحادة في قوة ، وتستعد لعرضها في جسد (أدهم) ، الذي وقف ساكناً هادئاً ، كأنما لا يدرك ما سيفعله به هذا الوحش الأثمي ..

ولكن فجأة ، وعندما أصبح (إيفان) على مسافة متر واحد منه ، تحرك (أدهم) ..

نقص عن نفسه الصنعة والسكرور والهدوء بعنة ، وتحول
فى لمح البصر إلى كتلة من النشاط والحيوية ، وهو يمسك
معصم (إيفان) بأصابع من فولاذ . قائلاً فى سخرية
- رويدك أيها الثور .. الحظيرة ليست هنا .

ثم أطلقت قبضته اليمنى لتعجز فى أذى السوفيتى ، فى
نفس اللحظة التى لوى فيها معصمه فى قوة ، وأجبره على
إفلات الأداة الحادة ، التى سقطت بين قدميه ، و (إيفان) يطلق
صرخة مختنقة متحشجة ، وسدناً عبيطاً ، أخرسه (أدهم)
بلكمة أخرى فى فكه ، تحطمت لها إحدى أسنانه الأمامية
بصوت مسموع ..

وفى ثورة ولأدها العصب والآلم ، صرخ (إيفان) ، وهو
يقبض على وسط (أدهم) بذراعيه :
- أيها المصرى لك ...

قائلاً (أدهم) بلكمة ثانية فى أذنه ، وهو يقول :
- إياك أن تنطقها أيها الوغد .

تفجرت الدماء من أذن (إيفان) ، وأغرقت النصف السفلى
لوجهه ، ولكنه لم يحل ساعديه عن وسط (أدهم) ، وإنما واصل
الضغط عليه بكل قوته ، وهو يطلق صرخانه الوحشية ، وشعر
(أدهم) بقوة الضغط ، الذى يكاد يهشم عموده الفقرى ، فذفع
ركبته إلى أعلى ، والنقط السلسلة المعدنية ، التى تربط ساقيه
إلى الجدار ، وأدار قدميه فى مرونة مدهشة ، ثم أحاط عنق
(إيفان) بالسلسلة المعدنية ، قائلاً :

- هيا أيها الوغد دعنا نجر اختبار القوة هذا
واصل (إيفان) ضغط ساعديه على صدر (أدهم) ، فى نفس

الوقت الذى شدد فيه (أدهم) من ضغط السلسلة على عنقه ،
حتى أطلق الوحش السوفيتى حشرجة خشنة ، وبدأ ساعده
يتراخى حول صدر (أدهم) ، الذى قل فى سخرية شديدة
- أه عظيم . يبدو أن النتائج ستظهر بأسرع مما كنت
أتصور .

أطلق السوفيتى حشرجة أخرى ، وحطت عيناه فى شدة ،
وسقط على ركبته ، وتدللى لسانه خارج فمه ، و
واقترح رجال الحراسة الزبرانة ، وهم يصوبون إليه بندق
بدائية ، أشبه ببندق الصيد ، ومن خلفهم طهر (كوزيريف) ،
وهو يهتف :
- اطلقوا أسلحتكم عليه .. هيا .

جذب (أدهم) (إيفان) من عنقه فى سرعة ، وصنع من
جسده نرعاً يقبه طلفانهم . عندما صعقت سيئاتهم أزدة
البنادق ..

ولم تنطلق من البنادق رصاصات عادية ..
لقد أطلقت منها أسهم صغيرة ، اعترضت كلها فى جسد
(إيفان) ، الذى حطت عيناه أكثر ، وهمهم بعنارة روسية
مبهمة ، ثم تهاوى رأسه على صدره ، وتراخى جسده تماماً
ومرة أخرى ، صرخ (كوزيريف) :

- اطلقوا أسلحتكم .. لا تسمحوا بالتماذى إيه سحبيبا
فصر الرجال داخل الزبرانة ، وأحاطوا ب (أدهم) من كل
جانب ، وانطلقت من سادقهم مرة أخرى تلك الأسهم الصغيرة
وشعر (أدهم) بسهم منها يغرس فى ساقه ، وآخر فى
نراعه ، وثالث فى عنقه ..

لم يكن الألم شديداً كما توقع ، ولكن المخدر سرى في موضع الإصابات على الفور ، ثم انتشر منه بسرعة مذهشة ، وتصاعد إلى رأسه ، وأحاط به ...

ولم يدرك بعدها ماذا حدث ..

فقط اظلمت الدنيا بعنة ، وتلاشى شعوره ، و

وسقط فاقد الوعي ..

وفي لهفة ، أسرع الجنود يخضعون عبق (إيفان) ،

ويبعده عن (أدهم) ، واحداهم يقول في دهشة

عجيباً : أول مرة أرى فيها شخصاً يفعل هذا - (إيفان) .

وغمغم آخر

سبعصه هذا كثيراً

وأضاف الثالث :

- ترى ماذا سيفعل ، عندما يستعيد وعيه ؟

أجابته الأول ، وهو يلقي نظرة على (أدهم)

- سيثار لكرامته حتماً .

قال (كوزيريف) في صرامة :

- هذا أفضل .

انتبه الجنود ، في هذه اللحظة فقط ، إلى أنهم يتحدثون في

وجود رئيسهم ، فشحبت وجوههم ، وارتفعت أطرافهم ، وغمغم

أحدهم متوتراً :

- معذرة أيها الرفيق العقيد .. إننا لم ...

قاطعه (كوزيريف) مواصلاً حديثه ، وكأنه لا ينتبه حتى

إلى وجودهم ، وهو يتطلع إلى (أدهم) في وقت شديد

٢٠٠

فعندما يعود (إيفان) إلى هنا ، سيكون لديه ما يكفي من الغضب ليؤدي عمله مع هذا الرجل على أكمل وجه

تمادل الجنود نظرة متوترة ، واطنّت اشتدّة من عيون

أحدهم ، وهو يتخيل ما يمكن أن يصعبه (إيفان) مع (أدهم)

عندما يعود إليه بكل غضبه وثورته . سرى حين أشار

(كوزيريف) إلى هذا الأخير ، مستطرداً :

- اوثقوا هذا الرجل على فراشه بأغلال معدية واحرصوا

على ألا تتركوا له وسيلة واحدة للفرار ، فليس أسمح بحدوث أي

تجاوز في المرة القادمة ..

ثم عاد يتطلع إلى (أدهم) ، قبل أن يتابع :

وعندما يستعيد (إيفان) وعيه ، دعوه يأتى إلى مكتبي

أولاً . قبل أن يبدأ عمله مع هذا الرجل . فإدى ما أبلغه به بشأنه

قالها ، واقترب من (أدهم) الفاقد الوعي ، ومطأ شفتيه في

بعض ، ثم أضاف في صرامة :

فهو يختلف عن كل من تعامل معهم من قبل .. يختلف

كثيراً .

قالها ، واستدار يعاين زبازمة (أدهم) في خطوات واسعة

سريعة ، تاركاً الجنود الثلاثة يبعدون أوامرهم ، ويقيدون

(أدهم) إلى فراشه في إحكام ، بحيث لا تعود لديه فرصة

للنجاة من العذاب هذه المرة ..

أبلى فرصة .

٢٠١

أوقف (مائير شالوم) سيارته في تلك المنطقة المفقرة ، على مشارف (هلسكي) ، وخرج منها مئجها إلى منزل قديم مهجور ، ودار حوله في خطوات واسعة ، قبل أن يقع بصره على (هال) ، الذي وقف إلى جوار سيارته ، وشفتاه تحملان ابتسامة برجة ممتنة ، وسمعه يقول في حماس مصطنع

مرحبا يا عربي (شالوم) كنت أنتظر بكفارغ الصبر .

سأله (شالوم) في صرامة :

- ماذا تريد بالضبط يا (هال) ؟ ..

أجابه (هال) في سرعة :

رؤيتك يا عربي (هال) لقد أوحشتني كثيرا ، منذ آخر لقاء لنا في منزلك ، و ...

قاطعه (شالوم) مرة أخرى بصرامة أكثر :

- ماذا تريد بالضبط يا (هال) ؟ ..

مطأ (هال) شفتيه ، وهو يقول :

- أه - إن كنت تفضل الدخول في الأمر مباشرة فليكن .

لقد طلبت مقابلتك لنتباحث بشأن المكافاة .

سأله (شالوم) في غلظة :

- أية مكافاة ؟

أجابه (هال) :

مكافأتي الخاصة بتعاون عميلنا السوفيتي معكم الس

هذا ما اتفقا عليه من قبل ؟

بدا الغضب في وجه (شالوم) وصوته ، وهو يقول

- اعتقد أنك حصلت على مكافأتك بالفعل يا (هال)

أجابه (هال) في شراسة :

- لا تحاول التخلص من الاتفاق يا (شالوم) . وإلا

قاطعه (شالوم) في حدة :

- وإلا ماذا ؟

أجاب (هال) في صرامة :

- وإلا فستندمون كثيرا يا سيد (شالوم) .

قال (شالوم) بصوت هائل :

- اتهدد هذا يا (هال) ؟

أجابه (هال) في عنف :

- بل إنذار يا سيد (شالوم) .

ثم مال نحوه ، مستطرذا في عصبية شديدة :

تتصورون انكم اهل الأرض ، واكثرهم حننا وبراعة ،

وانكم قادرون على خداع أي مخلوق في الكون ، ولكن هذا

لن ينطبق على لقد كنت اعم انكم ستحاولون التوصل من

الاتفاق ، او التهرب من دفع المكافآت الإضافية ، بل وثققت ان

تحاولوا التخلص مني أيضا ، لذا فقد استأجرت مخبرا خاصا ،

لتصوير وتسجيل كل مقابلاتنا السابقة سواء تلك التي تمت

بيننا وحيدا ، أو التي التقيت فيها بنا مجتمعين

احتقن وجه (شالوم) وهو يقول في غضب هائل

سجكت كل المقابلات ؟ أمحبون أنت يا رجل ؟

أجابه (هال) في حدة :

- بل رجل عاقل وبكى وحريص أيضا يا سيد (شالوم) .

نعم ، لقد سجكت كل مقابلاتنا ، واودعت التسجيلات مكانا

امياً ، واتخذت ما يلزم من الإجراءات والترتيبات ، بحيث يتم تسليمها لرجال الصحافة وأجهزة الأمن لو أصابني أى مكروه احتقن وجه (شالوم) أكثر ، وهو يقول :
- ايها ال ..

قاطعه (هال) فى صرامة :

- لا تقل شيئاً يا سيد (شالوم) وإلا طالبتك بأحر إضافي لقاء كل ما تنفوه به . واسمعي جيداً .. أريد مليوني دولار إضافية .. وقبل مضي اثنين وسبعين ساعة من الآن ، وإلا .. وصمت لحظة ، ليطلق رغبة حارة ، قبل أن يكمل :
- وإلا فستدفعون أمدح ثمن دفعتموه ، فى حياتكم كلها واقرب منه أكثر ، ليضيف فى حدة :

ستفضل لعنتكم مع المصريين وينفصح امرها

قالها ، وتراجع عاقداً حاجبيه فى صرامة ، ثم استدار ، واتجه إلى سيارته ، وقد تضاعف احتقار وجه (شالوم) مرتين على الأقل ، وهو يراقبه فى صمت مفعم بالنعش والكراهية ، حتى أدار محرك سيارته ، والتفت إليه ، قائلاً فى صرامة

تذكر جيداً يا سيد (شالوم) العتار وسعور ساعة فقط

والوقت يمضى دائماً بأسرع مما تتوقع

ثم انطلق مبتعداً بسيارته ، تاركاً (شالوم) خلفه يكار ينهجر غيظاً وغضباً ، وعقله يبحث عن الوسيلة المثلى للتخلص من هذه المشكلة الجديدة .. وإلى الأبد ..

* * *

اطرق (إيفان) بوجهه فى أسى ، وراح يفرك كفيه فى ارتباك ، وهو يقف أمام (فيدور كوزيريف) ، فى حجرة مكتب

هذا الأخير ، الذى رمقه بعطرة صارمة غاضبة ، قبل أن يقول :
من الواضح أنك لم تعد كسابق عهدك يا (إيفان) . لقد استطاع ذلك الرجل خداعك ، وتمكن من التعيب عليك فى دقائق معدودة ، ولولا وصولنا فى الوقت المناسب لانتهى امرنا تماماً .

تعلم (إيفان) فى جفوت ، كنلمنذ فاشل يتلقى العقاب :

- لن يحدث هذا ثانية أيها الرفيق العقيد هذا وعد .

أشار إليه (كوزيريف) فى حدة ، قائلاً :

- لا تعد بما لا يمكنك الوفاء به .

قال (إيفان) فى بهشة :

لا يمكننى الوفاء به ١٤ كيف أيها الرفيق العقيد ١٥ ..

الرجل فى قنضتنا ، وسائداً عملى معه بعد معادرتى مكتبك ،

والرفاق يؤكدون أنه مقيد فى فراشه بأعمال حديدية !

قال (كوزيريف) فى صرامة :

- هذا بالضبط ما أردت مقابلتك بشأنه .

ثم بهض من مقعده ، ودار حول مكتبه ، متابعاً .

- هذا الرجل بالذات يختلف عن كل من تعاملت معهم من

قبل . إنه يمتلك مزيجاً من خدث الذعالب ، وخفة العهود ، وذكاء

الذئاب ، وشجاعة الأسود ، ولا يمكنك أن تتوقع قط ما يمكن أن

يفعله ، مما يعنى أنه من الضروري أن نظل متحفراً ومتاهباً

طوال الوقت .

سأله (إيفان) فى حيرة :

- حتى وهو مقيد إلى فراشه ١٥

أجابه فى صرامة :

حتى ولو كان داخل كرة مخنومة من الصلب ، فى أعماق

المحيط ، وفوقه ألف طن من الفولاذ .

ظهرت الحيرة على وجه (إيفان) أكثر وأكثر ، ولكنه غمغم .
كما تآمر يا سيدي .

كانت عبارة سخيفة ، لا تناسب الموقف ، إلا أن (كوزيريف) تجاهلها تمامًا ، وهو يقول

- لاحظ أيضًا أن ذلك الرجل أكثر صلابة من المعتاد ، ويمكنه أن يتحمل أضعاف ما يتحمله الآخرون ، فلا تدخر جهدًا في التعامل معه .

ارتسمت ابتسامة متلذذة على شفهي (إيفان) ، وهو يقول :
- أنا لا أدخر جهدًا مع أحد ، أيها الرفيق العقيد .

مط (كوزيريف) شفتيه ، وأوما برأسه إيجابًا ، وهو يقول :
- عظيم . اذهب لتؤدي مهمتك إذن يا رجل

أدى (إيفان) التحية العسكرية في قوة ، وقال في حماس
نفس جملته المملة

- كما تآمر يا سيدي .

قالها ، واتجه على الفور إلى سجن الحواسيس ، وفتح
زنزابة (أدهم) . وتطلع إليه في مفت ، قيل أن يقول في
صرامة :

- ها نحن ذا نلتقي ثانية أيها الجاسوس .

كان (أدهم) يرقد مقيّدًا إلى فراشه ، ولكنه تطلع إليه بنظرة
ساخرة ، وهو يقول متهكّنًا .

- دعني أتذكر أين رأيتك من قبل يا ملك الثيران في حديقة
حيوان (موسكو) ، أم في حظيرة المواشي في (لينسجراد) ؟

التقى حاجبًا (إيفان) في غضب ، وهو يقول

اسحر ما شئت أيها الجاسوس ، فبعد دقائق سيعلو

صراخك ، حتى يعطى هزيم الرعد ، وستتوسل إلى أن أتوقف .
قال (أدهم) ساخرًا :

- يا إلهي ! - إني ارتجف هلغًا . هل تسمح لي بالتوسل
إليك الآن يا ملك الثيران ، حتى تشيح عني بوجهك القبيح هذا ،
قبل أن أفرغ محتويات معدني من شدة الاستئزاز ؟
تصاعف غضب (إيفان) وهو يهتف في ثورة .
ساجعك تدفع الثمن عاليًا أيها الجاسوس .

قالها ووضع يده في حيبه ، ليلنقط أذائه الحادة الرفيعة ،
ثم التقى حاجبًا مرة أخرى ، وهو يبحث عنها في ثوتر ،
وغمغم :

- اللعنة ! .. لقد اختفت .. أين هي ؟

قفز إلى ذهنه بغتة مشهد صراعه السابق مع (أدهم) ،
فهتف :

- اه .. لقد فقدتها هنا .

دارت عيناها في أرض الربرابة لحظات ، ثم انحنى ليرى
عن أداة التعذيب أسفل الفراش ، الذي تم تقييد (أدهم) فوقه ،
ولكنه لم يعثر عليها أيضًا ، وعندما أخرج رأسه من تحت
الفراش ، فوجئ بالأداة أمام عيبيه ، بين سنانة (أدهم)
وإبهامه ، وهو يقول في سخرية :

- هل تبحث عن هذه ؟

استغض (إيفان) في ارتياح ، وهب واقفًا على قدميه ، وحدث
داهلًا في (أدهم) ، الذي تحرر من قيوده ، ووثب نحوه ، قائلاً :
دعني أشكر كثيرًا على أدائك الطريفة هذه
وكال له لكمة كالقنبلة ، مضيئًا :

لقد سرقته منك في اثناء صراعنا السابق ، واحتفظت بها
اسفل الوسادة .

ثم لكمه في معدته لكمة قوية ، انتهى لها الثور السوفيتي ،
وهو يطلق شهقة ألم قوية ، و (ادهم) يتابع .

- وعندما استعديت وعيي ، دفعت الوسادة براسي ،
والنقطت اذاتك باسنانتي .

وضم قبضتيه ، نيهوى بهما مجتمعتين على مؤخرة عرق
الرجل ، مستطردًا :

- ولا تسألني كيف استخدمتها لحل قيودي .

هوى السوفيتني ارضنا ، واستقبلته ركبة (ادهم) في اظه
مباشرة ، فاسطلق من حلقه خوار مزعج ، قبل ان يسقط على
وجهه فاقد الوعي ..

ولم يضع (ادهم) ثانية واحدة ..

لقد تحرك في سرعة نحو باب الزمزانة وعالج رقاجه بالاداة
الرفيعة في خفة ، حتى استجاب له ، ففتح الباب ، وتلفت حوله
في حذر ، قبل ان يتنفس في سخرية ، متعلعا :

- بالمراغة السوفيتية !! لا يوجد حارس واحد في الممر
كان يدرك جيدا ، طبقا للمعلومات التي حصلت عليها
المخابرات المصرية ، ان هذا الممر ينتهي بحجرة الحراس ، التي
لا بد من عبورها ، للوصول إلى الساحة الرئيسية للسجن ،
والتي تقود بدورها إلى ساحة مبنى المخابرات السوفيتية
وهذا يعني ان محاولة الهروب من هذا المكان عسيرة
للعاية !

بل هي مستحيلة ! . طبقا لكل المقاييس الامنية المعروفة ..



ثم لكمه في معدته لكمة قوية ، انتهى لها الثور
للسوفيتي ، وهو يطلق شهقة ألم قوية .

ولكن هذا ما برع فيه ..
أن يتحدى المستحيل ..
ويحطمه ..

وبسرعة عاد (أدهم) إلى (إيفان) الفاقد الوعي ، وراح
يفتش ثيابه جيداً ، إلا أنه لم يعثر على أية أسلحة ، فتطلع إلى
الأداة الحادة الرفيعة ، وغمغم ساخرًا :

عجباً ! .. يبدو أنى لى أمنتك سلاحاً سوا فى هذه
المرحلة ..

قالها ، وتحرك فى خفة ، عائداً إلى الممر ، واطلق عيره فى
جنر ، حتى بلغ حجرة الحراس ، فالتصق بالحدار ، واختلس
البنظر إليها ..

كان هناك سبعة من رجال الحراسة فى الحجرة ، وكل منهم
يحمل مدفعاً آلياً ، وقد انهكت اثنان منهم فى تناول طعام
العشاء ، فى حين جلس ثالث عند باب من الصلب ، يقود إلى
ساحة السجن ، وراح الثلاثة الباقون يتبادلون الأحاديث ..
كان أحدهم يقول :

- كان من المفترض أن أقف لحراسة الممر ، ولكنى لم أعد
أحتمل صرخات الألم والعذاب ، اننى يطلقها أولئك المساكين ،
عندما يبدأ (إيفان) الرهيب فى التعامل معهم ، لذا فقد أتيت
إلى هنا فراراً من هذا ..

ضحك آخر ، قائلاً :

- العجيب أن (إيفان) اللعين يستمتع بكل لحظة من عمله
الحقير هذا ..

هزّ ثالث كتفيه ، وقال :

هذا دأبه منذ أن تولّى هذا العمل .. من الواضح أنه يعانى
شيئاً من الخلل العقلى ، أو أن أحدهم قد عذبه فى طفولته .
فهقه الأول ضاحكاً ، وقال :

- قل لى يا رجل : هل قررت أن تترك مهنتنا ، وتلتحق بكلية
الطب لدراسة الطب النفسى ؟
عاد الثالث يهزّ كتفيه قائلاً :

- وهل تعتقد أنه من السهل أن يترك المرء مهمة كمهنتنا ؟
قال الرجل الجالس عند الباب فى خشونة :
ومن يرغب فى تركها ؟ .. إننى أحب هذه المهنة
ضحك أحد الرجال الثلاثة ، قبل أن يقول :

- بالتأكيد . إنها المهنة الوحيدة ، التى تمنحك حق اعتقال
وقتل الآخرين دون مساءلة .

شعر (أدهم) بالضجر من حديثهم ، فترك موقعه ودلف إلى
حجرتهم بغنة ، وهو يقول بالروسية :

- مساء الخير أيها الأوغاد .. هل تسمحون لى بالانضمام
لكم ؟

التفت إليه الرجال الستة فى دهول ، واتسعت عيونهم عن
آخرها ، وهتف أحدهم :

- كيف ...

ولم يكمل السؤال قط ..

ففى نفس اللحظة التى القى فيها كلمته ، كان (أدهم)
يضرب بقدمه المائدة ، التى جلس حولها الحارسان ليلقيها
معهما ومع طعامهما أرضاً ، ثم ينقض على الرجال الثلاثة ،
ويهوى على كل أحدهم بكلمة كالقنبلة ، فى نفس اللحظة التى

ركل فيها المدفع الألى من يد الثانى ، ثم دار على عقبيه ، وركل الثالث فى معدته ، فاطلق ارجل شهقه قوية ، وهو يثنى على نفسه ، فى نفس اللحظة التى هبّ فيها الحدى الجالس امام الباب ، ورفع مدفعه ، هائفاً فى قوتر شديد :
- اللعبة ! .. إنها محاولة فرار .

لم يكذب طعنها ، حتى وثب (ادهم) يتعلق بالذرياء المتدلية من السقف ، واندفع معها نحو الرجل ، ونحرت قدماء فى ان واحد ، فركل ابيه بالسرى ، واطاح مدفعه باليمينى ، قبل ان يفلت من اثريه ، ويهبط امامه على قدميه قائلاً :
- صدقت يا رجل .

ثم حطّم استنابه بلكمة خاطفة ، مضيقاً :
- إنها محاولة فرار .

سقط الرجل أرضاً كالجر ، ونشأت استنابه المتسورة على الأرض ، فى نفس اللحظة التى نهض فيها الحارسان ، واستعاد الآخران توازنهما ، وتفر الأربعة محاولين استعادة أسلحتهم ؛ لقتل حصصهم القوي ، الذى انقص عليهم كالصاعقة ، وهو يهتف :

- ليس بهذه البساطة .

ولكم ادهم فى ابيه ، لكمة اودعها كل قوته ، فتراجع معها الرجل فى عصف ، وارتطم بالصدر فى قوة ، ثم ارتدّ عنه ، لتسقطه لكمة أخرى أسفطته فاقد اسطق والوعى .

وبكر الثلاثة الأخرين انقصوا على (ادهم) بدورهم ، قبل حتى أن يستعيدوا أسلحتهم ، وطوقه ادهم بدراعيه من الخلف ، وهو يهتف برفيقه :

- لقد شغلت حركته .. عليكما به .

اندفع الرجلان نحو (ادهم) وكل منهما يستعد لتوجيه لكمة قوية له ، ولكن (ادهم) اعتمد بحسده على ذلك الذى يطوق ذراعيه من الخلف ، ورفع ساقبه عن الأرض ، ليركل مهاجميه بقدميه فى قوة ، واستغل القوة الناشئة عن ركلتيه ، لمدفع ساقبه إلى أعلى أكثر ، ثم يدور بهما إلى الحلف ، فى حركة شديدة المروية ، انهشت خصمه ، واجبرته على إفلاته ، لتكتمل دوريه ، ويهبط خلفه فى خفة ، قائلاً :

- معذرة .. هل ضايقت ابتعادى عنك ؟

ثم هوى على ابيه بلكمة كالصاعقة ، مصفقاً .
- دعنا نقترب ثانية إن .

تراجع الرجل مع عصف اللكمة ، وارتطم بزميليه ، قبل أن يستعيدا كامل توازنهما ، وسقط معهما أرضاً ، هو وب (ادهم) ليركل أحدهما فى ابيه ، ثم دار على عقبيه فى خفة ، ليلاكم الثانى فى فكه ، قبل أن يعتدل ، ويدبر عيسه فى الرجال الستة ، الذين فقدوا وعيهم ، وانرشوا أرض الحجرة من حوله ، وعمعم فى سخرية :

- لم يكن الأمر بالصعوبة التى تصوّرتها .

ولكنه لم يكذب يتم عبارته حتى انعقد حاحداه فى شدة ، وفجرت ثورة الشك إلى أعماق أعماقه ..
هذا صحيح ..

الأمر لم يكن بالصعوبة المفترضة ..

وهذا على الرغم من الشهرة الواسعة ، التى بحوزها سجن الحواسيس فى (موسكو) ، والتى تؤكد أن الفرار منه مستحيل ! ..

- الآن -

ولم يكذب ، حتى افتتح الباب المصنوع من الصلب ، في حجرة الحراس ، بمنتهى العنف ، واندفع عبره عشرة من رجال الكوماندوز السوفييت ، صوبوا أسلحتهم نحو (أدهم) ، في نفس اللحظة التي برز فيها عشرة آخرون من الممر ، وهم يصوبون أسلحتهم نحوه بدورهم ، فانشم (أدهم) في سخرية وهو يقول :

رائع .. إنني فانا أستحق كل هذا العدد بالفعل !
لم ينطق أحدهم بحرف واحد ، لكن فوهات المدافع الآلية العشرية المصنوعة إليه ، وتلك الطرقات الصارمة القاسية في العيون ، كانت كلها تعلن أن محاولة الهروب قد فشلت .. فشلت تماماً ..

* * *

اُطلت نظرة ساخرة متشفية في عيني (كوزيريف) ، وهو يجلس خلف مكتبه ، ويتطلع إلى (أدهم) ، الذي أحاط به عشرة من رجال الكوماندوز ، يصوبون إليه فوهات مدافعهم الآلية في تحقّر ، ثم قال ملوْحًا بيده :

- هل تصوّرت أن الفرار من هنا أمر بسيط أيها الرفيق (أدهم) ؟ كان ينبغي أن تعلم أن هذا مستحيل تماماً .
اجابه (أدهم) في هدوء :

- لا يوجد مستحيل في مثل هذه الأمور . كلما يعلم أن الفرار من أي سجن في الدنيا ممكن ، لأنه لا يجد قط جهاز أمني خال من الثغرات مهما بلغت بقلته .
ضرب (كوزيريف) سطح مكتبه براحتته ، قائلاً في صرامة :

ومن غير الممكن أن تكون هذه الشهرة قد بنيت دون أساس ..
وبالذات عندما تؤكد تقارير المخابرات السرية هذا .
هناك إذن أمر غير طبيعي يحدث هنا ..
غير طبيعي على الإطلاق ..
وفي توتر ، راحت عيناه تعحصان المكان في سرعة وخفة ،
ثم لم يلبث حاجباه أن انعقدا في شدة عندما توقف بصره عند نقطة بعينها

عند عدسة تصوير ، تختفي بمهارة فائقة ، بين أحجار الجدار الأيسر ..
إنني فهناك من يراقب كل هذا ..
هناك من يعلم أنه يسعى للفرار ..
وربما منذ اللحظة الأولى ..

وفي نفس اللحظة ، التي تعقّق فيها بصره بعدسة التصوير ، والتي دارت فيها هذه الأفكار في ذهنه ، انعقد حاجبا (كوزيريف) وهو ينطلق إلى صورته ، على شاشة المراقبة ، وغمغم :

- هذا الرجل ذكي وبارع بالفعل . لقد كشف الأمر تمتعت (هيلجا) ، وهي تعث بخان سيجارتها في بطة - لن يدهشني هذا .
أما (جلجانوف) فقال في عصبية :
- ماذا ينبغي أن يفعل الآن ، أيها الرفيق العقيد ؟
هزّ (كوزيريف) كتفيه ، وأجاب في بساطة :
- سننتقل إلى الخطوة الأخيرة أيها الرفيق الرائد .
قالها ، وضغط زرّاً إلى جواره ، وهو يقول ، دون أن يرفع عينيه عن شاشة المراقبة :

- جهازنا خال من الثغرات تمامًا .

قال (ادهم) بابتسامة ساخرة :

- هل تراهني ؟

ابتعد جاحبا (كوزيريف) ، وتراجع في مقعده ، ومطأ شفقه

في غضب ، قبل أن يقول :

- هذه ليست مشكلتنا الآن ..

ثم عاد ينزع إلى الأمام ، مستطردا في حدة :

- مشكلتنا الحقيقية هي عمال وسفاحات ابها الرفيق

(ادهم) لماذا ترفض التعاون معنا ، وتحسرا على التعامل

مع كل العنك وانفسوه ؟ كل ما يريده من مجرد اعتراف

بسيط

ابتسم (ادهم) في سخرية قائلا :

أتريدني أن اعترف بأن بلادى حاوت التجسس عليكم ؟

تألفت عينا (كوزيريف) بريق عجيب ، أثار دهشة (ادهم)

وحذره ، قبل أن يقول السوفيتي بهجة تحمل شيئا من

الارتياح :

- ألم يحدث هذا بالفعل ؟

قال (ادهم) في صرامة :

- ليس لدى وطني أي مسرر لتجسس عليكم يا رجل

صحيح أن العلاقات بيننا ليست على ما يرام ، لكن هذا لا

يدفعنا لإقحام أنفسنا في أموركم الداخلية .

لوح (جلحانوف) بسنسته في وجه (ادهم) ، وهو يقول

في غضب :

- هل تحاول خداعنا يا رجل ؟

اجابه (ادهم) في قوله :

لست أحاول خداع أحد هنا ابها الرفيق إني أخبركم

بالحقيقة صدقوها أو ارفضوها هذا شأنكم

مضت (هيلجا) شفيتها ، وبغلب دحان سيجارتها ، متمنمة .

- إنك تتحدث كثيرا بلا طائل .

أدار (ادهم) عيبيه إليها ، والتقى حاجباه لحظة ، قبل أن

يقول

- هذا أفضل من أن انفث الدخان طوال الوقت كقاطرة

قديمة .

ابتسمت ساخرة ، وبغلت دحان سيجارتها بدنايم ابيق

وقالت :

- ربما كان هذا أفضل ما يمكن فعله ، في ظروف كهذه

ابتعد جاحبا (كوزيريف) في حدة ، وقبل في غلطة

لا تريد احاديث جانبية ايتها الرفيق (ماروسكي)

هزت كتفيتها ، وأشاحت بوجهها ، وعابت نفث دخان

سيجارتها في سطره ، وعلى نحو متقطع ، في حين قال

(كوزيريف) :

قل لي ابها الرفيق (ادهم) هل كنت تنفذ أوامر

رؤسائك ، عندما قذت طائرة التجسس إلى هنا

التفت إليه (ادهم) وقال بسرعة :

قل لي أنت ابها الرفيق (كوزيريف) هل ستواصل هذه

اللعبة حتى النهاية ؟

بدا التوتر على وجه (كوزيريف) ، وهو يتمنم

- أية لعبة ؟

أما (جليانوف) فصاح في غلطة :

- احترس في كلماتك يا هذا ، وإلا ..

قاطعه (أدوم) ، وهو يقول في صرامة :

- اللعبة السوفيتية التقليدية أيها الرفيق (كوزيريف) .

إنك تستدرجني للحديث حول طائرة التجسس ، وتسجل كل كلمة أطق بها ، حتى يمكنكم فيما بعد إعادة ترتيب كلماتي ، ووضعها في شكل اعتراف صريح ، يمكنكم بواسطته خداع العالم أجمع .

شهق (جليانوف) في دهشة ، وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (هيلجا) ، في حين التقى حاجبا (كوزيريف) في شدة ، وهو يتسائل في حيرة : كيف أدرك (أدوم) هذا ؟ ..

ولكنه لم يتوقف كثيرا عند هذه النقطة ، وإنما قال في صرامة :

اللعبة السوفيتية تطورت كثيرا في الآونة الأخيرة ، أيها الرفيق (أدوم) .

ثم ضغط زرا إلى جواره ، مستطردا :

- هل حصلت على ما يكميكم ؟

أنا صوت عبر جهاز اتصال داخلي ، يقول :

- نعم أيها الرفيق العقيد .

وهنا ارتسمت على شفتي (كوزيريف) ابتسامة ظافرة ، وقال :

- عظيم .. هل يمكنكم منحنا تجربة سريعة ؟

أجابته الصوت نفسه :

بالتأكيد أيها الرفيق العقيد . يمكننا منحك تجربة أولية

بعد عشر دقائق فحسب ، ولكن النتيجة النهائية ستحتاج إلى بعض الوقت لإتقانها .

القي (كوزيريف) نظرة ساخرة متشفية على (أدوم) ، وهو يقول عبر جهاز الاتصال :

- فليكن .. أنا في الانتظار .

واتسعت ابتسامته الطافرة ، وهو ينهي الاتصال ، ويواجه (أدوم) قائلا :

إبدا لم نعد نكتفي بالتسجيلات الصوتية كسابق عهدها .. لقد أضفنا إليها (الفيديو) والكمبيوتر ، وأصبحنا نحصل على نتائج مذهلة .

ابعد حاجبا (أدوم) دور أن ينس ببنت شفة ، في حين نهض (كوزيريف) من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتجه إلى (أدوم) مستطردا :

- ففي حالتك مثلا ، وطبقا لخطة وضعتها بنفسى ، اكتفينا بمراقبتك في زمرانتك ، ورأينا كيف تحلصت من الأغلال ، باستخدام أداة التعذيب ، التي سرقناها من (إيفان) ، وكيف هاجمته ، وافقته وعيه .. والواقع أننا قررنا الاحتفاظ بالشريط المسجل ، ليدرس رجالنا أساليبك ويتعلموا من براعتك ومهارتك . وسنحتفظ كذلك بالشريط الآخر ، الذي سجلنا عليه قتالك مع الجنود الستة ، فهو دليل على حسن تدريبك ، وقدراتك القتالية العالية . ولكنني أصرحك القول بأن هذا ليس السبب الوحيد لاحتفاظنا بالشرائط المسجلة ، وإنما هناك سبب آخر أكثر أهمية .

وتوقف أمامه مباشرة ، وتألفت عيناه في شماته ، وهو يضيف :

- سبب يتعلّق بالخطة الرئيسية .

نصّح (أدهم) إلى عيبه مباشرة ، وهو يقول

اعتقد اننى أستطيع استنتاج خطط الرئيسية هذه

ابنسم (كوزيريف) دور أن يجيب ، فتابع (أدهم) .

لو اننى وصفت بعضى فى موضوعك ، واستعرت أسلوبك

فى التفكير ، لاستخدمت هذه الشرائط المسجّلة لأنتم أن

الجاسوس قد حاول الهرب .

قال (كوزيريف) فى هدوء :

- ولماذا أقفل ؟

اجابه (أدهم) :

لتبرّر قتلنى مثلاً ، فى الذاء محاولتى الفرار .

نلّ (كوزيريف) صامتاً ، مشمّع إسمه بضع لحظات ، ثم لم

يلبث أن انفجر ضاحكاً فجأة ، وقال :

- تفكير رائع ايها الرفيق (أدهم) ، ولكنه لم يحس كبد

الحقيقة مباشرة .

اعتقد أحسنا (هينجا) وهى تبتلع إسمى (أدهم)

و (كوزيريف) فى توتر ، هى حين نسمع (حلسوف) فى حمرة

- لم يصب كبد الحقيقة ؟

هتف (كوزيريف) ، وهو يواصل ضحكاته العالية

- بالتأكيد .

ثم استدار فى حركة حادة إلى (أدهم) ، واستطرد فى جدل

- إننا سنستخدم هذه الشرائط المسجّلة ، لنثبت محاولتك

للهرب بالتأكيد ، ولكن ليس كمبرّر لقتلك .

اعتقد أحسنا (أدهم) فى شدة ، وهو يتطلّع إليه ، محاولاً

أن يستشف ما يدور فى أعماقه . هى حين سأل (جلجاوف)

مباشرة :

- لماذا تستخدم شرائط إنى ايها الرفيق العقيد ؟

قبل أن يجيب (كوزيريف) ، تعالى صوت دقات على باب

حجرته ، فالتفت إليه قائلاً فى لهفة

- ادخل يا رجل .

بلغ رجل قصير أصلع إلى الحجرة ، وهو يحمل شريطاً من

اشرطة (الفيديو) ، ويقول :

- التجربة الأولى ايها الرفيق العقيد .

اختطف (كوزيريف) اشريط من يد الرجل فى لهفة ،

واسرع به إلى جهاز (الفيديو) وهو يقول

الآن سترى كيف تطوّرت أسسنا ايها الرفيق (أدهم) .

تعلّق بصر (أدهم) بشاشة (الفيديو) ، عندما بدأ

الشريط عمله . ثم البقى حائداً فى شدة ، عندما رأى صورته

على الشاشة ، وسمع صوته يقول :

- اعترف يا ملائى حاولت التجسس عبيكم الذى وطى

ممرّ للتجسس - العلاقات بمدى ليست على ما يرام ، وهذا

يدفعنا لإقحام أنفسنا فى أموركم الداخلية - إسمى احسركم

بالحقيقة

وتفجّر غضب هائل فى أعماق (أدهم) ..

لقد سجّل السوفنت صورته وصوته . وهو يتحدث مع

(كوزيريف) ، وأجروا عليها بعض التعديلات ، بحيث حذفوا

بعض الكلمات ، ودمجوا البعض الآخر ، ليبدو وكأنه يعترف

بالتجسس بدلاً من أن ينفيه

وبكل غضبه ، قال (أدهم) :

- أسلوبك حقير للغاية يا (كوزيريف)

قهقهه (كوزيريف) ضاحكًا ، وهو يقول :

لكنه فعّال تمامًا أيها الرفيق (أدهم) .. لقد حصلنا
بوساطته على اعتراف صريح منك ، دون أن نسل أدنى جهد
لتعذيبك ، أو انتزاع المعلومات منك قسرًا ، فلقد أكد خبراءنا
أنك لن تدلى بمثل هذا الاعتراف قط ، حتى ولو أحرق (إيمان)
أطرافك واحدًا بعد الآخر . ولم تكن أمامنا سوى هذه الوسيلة ،
التي حققت نجاحًا مدهشًا .

وعاد يجلس خلف مكتبه ، وهو يستنرد :

الآن لم نعد بحاجة إلى وجوبك أيها الرفيق (أدهم)
سنعرض الشريط المسجل بعد تعذيبه وإتقانه ، ونذيع اعترافك
على العالم كله ، وبعدها نذيع محاولتك الفرار ، و
قاطعه (أدهم) :

- ومصرعى .

ابتسم (كوزيريف) ساخرًا ، وهو يقول :

- كلا يا عزيزي الرفيق (أدهم) أنا رجل رقيق المشاعر
أكثر مما تتصور ، ولن يمكنني قتلك بهذه البساطة
وبرقت عيناه في شعامة ، وهو يضيف :

- سنكتفى بنفيك إلى (سيديريا) ، واحتجازك في معتقل
(فيوفيتشي) هناك ، ونعلن للعالم كله نجاحك في الفرار
هتف (أدهم) في غضب ، وهو يهبط من مقعده . ويندفع
نحوه :

- أيها الوغد الحقيير .

ولكن ضربة عنيفة بكعب مدفع آلي ، هوت على مؤخرة

عنقه ، وأعقبتها أخرى على راسه ، فمالت به الأرض ، وتهاوى
وسط الحجرة فاقد الوعي ..

وكان آخر ما رآه هو ابتسامة (كوزيريف) ..

ابتسامته الشامتة ..

والطافرة .

* * *

ساد صمت تام ، في قاعة المشاهدة بمبنى المخابرات العامة المصرية ، وتنهكت عبور الحاضرين بشاشة كبيرة ، تنقل على الهواء مباشرة ، وقائع المؤتمر الصحفي الذي عقده السوفييت ، للإعلان عن محاولة التجسس ، وإبلاغ العالم بأن (مصر) تجاوزت وتحذرت الاعتراف الدولية ، وأرسلت طائرة رصد وتجسس إلى الاتحاد السوفيتي ..

واستعرض المسئول السوفيتي الذي رأس المؤتمر ، صور حطام الطائرة ، و جهرة التجسس التي تم العثور عليها فيها ، ثم شرح كيفية بقاء بعض على (ادهم) واستمر الذي كان عليه ، عندما وقع في قبضة رجال الحكومة ، وبعدها عرض الشريط الملتق الذي يحوى اعتراف (ادهم) ، وبعده أعلن أن الحاسوس قد منح في الفرار بمهارة مذهلة ، وأن المسئولين عن هذا تمت معاقبتهم بمنتهى الحزم ، وقبل أن يطالبه أحد الصحفيين بادلين تم عرض شرائط المسحكة ، التي تنقل تفاصيل محاولة (ادهم) الحقيقية للفرار ..

وعندما بدأ الصحفيون في إلقاء أسئلتهم ، وقبل أن يحاصروا المسئول السوفيتي بها ، ظهر مسئول آخر ليعلن أن المؤتمر الصحفي قد انتهى ، واستحب المسئول الأول ، متجاهلاً احتجاج الصحفيين ، وانتهى البث دون اعتذار أو تمهيد ولنوا ، قل الجميع على صمتهم ، ثم لم يلبث أحدهم أن قطع ذلك الصمت ، وهو يقول :

هل تعتقدون أن (ادهم) قد منح في الفرار بالفعل ؟

تبادل الكل نظرة طويلة ، قبل أن يقول المدير :

- الفرار من سجن الجواسيس في (موسكو) ليس بالأمر السهل ، ولكن (ن - ا) قادر على فعله ، مهما بيعت صعوبته ، ولكنكم تعرفون هذا خيراً مني ، إلا أنه لو نجح في هذا فعلياً ، سيجد السوفييت صعوبة في الاعتراف بالأمر

سأله أحد الرجال في قلق :

- هل تعنى أن (ادهم) لم ينجح في الفرار فعلياً يا سيدي ؟

رباه .. أيعنى هذا أنهم قتلوه في سجنه ؟

بدا الأسف على وجه المدير ، وهو يقول :

- أخشى أن هذا احتمال وارد .

بدا التوتر على وجوههم جميعاً ، وتبادلوا نظرات قلقة ، ثم

سأل أحدهم :

- ألا توجد احتمالات أخرى ؟

أجابه المدير في سرعة وكأنه كان يتوقع السؤال .

- احتمال واحد .

تطلّعوا إليه جميعاً في تساؤل ، فاضاف في جهم

- أنهم يحتفظون - (ادهم) ويرغبون في تصفية كل

ما يحمله من أسرار ومعلومات ، ولكنهم لا يرغبون في حدوث

اية مشكلات أو متاعب من جراء هذا ، ولا يحبون أن يطالب أحد

باستعادته ، أو تحدث اية محاولة لإنقاذه ، لذا فهم يعلنون

فراره ، لإلقاء المتاعب كلها خلف ظهورهم .

اتسعت العيون في هلع ، وهتف أحد الرجال :

- رباه ! لو أن هذا الاحتمال صحيح ، فهو يعنى أن (ادهم)

سيقاسى الأمرين على أيديهم .

اندفع آخر يسأل :

- وكيف يمكننا التأكد من الأمر أو ترجيح أحد الاحتمالين ؟

أجابه المدير وهو يفكر فى عمق :

- سيحتاج هذا إلى إجراء اتصال بمعبدنا هناك ، العميل الأكثر خطورة ..

سأله أحدهم :

- السنا نجازف بكشف أمره هكذا ؟

أشار إليه المدير ، وهو يقول فى حزم :

- بالتأكيد ، ولكنك قلتها من قبل .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- الا يستحق (أدهم) هذا ؟

قالها ، وعاد الصمت يسود المكان ، ويفسح المجال لحديث .

دار فى أعماق كل واحد من الحاضرين ..

حديث يحمل كل الاهتمام ..

وكل القلق ..

* * *

انعقد حاجبا (أدريه فينوفيتشى) ، قائد معتقل (سيبيريا) ،

وتحوك وجهه إلى صورة مجسفة للصرامة ، وهو يتطلع إلى

(أدهم) ، الذى قيّد معصماه وكاحلاه بأغلال معدنية ، ذات

سلاسل قوية متصلة ، واحاط به أربعة من حراس المعسكر .

يصوبون إليه مدافعهم الآلية فى تحفز ، وقال فى حزم مخيف

- إنى فأنت تلك الجاسوس ، الذى جرؤ على اختراق مجاننا

الجوى بطائرة تجسس حقيرة .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول

- عجباً ! .. هل صرت شهيراً إلى هذا الحد ؟

استرجت الصرامة بالعصب فى وجه (فينوفيتشى) ، وهو يقول :

- اه . إنى فبعد رحلتك الشاقة ، من (موسكو) إلى هنا ،

ما زالت لديك القدرة على السخرية . عظيم .. أراهن على أن

عملية تهذيبك ستتمثل تحدياً حقيقياً .

ثم شد قامته واستطرد فى صرامة أشد :

اسمعنى جيداً أبها المتحذلق .. لهذا المعتقل قواعده ، التى

تختلف حتماً عن قواعد القيايق الفاخرة ! فهنا يخلد الجميع

للنوم فى العاشرة مساءً ، وعقوبة من يتفوه بحرف واحد ، بعد

هذه الساعة ، هى الجلد دون حد أقصى ، حتى تغطي الدماء

جسده ، والاستيقاظ فى الرابعة صباحاً ، فإما رجل شاعرى ،

أحب أن يشاهد المعتقلون شروق الشمس ، وهم يبدعون عملهم

فى قطع الأشجار وتخزينها ، ومن الطبيعى أنهم يواصلون

عملهم هذا بلا انقطاع ، حتى الواحدة ظهراً ، ثم يتناولون طعام

العداء ، المكوّن من الخبز الجاف والجن ، وبعدها يعاودون

العمل دون توقف حتى التاسعة والنصف ، وعندئذ يتناولون

وجبة أخرى من الجن والخبز الجاف ، قبل أن يأوى كل منهم

إلى فراش من القش ، ويحيط نفسه بغطاء من الصوف

الخشن . وينبغى أن تعلم أيضاً أن الخدمة هنا خمسة نجوم ،

ومعنى هذا أن ارتكاب خطأ واحد يستوجب خمسة أنواع من

العقاب .. هل فهمت حديثى جيداً ؟

نطق (فينوفيتشى) هذه العبارات بالقصى قدر ممكن من

الغلظة والقسوة ، متوقعاً أن يحطم أعصاب (أدهم) ، لذا فقد

أحلقه وأعضيه للغاية أن يبتسم هذا الأخير في سخرية ، ويقول بالروسية :
- كلاً للأسف ، فأنا جاسوس ، ولا أجيد الروسية بقدر إجادتك لها .

احتقر وجه (عينوفيتشى) في شدة ، وصرخ في الجنود :
خذوه من هنا ، أرسلوه إلى الجب للحبس الانفرادى .
لا أريد أن أراه إلا صباح الغد ، وعندما تشرق الشمس ، صعدوه تحت تصرف الرفيق (سباسكى) .

ارتفع حاحاً أحد الجنود ، وهمس في أفعال :
يا للشيطان ! . . . الرفيق (سباسكى) نفسه !!
وفي عنف ، دفع الجنود (أدهم) أمامهم ، وقطع ممزقة من الفراء تعطى جسده ، وعصروا به الفناء إلى حفرة كبيرة ، يغطيها عطاء من المعدن . فازاح اثنان منهم العطاء ، ثم دفعه الآخرون إلى الحفرة ، التي يبطنها الجليد من كل جانب ، وأحدهم يقول ساخراً :

- تمنع بوفتك في الجب أنها المتحلق ، وسفراك صباحاً
أضاف آخر متهمكاً :

- لو ظلمت على قيد الحياة .
انعجر الباقون ضاحكين ، وأعادوا العطاء فوق الجب ، ليغرق (أدهم) في بحر من الطلام الدامس ..
ومن البرودة القارصة ..
ولكن العجيب أن هذا لم يحلقه أو يعضيه ..
بل على العكس ، لقد بدا وكأنما شعر بالارتياح لوجوده في هذا المكان ..

والأعجب أنه لم يقبض في مكانه لحظة واحدة ، وإنما شرع في العمل على الفور ، وفي نشاط وحماس عجيبين ، فالتقط كمية من الجليد ، وراح يصنع منها كرة كبيرة ، ثم أزال جزءاً منها ، وبعدها أقدم على عمل عجيب ..

لقد الصق نصف الكرة الجليدي بوجهه ، وضغطه في قوة ، وانتظر بضع لحظات ، متحملاً البرودة الرهيبة ، قبل أن يبتزعه ، وقد اسطبت في الجليد صورة مجسمة لوجهه .. وهنا انتقل إلى المرحلة التالية ..

وفي بقعة مذهشة ، راح (أدهم) ينتزع قطعاً صغيرة من الفراء ، ويمطّن بها تلك التجويف ، حتى امتلأ تماماً ، وبعدها وضع طبقة أخرى من الجليد فوق الفراء ، ودفن كل هذا في جزء من جدار الجب بعناية بالغة ..

وعندما انتهى من عمله هذا ، كانت عقارب الساعة قد بلغت الرابعة صباحاً ، وانطلق صيغير الإيقاظ ، فارتسمت على شفثيه ابتسامة ارتياح ، وأحاط جسده بقطع الفراء ، ثم استرخى في قاع الجب ، وكأنما يرقد في حجرة أليفة ، في فندق خمسة نجوم بالفعل ..

ولم يكد جسده يسترخى لدقائق معدودة ، حتى انفتح غطاء الجب وصاح أحد الجنود السوفيت في غلطة :
- استيقظ يا رجل .

رفع (أدهم) عينيه إليه في بظه ، ورأى ثلاثة مدافع البية مصوثة إليه ، وسلمًا من الحبال يلقي داخل الجب ، وسمع الجندي يقول بنفس الغلطة :
- هيا .. اصعد .

نهض (ادهم) فى هدوء ، وتسئق سلم الحبال إلى السطح ،
ورأى الجنود يصوبون إليه مدافعهم الآلية فى تحفز ، فى حين
يتطلع إليه ضابط سوفيتى شاب ، فى أوائل الثلاثينات من
عمره ، اشقر الشعر ، معشوق القوام ، بطل مزيج من القسوة
والصرامة فى عيبيه الزرقاوين ، على الرغم من صمته التام ،
وهو يراقب (ادهم) ، الذى تطلع إليه بدوره بظفرة هائلة ،
جعلته يتجاوز صمته ، ويقول فى صرامة :

- اتعشّم ان تكون الساعات التى قضيتها فى الجب ، قد
اعطتك فكرة عن الأسلوب الذى نتعامل به هنا .

لم ينيس (ادهم) ببنت شفة ، وظلّ يتطلع إليه فى صمت ،
فتابع الضابط فى صرامة أكثر :

- عندما ارسلوك إلى هنا حذرونا منك ، وقالوا إنك أخطر
جاسوس وقع فى قبضتنا حتى الآن ، وطالبونا بتكثيف
الحراسة عليك بالذات ، وبإساءة معاملتك ، ومعاقبتك بمنتهى
الحزم ، كلما ارتكبت خطأ ما . وأنا أميل إلى تنفيذ كل هذه
التعليمات ، ولكنى ساضيف إليها قاعدة جديدة .

وشدّ قامته أكثر ، وهو يرمق (ادهم) بنظرة قاسية ، قبل ان
يستطرد :

- لقد وضعوك هنا لهدفين ، الأول معاقبتك على محاولة
التجسس التى قمت بها ، والثانى الاحتفاظ بك فى مكان
مأمون ، يستحيل الفرار منه ، حتى يتم استجوابك فى بطنه ،
وعلى الرغم من هذا ، فستخضع لقاعدتى الخاصة ، وهى قاعدة
بسيطة للغاية ، فأنا لا أحب إضاعة الوقت فى عقاب لا طائل
منه ، وعندما أشعر بانك قد أصبحت عبئاً علىّ ، أو على النظام

والضبط والربط ، فى هذا المعتقل ، سأتجاوز كل القواعد
والاعراف ، وأعدمك فوراً .. هل تفهم ؟

لم يجب (ادهم) ، وإنما راح يتطلع إليه بنفس الصمت
المستفز ، فانعقد حاجبا الرجل أكثر وأكثر ، وقال فى غضب .
- اذهبوا به إلى العمل واطلقوا النار على رأسه فوراً ، عند
أبنى شك فى محاولة فرار .

دفع الجنود (ادهم) أمامهم فى قسوة ، دون ان يحلّوا
أغلاله ذات السلاسل المعدنية الطويلة ، وقال أحدهم ساخراً :

- يبدو أنك سبب الحظ للغاية يا رجل .. قلائل هم من
يوليهم الرفيق (سياسكى) اهتماماً شخصياً .

لم يعلق (ادهم) على العبارة ، وإن راح يراجع فى ذهنه كل
ما قرأه من معلومات ، فى أرشيف المخابرات المصرية ، عن هذا
الرجل ..

أسمه (لون سياسكى) ضابط برتبة رائد ، سادى النزعة ،
يتلذذ بإيذاء وتعذيب الآخرين ، ولا يتورع عن قتل أى معتقل ،
فقط عندما يرغب فى فعل هذا ، ودون أسباب محدودة .

وملفه يقول : إنه أخطر وأشرس ضابط فى معتقل (سيبيريا) ،
وأكثرهم قسوة ووحشية ..

وهذا يعنى ان التعامل لن يكون سهلاً معه أبداً .
بل ، وربما يعنى ان هذا التعامل سيحمل حتماً الكثير من
المتاعب والمشكلات ..

والكثير من الخطر ..
كل الخطر

« نخب النهاية الماساوية لـ (ادهم صبرى) .. »
هتف (ثوردال) بالعبارة فى جنل ، وهو يرفع كاسه عاليًا ،
فى القاعة الكبيرة فى فيلته الجديدة ، فرفع الآخرون كنوسهم
بدورهم ، وغمغم (شالوم) مبتسمًا :
- نخب النهاية التى صنعناها بانفسنا .

مطت (انجريد) شفيتها ، قبل ان ترتشف رشعة من كاسها ،
وتقول فى برود :
- انت صنعتها وحدك .

انحنى امامها انجاة مسرحية ، وهو ينتسم فى سخرية ،
قائلًا :

- ما كانت خططى لنجح لولا تعاونكم يا سيديتى
مطت شفيتها مرة اخرى ، وهزت كنفيتها ثم اشاحت بوجهها
فى ازراء ، ثم ينتبه إليه احد ، فى حين ضحك (هال) ، وقال
بصوت مرتفع :

- هل تعلمون ان درجة الحرارة قد انخفضت اربع درجات
إضافية اليوم ، والتنبؤات الجوية تشير إلى حدوث انخفاض
اكثر فى الأيام القليلة القادمة ، بحيث ستبلغ درجة البرودة
خمسین تحت الصفر فى (سيبيريا) ، فى أقل من اسبوع
واحد . ترى كيف سيواجه عزيزنا (ادهم صبرى) هذا .

قال (هانز) مبتسمًا :

- ربما يشعل النار فى نفسه للتدفئة .

انفجروا جميعًا ضاحكين ، فيما عدا (انجريد) ، التى لم
ترق لها الدعابة ، و (شالوم) ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ،
وانتظر حتى انتهت ضحكاتهم ، ثم قال فى صرامة :

- ما أخشاه حقًا هو أن يشعل النار فى المعتقل كله
تطلع إليه الجميع فى دهشة ، مع الطريقة التى نطق بها
عبارته ، وغمغم (هال) فى قلق :

- هل تعتقد انه مازال قادرًا على إثارة المتاعب ؟
اجابه (شالوم) فى حزم :

- لا يمكنك التنبؤ قط بما يمكن ان يفعله رجل مثل (ادهم
صبرى) .. إننى أراه فى كوابيسى يذيب ثلوج (سيبيريا)
كلها ، وينقض علينا راكبًا زورقًا بدائيًا ، يطفو فوق فيضان
يغمر العالم أجمع .

ارتسم قلق عارم على وجوههم ، وتبادلوا نظرة متوترة
للعباية ، قبل ان يتمتم (ثوردال) :
- انت على حق .

فجرت عبارته خوفًا عنيفًا فى القلوب ، جعل (انجريد)
تقول فى عصبية :

- الا يوجد ما يمكننا ان نفعله ، لنزيح هذا القلق من طريقنا
إلى الأبد ؟

أشار إليها (شالوم) قائلًا :

- بالتأكيد لديكم ما تفعلونه .

سأله (هانز) فى اهتمام :

- لكنه اصبح فى معتقل (سيبيريا) بالفعل . كيف يمكننا

الوصول إليه هناك ؟

صغت (شالوم) لحظة ، وهو يدبر عيبيه فى وجوههم ، ثم

اجاب :

- عميلكم يمكن الوصول إليه فى أى مكان .

انعقد حاجباً (هانز) في شدة ، وارتسم الشك على وجه (هال) ، في حين هتفت (أنجريد) :

فليذهب إليه إذن ، وليخلصنا من هذا القلق .
وقال (ثوردال) في عصبية :

- (شالوم) على حق . عميلنا يمكن الوصول إليه في أي مكان وبصعوبة بالغة ، سيطر (شالوم) على انفعالاته ، وأخفى ضحكته الساخرة الظاهرة في أعماقه ..

لقد نجحت خطته إلى أقصى حد .
الآن سيتمكنون تعرف تلك العميل السوفيتي الذي يعمل لحساب الشبكة الاسكندنافية ، وتحقيق هدف أكثر أهمية في الوقت ذاته ..

القضاء على أخطر رجل مخابرات في العالم اجمع ..
(أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

خلع العقيد (كوزيريف) قعازيه في بطة ، وهو يقول أمام رئيس فريق الأطباء ، في مستشفى (موسكو) المركزي ، وأطلت من عينيه نظرة صارمة ، وهو يقول :

- إنني فقد انتهى عملكم بنجاح .. عظيم .. هل تعتقد أن أحداً لن ينتبه إلى هذا ؟

أجابه رئيس الأطباء في توتر :

- مطلقاً أيها الرفيق العقيد . حتى الآثار القليلة المتبقية ، يمكن تحليلها بأنها إصابات ناشئة عن المقاومة .

أوما (كوزيريف) برأسه متفهماً ، وقال في صرامة

- هل حافظتم على السرية المطلوبة ؟ .. أنت تعلم عواقب امتضاح هذا الأمر !

ثم مال نحوه مستطرداً بلهجة مخيفة :

- وتعلم إلى أين نرسل من يخالفون قواعد السرية هذه .
سرت قشعريرة باردة كتلوج (سيديريا) في جسد رئيس الأطباء ، وهو يقول بصوت مرتجف :

- أعلم أيها الرفيق العقيد .. أعلم .

مطأ (كوزيريف) شفثيه ، وهو يرمقه بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

- عظيم .. دعنا نر نتائج عملكم .

بدل رئيس الأطباء جهده للسيطرة على توتره وهو يسير أمامه قائلاً :

- صدقت أيها الرفيق العقيد . لقد انجزنا عملاً مذهباً بحق . صحيح أنكم اخترتم الشخص المناسب تماماً ، ولكنك تعلم مثلي أنه لا يمكن الحصول قط على تماثل تام . حتى بين التوائم المتماثلة .

تمتم (كوزيريف) في شيء من الضجر :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

اتجه رئيس الأطباء نحو حجرة خاصة ، يقف أمامها جنديان للحراسة ، وهو يقول :

- لقد عدكنا شكل الدفن ، واتساع العينين ، والأنف ، و ..

قاطعه (كوزيريف) في صرامة :

- لقد أدبتم وأجبكم .

ارتبك رئيس الأطباء ، وهو يتمتم :

- بالتاكيد .. بالتأكيد ايها الرفيق العقيد .. لقد ابينا واجمنا .
ثم لاذ بالصمت تمامًا ، وهو يذلف إلى الحجرة ، واذى
الحارسان التحية العسكرية فى قوة لـ (كوزيريف) ، الذى
اجابهما فى ضجر ، وهو يلح الحجرة بدوره ، ولكنه لم يك
يلقى نظرة على الشخص الرائد على ذلك الفراش فى منتصفها ،
حتى نالقت عيباه فى شدة ، وهتف نور وعى
- مستحيل !

اعتدل الرجل جالسًا فى احترام ، وأشار إليه رئيس الأطباء ،
قائلًا :

- ما رايك ايها الرفيق العقيد ؟
حذق (كوزيريف) فى الرجل ما اهتمام بالغ ، وهو يغمم
- رالع .. إنجاز رائع بحق ،
زفر رئيس الأطباء فى ارتياح ، وهو يقول
- اشكرك ايها الرفيق العقيد .. اشكرك كثيرًا
تطلع (كوزيريف) مرة أخرى ، إلى الشخص الجالس على
طرف الفراش ، فى اسهار ، ثم سأل فى اهتمام .
- هل تعتقد أنك قادر على القيام بالعمل ؟
اجابه الرجل بلهجة عسكرية :
- نعم ايها الرفيق العقيد ،
او ما (كوزيريف) براسه فى ارتياح ، وسال :
- وماذا عن الأسئلة والأجوبة ؟
اجابه الرجل :
- احفظها كلها عن ظهر قلب ايها الرفيق العقيد
بدا ارتياح غامر على وجه (كوزيريف) ، وهو يقول :

- عظيم .. عظيم .. استعد إذن لتؤدى دورك .
اجابه الرجل فى حسم :
- انا على أتم الاستعداد ايها الرفيق العقيد .
اتسعت ابتسامته (كوزيريف) الظافرة ، وربت على كتف
الطبيب فى حرارة ، قائلاً فى حماس :
- عمل رائع يا رجل .. عمل رائع بحق .
ابتهج الطبيب كثيرًا ، وهو يقول :
- اشكرك ايها الرفيق .. اشكرك كثيرًا .
اتجه (كوزيريف) نحو الباب ، وارتدى قفازيه ثانية ، وهو
يقول ، وقد استعاد صرامته :
- أريد كل شيء جاهزًا صباح الغد .
ثم نالقت عيباه فى ظهر ثانية ، وهو يستنرد .
- لا اطيق صبرًا لمعرفة رد فعل المصريين .
وعندما كان يذلف إلى سيارته ، تحوكت ابتسامته الظافرة
إلى ضحكة ..
ضحكة كبيرة ..
وقوية ، و ..
وشامنة .

* * *

على الرغم من العمل الشاق ، الذى يمارسونه منذ الرابعة
صباحًا ، انشغل معنقلو (سيديريا) بالتطلع إلى ذلك المعتقل
الجديد ، الذى أحيط باستعدادات أمنية خاصة ، تمثلت فى
ثلاثة من الجنود المدجحين بالسلاح ، يصوبون إليه مدافعهم
الآلية باستمرار ، على الرغم من الأغلال المعدنية ، ذات السلاسل
الطويلة ، التى تحيط بمعصميه وكاحليه ..

والعجيب أن المعتقل الجديد نفسه لم يبد اهتمامًا بهؤلاء الجنود الثلاثة ، الذين أصابهم الإرهاق من طول مراقبته والتحفز لأي عمل يأتي به ، وإنما راح يقطع الأشجار ، ويجمع ذلك النوع من الصمغ منها في عناية بالغة ، داخل الوعاء الذي أعطوه إياه ، وكأنما لم يعد يشغله في الدنيا سوى عمله هذا .

وتسائل المعتقلون في حيرة عن يكون هذا المعتقل الجديد ، ولكنهم اتفقوا ، دون أن يتبادلوا حرفًا واحدًا ، على أنه حتمًا شخص له أهمية كبيرة ، ويمثل خطورة بالغة تدمع هؤلاء الوحوش المسئولين عن المعتقل ، إلى إحاطته بكل هذه الحراسة ..

ومما ضاعف من دهشتهم وحيرتهم ، أن أشرس ضباط المعسكر الرائد (لون سباسكى) بنفسه ، قد حصر قرب غروب الشمس ، ووقف يتطلع إلى المعتقل الجديد بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

- هل راق لك العمل هنا أيها الجاسوس ١٤ ؟

وسرت في أجسادهم قشعريرة مذعورة ، عندما تحامل (أدهم) هذا القول تمامًا ، وكأنما لم يسمعه ، وبدأ لهم أنه مجنون حتمًا ، حتى يتحدث ذلك الوحش الأدمى ، على هذا النحو السافر ، وخيل إليهم أن (سباسكى) سيطلق النار على راسه حتمًا ، خاصة وقد احتقر وجهه هذا الأخير في شدة ، وصاح في غضب هائل :

- ألم تسمعني أيها المعتقل . إنني أتحدث إليك ؟

وعلى الرغم من الخوف والذعر ، اللذين امتلأت بهما

نفوسهم ، بدأ (أدهم) شديد الهدوء واللامبالاة ، وهو يلتفت إليه ، قائلاً :

- هل تتحدث إلي حقًا ؟ ١٥ - عجبًا .. لم يخبرني أحد قط أن اسمي تغير إلى (جاسوس) أو معتقل !!

احتقر وجه (سباسكى) أكثر ، وهو يصرخ :

- هل تجرؤ على التحدث إلي بهذا الأسلوب يا رجل ١٦ ؟

ارتسمت على شفتي (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يصنع قرصًا من الصمغ في عناية بالغة قائلاً :

- وهل توجد وسيلة أخرى للتحدث مع أمثالك ؟

احتبسست أنفاس الجميع في قوة ، وبدأ لهم أن الموقف سيشتعل حتمًا ، في حين احتقر وجه (سباسكى) في شدة ، وهو يصرخ ، منقضًا على (أدهم) :

- أيها الوغد الحقيير .

ولكن فجأة ، وعلى الرغم من قيوده وثب (أدهم) نحوه ، واستقر انتفاضته بمثلها ، وضرب وجهه بقرص الصمغ ، بكل ما يملك من قوة ..

وفي نفس اللحظة التي انطلقت فيها شهقات وصرخات المعتقلين ، والتي سقط فيها (سباسكى) على ظهره في عصف ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية للجنود الثلاثة نحو (أدهم) ، و .. واشتعل الموقف بحق .

* * *

١٥ - وجهاً لوجه ..

تهددت النقيب (هيلجا مارونسكى) فى ضجر ، عندما خلقت بها الطائرة مع زميلها الرائد (يورى جليانوف) وسالته فى ملل ، وهى تسترخى فى مقعدها :

- هل تعلم كم ستستغرق رحلتنا ، حتى (سيبيريا) ؟

اجابها (جليانوف) فى برود :

- سبع ساعات بالطائرة حتى (ياكوتسك) ، وبعدها ثلاث

ساعات بالهليكوبتر ، من (ياكوتسك) إلى معتقل (سيبيريا) .

زفرت فى ملل قبل أن تقول :

- وهل تعتقد أن مثل هذه الرحلة ضرورية ؟ . أعنى

ما شائنا نحن بعملية استجواب (أدوم صبرى) هذه ؟ .

لماذا لا يقوم بها (سباسكى) أو (فينوفيتشى) فى المعتقل ؟

انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يجيب :

- هل نسيت القواعد ، أم أنك تمزحين أيتها النقيب ؟ .

استحواب جاسوس هو مهمة الـ (K . G . B) ، وليس ضباط

المعتقل المتأففين .

سالته فى شيء من السخرية :

- مادام الأمر كذلك ، فلماذا نتجشّم كل هذا الجهد

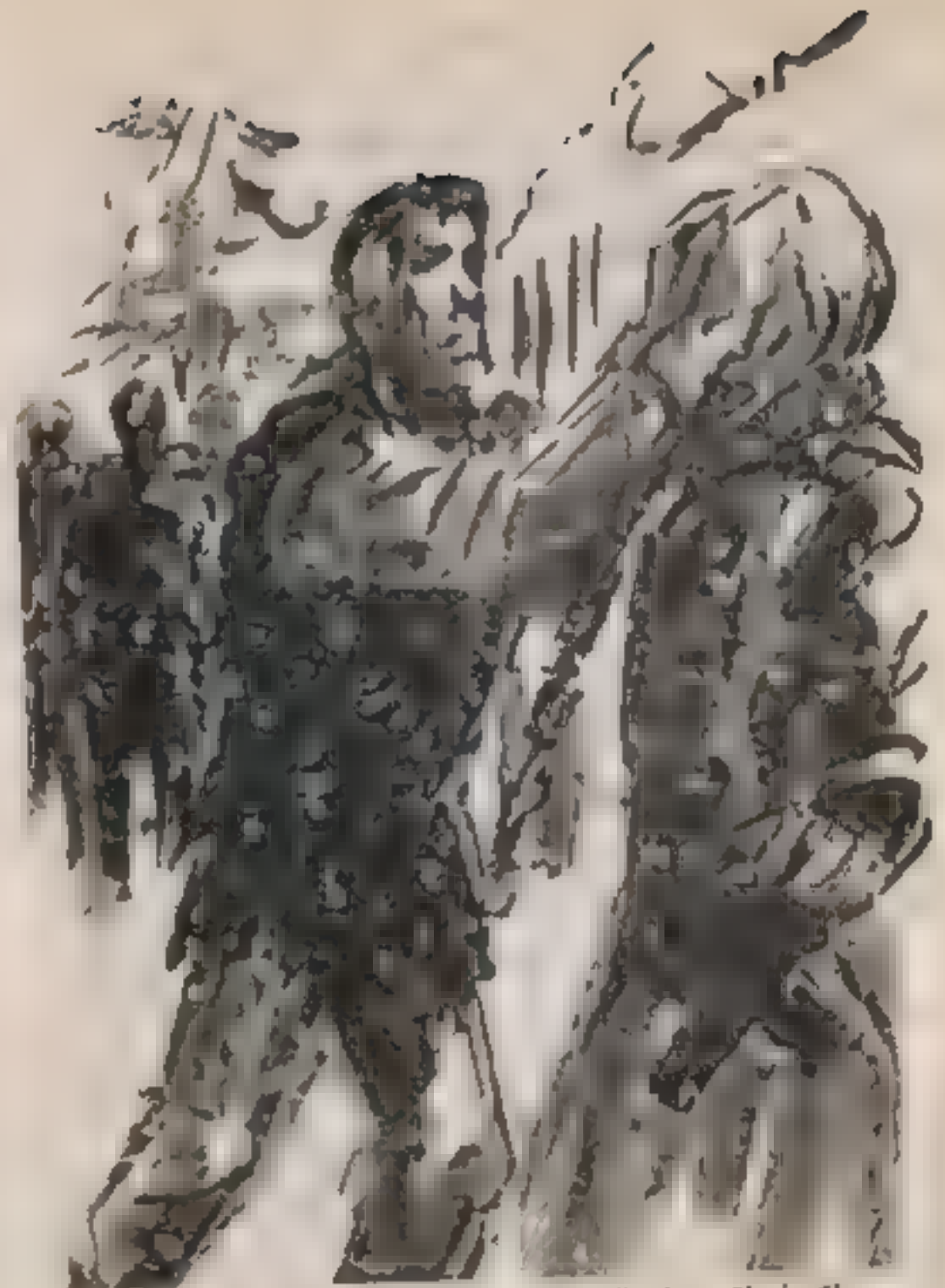
لاستجوابه ؟ .. كان يمكننا استجوابه هنا فى (موسكو)

هز رأسه نقيًا ، وهو يقول :

- كلاً . لم يكن هذا ممكناً .. خطة الإدارة كلها تعتمد على

إثبات أن (أدوم صبرى) قد هرب ، بعد إلقاء القبض عليه

بتهمة التجسس ، ولقد درس الرؤساء الأمر ، ووجدوا أن



ولكن فجأة ، وعلى الرغم من قيوده وثب (أدوم) نحوه ،

واستلبل انتفاضته بعثها ، وصرب وجهه بقرص الصمغ .

وجوده داخل المقر الرئيسى سيجعل العدوية كلها محفوفة بالخطر ، خاصة وأنه هناك معلومات بالغة السرية ، تشير إلى احتمال وجود جاسوس بين صفوفنا .

اعتدلت بحركة حادة ، وهى تهتف :

- جاسوس ١٩ هنا ١١

أشار لها بالصمت فى صرامة ، وقال :

- احفظى صوتك ابتها الرفيق قست لك إن هذه المعلومات بالغة السرية .

سألته هامسة فى انفعال :

- كيف توصلت إليها إذن ؟

انعقد حاجباه وهو يقول فى صرامة :

- ليس هذا من شأنك .

تراجعت قائلة فى غضب :

- المفترض أننى زميلتك .

حافظ على انعقاد حاجبيه بحدة قبل أن يقول

- إنها معلومات خاصة بلعابة ، فقد انتبه الرؤساء إلى

وجود ترسيب فى المعلومات ، يوحى بوجود جاسوس بين

الصفوف ، وهم يحاولون كشف أمره فى حذر مبالغ ، خاصة

وأنهم ما زالوا يجهلون لحساب من يعمل .

بدا عليها الانفعال ، وهى تهر رأسها ، قائلة

- جاسوس ١٩ .. ياله من أمر بالغ الخطورة .

وافقها بإيماءة من رأسه ، وقال :

لهذا حشى المستنوبون أن يبقى (ادهم صبرى) لديها .

فيلعب الجاسوس الجهة التى يعمل لحسابها بهذا ، وعضكوا

إرساله إلى مكان لا يمكنه الفرار منه قط ، ولم يكن هناك أفضل من معتقل (سيبيريا) .

سألته فى اهتمام

ولماذا لم يتم ابتزاز المعلومات منه بواسطة (إيفان) ؟

ابتسم فى سخرية قائلاً :

- وتقولين إنك تفهمين شخصية (ادهم صبرى) ؟

ثم مال نحوها مستطرداً فى صرامة :

- خيراؤنا أكدوا أن رجلاً مثله لا يمكن أن ينهار من جراء

التعذيب ، مهما بلغت شدته ، وقسوته ، وأن سلامة أمر لا جدال

فيه . تحدث أن يطلق بكلمة واحدة ، ولو بتربا أطرافه ، واحداً

بعد الآخر . لماذا لحنوا إلى الحيلة فى رأيك ، لو لم يكن كذلك ؟

هزت كتفها ، قائلة :

كل هذا أعرفه عنه ، ولكن ما ينشر خبرتى حقاً هو ما الذى

استنجد بعد دهايه إلى (سيبيريا) ، بحيث يصح استجوابه

هناك مجدداً ؟

انعقد حاجباه فى شدة هذه المرة ، وكأنما لم يرق له السؤال

أبدأ ، وقال فى صرامة :

إنك تكثيرين من الأسئلة ابتها الرفيق (ماروسكى)

قالت فى حدة :

- ليس من المفترض أن أفهم على الأقل ما نحن بصدده ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

الرؤساء قدروا أن الوقت قد حان لاستخدام مصل الحقيقة

سألته فى دهشة :

- ما الذى كان يحق استخدامه من قبل ؟

اجابها بسرعة :

العقار المضاد . لقد اكدت معلوماتنا أن المصريين لديهم عقار مضاد لمادة (بيتوثال الصوديوم) ، التي تُستخدم لوضع المرء في حالة أشبه بعيبوبة البقطة ، بحيث يتم انتزاع المعلومات منه بسهولة ، وأن عقارهم المضاد هذا يمتد تأثيره لستة أيام متصلة ، ولا يمكن كشف أمره بوساطة تحاليل الدم العادية ، ولهذا انتظروا حتى يضمنوا تلاشي أثره تمامًا قبل حقن (أدهم صبرى) هذا بمصل الحقيقة ، معترصين أنه قد تناول جرعة من العقار المضاد كإجراء وقائي ، عند إنقاء القبض عليه ..

أومات برأسها متفهمة وقالت :

- فهمت .. إن فحن في طريقنا لاستجواب (أدهم صبرى) باستخدام مصل الحقيقة .

قال على الفور :

- لم التخلّص منه فورًا .

التفتت إليه في دهشة ، فتابع ، وهو يرسم على شفثيه ابتسامة خبيثة :

- فلقد انتفت الحاجة إلى وجوده مد ساعة واحدة .. انتفت تمامًا .

ولم تفهم (هيلجا) ما يعنيه هذه المرة ..

لم تفهم أبدًا ..

* * *

كل شيء كان يوحي بأن نهاية (أدهم) آتية لا ريب ..

لقد كان مقيدًا بأغلال معدنية قوية ، تربط كاحليه ومعصبيه

بسلاسل طويلة ، لا تعوقه عن الحركة ، ولكنها تحدّ من مرونته إلى حد كبير ، وضرب أشرس ضباط المعتقل في وجهه ، وأسقطه على ظهره ، أمام عيون الجميع ، وارتفعت فوهات مدافع حراسه الثلاثة نحوه ، واستعنت سبائباتهم لاعتصار أرندة المدافع ، وإطلاق النار على (أدهم) مباشرة ، و .

وفجأة ، ارتفع صوت صارم ، يقول :

- انتظروا .

وبرز (اندريه فينوفيتشى) قائد المعتقل ، بوجهه الصارم

القاسى ، وهو يستطرد في غضب :

ماذا يحدث هنا ؟

هبّ (سباسكى) واقفًا ، وارتجف جسده كله من فرط

الغضب والانفعال ، وهو يشير إلى (أدهم) صائحًا :

- هذا المعتقل الحفير جرؤ على تحدّى أوامرى وهاجمنى

أمام الجميع - لاند من قتله بمنتهى القسوة ، حتى يصبح عبرة

لمن يعتر .

ثم استل مسدسه ، مستطردًا في ثورة :

- والآن .

اندفع (فينوفيتشى) بمسك يده ، قبل أن تنطلق الرصاصة

الغاضبة من مسدسه ، وقال فى صرامة :

- انتظر . لا يمكنك قتل هذا الرجل بالتحديد

صرخ (سباسكى) ناثراً :

- لا يمكنى ماذا ؟ .. كلنا نعلم أنه ما من معتقل يجو من

فعل كهذا ، أيها الرفيق القائد .

قال (فينوفيتشى) بصوت هائر :

- قلت : لا يمكنك قتله .

ثم أضاف ، وهو يخفض فوهة المسدس عنوة
- ليس في الوقت الحالي على الأقل .

حدق (سباسكى) في وجهه بعصب لئلا مستنكر ، فانهقد
حاجبا (فينوفيتشى) ، واستدار إلى جنود الحراسة قائلاً :
- ألقوا هذا الرجل في الجب ، وأتركوه هناك ، بلا طعام أو
ماء حتى اصدر أوامر أخرى .

دفع الرجال (أدهم) أمامهم في قسوة ، فابتسم في سخرية ،
قائلاً :

- إلى اللقاء في المرة القادمة أيها الرفيق (سباسكى)
احتقن وجه (سباسكى) وصوب إليه مسدسه مرة أخرى ،
صائحاً :

هل سمعت أيها الرفيق القائد ؟ هل سمعت ؟ لا يستحق
القتل لهذا ؟

أجابه (فينوفيتشى) في عصبية :
- اهدأ يا (سباسكى) ، واستمع إلى جيداً هذا الرجل
حالة خاصة للغاية .

تضاعف احتقان وجه (سباسكى) ، حتى كادت الدماء
تفجر من عينيه ، وهو يعيد مسدسه إلى عمده في حلق
مستنكر :

- حالة خاصة للغاية !! .. أى قول هذا ؟
ثم استدار إلى جموع المعتقلين ، الذين يتطلعون إليهما ،
صارخاً :

- ما الذى تطربون إليه ؟ عوبوا إلى عملكم أيها
الحقراء . أنت هناك . ما الذى يثير انتباهك ؟

قالها ، وانقض على أحد المعتقلين ، ولكمه في أذنه ، ولم يكد
الرجل يسقط فوق الحديد ، وهو يتأوه في ألم ، حتى راح يركله
بمتهى العنف والقسوة ، وكأنه يفرغ فيه كل غضبه وثورته ،
دون أن يتدخل (فينوفيتشى) . أو يعلق بحرف واحد ، بل
أشاح بوجهه عما يحدث ، وراقب الجنود الثلاثة ، وهم يلقون
(أدهم) داخل الجب الجليدى ، وأدهشه استسلام هذا الأخير
لهم على نحو عجيب ، وراهم يعلقون الجب خلفه ، هز رأسه
متحيراً ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم استدار إلى (سباسكى) ،
الذى عاد إليه لاهثاً ، بعد أن حطم ثلاثة من أضلاع المعتقل
المسكين ، وأفقده الوعي ، وهو يقول في حدة :

- هؤلاء الأوغاد لا يصلح معهم سوى التعامل العنيف .
مط (فينوفيتشى) شفطيه دون أن يجيب ، وسار بضع
خطوات صامتاً ، إلى جوار (سباسكى) ، الذى يعلى غضباً ،
ثم قال :

- المخابرات أرسلت الفين من عملائها إلى هنا ؛ لاستجواب
ذلك الرجل .

عقد (سباسكى) حاجبيه ، وهو يقول في عصبية
- أهذا ما يضطربنا للإبقاء عليه ؟
هز (فينوفيتشى) كتفيه مجيباً :

- أنا أبغضه بأكثر مما تفعل أنت ، ولكنك تعرف الأوامر
صمت (سباسكى) بضع لحظات ، وهو يحاوس السيطرة
على الثورة المنفلعة في أعماقه ، ثم قال في شيء من التوتر
والحدة :

- كم سيستغرق استجوابه ؟

أجابه (فينوفيتشى) بسرعة :

- يوماً واحداً .

توقف (سباسكى) بغتة ، وهتف :

- أتعنى أنه بعد هذا اليوم يمكننا أن .

قاطعه (فينوفيتشى) مكعلاً بابتسامة ذات معنى .

- نقتله لو أردنا . نعم .. كل ما أمامنا هو أن نحتمله حتى

ينتهى استجوابهم له ، وبعدها سنعمل ما يحلو لنا .

ثم وضع يده على كتفه ، مستطرداً :

- واعذك أن أشرف على إعدامه بنفسى عندئذ

تالقت عيب (سباسكى) ، وأدارهما لينقى نظرة على ذلك

الجب ، الذى القوا (أدهم) فى أعماقه ، وهو ينمتم :

- ساحرص على ألا تفوتنى تلك اللحظات الرائعة أبداً .

والتقى حاجباه فى شدة ، مع صوته المغمم بالمفت

والكراهية ، وهو يكرر :

- أبداً ..

أما (أدهم) نفسه فلم يكن يعمل درة واحدة من الأسف أو

الغضب ، فى أعماق الحب ، وإنما استقرّ بعض الوقت فى

هدوء ، ليضمن أن أحداً لم يقنح عليه خلوته ، وأرهف سمعه

لربح ساعة كاملة ، قبل أن يبدأ عمله بمنتهى النشاط .

فى البداية أخرج كرة الثلج الذى دفعها فى قاع الجب ، فى

المرّة السابقة ، ثم فصل نصفها فى حرص ، ساعدته عليه قطع

الفراء ، التى بطن بها اصطناع وجهه فى الجليد ، وابتسم فى

سخرية وهو يخرج قرص الصمغ ، الذى استطاع عليه وجه

(سباسكى) ، والذى انتهز الارتباك الذى أحدثه هجومه على

هذا الأخير ، ليخفيه فى طيات ثيابه ، وغمغم .

- كيف يمكننى أن أشكرك أيها الوجد (سباسكى) ؛ لأنك

أتحت لى الفرصة لإتمام عملى هنا .

وطوال خمس ساعات كاملة ، وعلى الرغم من الطلام ، ومن

درجة البرودة ، التى بلغت فى تلك الليلة عشرين درجة تحت

الصفر ، راح (أدهم) يعمل بمنتهى الدقة والنشاط والحيوية ،

ويفرك أطراف قرص الشمع فى قوة ليبث فيه شيئاً من الحرارة ،

ويذيبه رويداً رويداً داخل قوالب الثلج التى صنعها فى مهارة

مدهشة ..

كان يعمل بلا كلل أو ملل ، فى محاولة لإنهاء عمله الدقيق

قبل الرابعة صباحاً ، على الرغم من أنه لم يدق طعم النوم

لليلتين كاملتين ..

وعندما انطلق نفير الإيقاظ ، فى تمام الرابعة ، كانت كل

خلية فى جسده تصرخ بالإرهاق والإجهاد والتعب ، ولكنه

انتهى تماماً من عمله ، واستزع فى رفق طبقة رقيقة من الصمغ ،

وطواها فى رفق ، بعد أن بطنها بقطع من الفراء ، ثم أخفاها

بين ثيابه ..

وهنا ..

هنا فقط ، أغلق عينيه فى تهالك ، وغمغم :

- عظيم .. ليلة مثمرة بحق .

وفى هدوء وارنياس ، أحاط جسده بقطع الفراء فى إحكام ،

ثم استسلم لنوم عميق ..

عميق للغاية ..

ولكن نومه هذا لم يستغرق طويلاً للأسف ..

فلم تغض رقائق معدودة ، حتى فتح السوفيت الجيب ،
وارتفع صوت احدهم فى صرامة ، يقول :
- استيقظ يا رجل .

فتح (ادهم) عينيه فى إرهاب ، لم يمنعه من أن يقول فى
سخرية :
- من هذا ؟ .. خدمة الغرف .

لقى الجندى إليه سلم الحبال ، وهو يقول فى حدة .
- هيا اصعد .

تسلق (ادهم) السلم إلى سطح الجيب ، وراى المدافع الآلية
مصوبة إليه ، وسمع أحد الجنود يقول متحفظاً :
الرفيق (سباسكى) اصدر أوامره بأن تبدأ عملك اليومى
مع باقى المعتقلين ، دور أن نتناول وجبة الإفطار
قال (ادهم) ساخرًا :

عجبنا أى فندق هذا ، الذى لا يتناول فيه النزلاء أية
وجبات ؟

دفعه الجندى بمنفعه فى غلظة ، قائلاً :

- هيا . كف عن سخافاتك هذه ، واذهب إلى العمل
كان (ادهم) يشعر بإرهاق شديد ، إلا أنه أخفى هذا فى
أعماقه ، وتماسك ببسالة منقطعة النظير ، وهو يعمل بنفس
النشاط الذى يعمل به الآخرون ..

بل ربما كان هو الوحيد ، من بين المعتقلين كلهم ، الذى يعمل
بكل هذا النشاط ..

وفى حذر ، اقترب منه أحد المعتقلين ، وهمس -
- أهيك يا رجل .. أنت الوحيد الذى حطمت أنف
وحش (سيبيريا) .

ابتسم (ادهم) فى سخرية هامسة :

- وحش (سيبيريا) ؟ .. أهذا هو اللقب ، الذى
تطلقونه على (لون سباسكى) ؟
همس الرجل :

- إنه يستحقه عن جدارة .. ذلك الوغد وحش حقيقى . لقد
قتل أكثر من ستين معتقلاً بلا أدنى رحمة أو شفقة ، منذ بدأ
عمله هيا ..

ابعقد حاجبا (ادهم) فى غضب ، وهو يقول :

- رجل كهذا يستحق القتل .

تلفت الرجل حوله ، قبل أن يهمس :

- ورجل مثلك يستحق الزعامة .

تطلع إليه (ادهم) فى دهشة مغممة :

- الزعامة ؟ ..

صاح أحد الرجال الثلاثة الذى يراقبون (ادهم) ، فى
صرامة :

- فيم تنهامسان ؟

رفع الرجل عينيه إلى الرجال الثلاثة ، وهو يجيب بسرعة :

- إنه مجرد حديث عابر يا رجل .. وبالمناسبة .. لقد صنعت
لكم السجائر التى طلبتموها .

تبادل الحراس الثلاثة نظرة قلقة ، ثم تقدم احدهم نحوه ،
قائلاً فى حذر عصبى :

- أين هى ؟

سحب الرجل يده فى صدره ، وأخرج منه رزمة من اللقائف
الداكنة ، ناولها للحارس فى خفة ، وهو يقول :

إبه افضل تبغ عثرنا عليه فى حجرة الضباط .
تألفت عينا الجدى فى لهفة ، وهو يقول
- عظيم .. عظيم

وتألفت حوله فى توتر ، قبل أن يعود إلى زميليه ، وينشغل
الثلاثة فى اقتسام السجائر ، فابتسم (ادهم) ، معجباً .
- هل تتعامل معهم بهذا الأسلوب دائماً ؟

أوما الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :
- إنهم يعانون مثلاً يعانون ، فالضباط وحدهم يتمتعون
بكل الرفاهية هنا .

ثم لوّح بكفه ، مستطرداً :
- ولكن دعنا نعد إلى حديثنا لقد تحرينا عنك ، وعرفنا من
تكون .. اسمك (ادهم صبرى) ، وأنت جاسوس مصرى .
اخترق المجال الجوى السوفيتى ، و ...
قاطعه (ادهم) :

- لا تصدق كل ما تسمعه يا رجل .
ابتسم الرجل وهو ينطع إليه قائلاً :
- فليكن .. دعنا من كل هذا ، ولندخل فى الأمر مباشرة . لقد
راق لنا أسلوبك كثيراً ، ونعتقد أنك الرجل المناسب ؛ لنقوم
ثورتنا ضد هؤلاء الطغاة .

انعقد حاجباً (ادهم) ، وهو يخفهم :
- ثورتكم ؟

قال الرجل فى حماس مكبوت :
- نعم يا سيد (ادهم) . الثورة هى وسيلتنا الوحيدة ،
للفرار من كل هذا العذاب .. إننا نفوقهم عدداً ، ولكنهم

مسلحون ، وأكثر منا قوة ، والوسيلة الوحيدة لخلق التوازن
بيننا ، ولنجاح ثورتنا ضدهم ، هى أن نجد الزعيم القوى الذى
يجمع كلعتنا ، ويثير حماسنا ، ويقود لحظة الانفجار .

اعتدل (ادهم) ، قائلاً فى حزم :
- ولكنى لست سوفيتياً .
أجابه الرجل فى مرارة :

- لست سوفيتياً ؟ .. وماذا فى هذا يا رجل ؟ .. هل تعتقد
أن كل المعتقلين هنا من السوفيت ؟ .. مطلقاً يا سيد (ادهم) ..
إنما هما أشبه بالأمم المتحدة (*) .. ستجد بيننا إنجليز ،
وفرنسيين ، وهنود ، ورومانيين ، وعرباً .. السوفيت يعتقلون
كل من يشتبهون فى أمره ، دون رحمة أو شفقة ، ومجتمعنا هذا
يحتاج إلى شرارة ، تطلق كل الثورة الكامنة فى أعماقه ،
لينفجر فى وجه هؤلاء الطغاة ، ويحطم المعتقل كله فوق
رموسهم ، وهذه الشرارة ستطلقها أنت .

سأله (ادهم) :

- لماذا أنا بالتحديد ؟

أجابه الرجل :

- لأن الجميع هنا أصبحوا مبهوتين بك ، ويعتقدون كل

(*) الأمم المتحدة منظمة دولية ، أسست عقب الحرب العالمية
الثانية ، لتحل محل (عصبة الأمم) ، ومقرها الدائم هو (نيويورك) ،
منذ عام ١٩٥٢م ، ولقد وضع الاتحاد السوفيتى ، وبريطانيا ، والصين ،
والولايات المتحدة الأمريكية مقترحات ميثاق الأمم المتحدة فى
مؤتمر (بومبارش أوكس) (سبتمبر - أكتوبر ١٩٤٤) ، قبل النهاية
الفعلىة للحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) .

أما لهم عليك ، في أن تحمل لهم شعلة الحرية ، وتخلصهم من عذاب الديكتاتورية والقسوة هنا .
هز (أدهم) رأسه قائلاً :

لا تنسوا قصوراً في الهواء ب رجل . وظيفة الزعيم هذه لا تناسبني أبداً ، فأنا ..

بتر عبارته بعثة . و يعقد أحاساه في شدة ، وهو يتطلع إلى هليوكوبتر ظهرت من بعيد ، وهي تتجه نحو المعتقل مباشرة ، فالتفت الرجل إليها بدروه ، وعمعم في فوتر

- وصول هليوكوبتر إلى هنا يعنى دافنا مريداً من التعقيدات والقسوة .

لم يعلق (أدهم) وهو يتابع الهليوكوبتر ، وقد راوده شعور عجيب بأنها قائمة من أجله بالتحديد ..

ولم يكد هذا الشعور يستقر في أعماقه ، حتى ارتفع من خلفه صوت صارم يقول :

- تحرك يا رجل الرقيق (سياسكى) يطلبك في مكتبه على الفور

اعتدل (أدهم) . وتطلع إلى الحسود لحظة قبل أن يقول ساحراً :

فليكن أراهن على أنه سيقفل نفسه ، لو لم أذهب إليه بأقصى سرعة .

أحاط به الجنود في حذر متحفظ ، وصوبوا مدافعهم إليه ، وهم يقودونه أمامهم نحو مكتب (سياسكى) ، في حين حُلقت

الهليوكوبتر فوق المعتقل ، استعداداً للهبوط ، وهنئ الرجل .
- ففكر جيداً فيما عرضناه عليك .

أشار (أدهم) بده ، دون أن يجيب ، وعقله بحمل عشرات النساء ذوات ، وعبياء تتابعان هبوط الهليوكوبتر ، والتي

استقرت فوق المهبط الضار بها ، في منتصف المعتقل ، في نفس الوقت الذي واصل فيه الجيد إهماره المستمر ، لليوم الثالث على التوالي ..

وبدا من الواضح أن عريضة الشعور بالخطر هي أعماق (أدهم) لم تخدعه أبداً ..

فوصول الهليوكوبتر بحمل له سيفعل الخطر كل الخطر ..

* * *

السوفيت أعلنوا أنهم القوا القبض على (أدهم) ثانية بعد فراره ..

انعقد حاحنا مدير المخابرات ، عندما التقى إليه مساعدته بهذا الخبر ، وبدأت علامات التفكير والتفكير على وجهه وهو يتمتم -

- عجبنا ما هدفهم من إعلان هذا الآن ، على الرغم من أن عيب في صفوفهم أكد لنا أن (أدهم) لم يفر قط ، وأنه معتقل في (سيبيريا) ؟

قال المساعد في اهتمام :

من الواضح أنهم قد طغروا بشيء ما من العقيد (أدهم) يا سيدي . فهد لم يكتفوا بإعلان إلقاء القبض عليه ، وإنما أكدوا أيضاً أنهم سيبدعون محاكمته على الفور

قال المدير في بهشة :

- محاكمته ؟

وشرد بمصره بصع لحطت ، على الرغم من انعقاد حاجبيه ، قبل أن يتابع في حيرة :

من الواضح بهم يتحركون بسرعة كبيرة ، وطبقاً لخطة محدودة ، ولكن ما الذي يعتمدون عليه بالضبط ؟

قال المساعد متردداً :

- يبدو انهم يحاولون إلصاق التهم بنا ، عن طريق محاكمة
(أنهم) علانية .
هز المدير رأسه في قوة ، قائلاً :

مستحيل ! .. السوفيت يدركون جيداً أن ظهور (أنهم) في
محاكمة علنية أمر محفوف بمخاطر شتى ، فمهما عذبوه أو
مارسوا ضغوطهم عليه ، لن يدين وطنه على الملا أبداً .. هذا
جزء من شخصيته ، وسيضعهم هذا في موقف شديد الحرج .
قال المساعد في حيرة :

- كيف سيحاكمونه إذن ؟
هز المدير رأسه ، مغمضاً :

- لست أدري - لكن لديهم ما يملأ نفوسهم بالثقة حتماً
استغرق في التفكير بضع لحظات ، محاولاً البحث عن
تفسير منطقي ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال الداخلي على
مكتبه ، وارتفع منه صوت يقول في افعال :
- سيدي .. السوفيت سيديعون محاكمة العقيد (أنهم) على
الهواء مباشرة الآن .

ارتفع حاجبا المدير في بهشة ، قائلاً :
- على الهواء مباشرة ! .. عجباً ! كيف يغامر السوفيت
بموقف كهذا .

قالها ، وهو يضغط زر جهاز (التليفزيون) المهدد لاستقبال
المحطة الفضائية السوفيتية ، فارتسمت على شاشته صورة
لقاعة المحاكمات الكبرى (في موسكو) ، وقد اكتظت
بالصحفيين من مختلف الجنسيات ، وبعدد كبير من ضباط
الجيش السوفيتي والجميع يتطلعون إلى الرجل الواقف خلف

القصبان ، والذي بدأت إجراءات محاكمته بالفعل
وكان ذلك الرجل هو (أنهم) ..
(أنهم صبري) ! ..

وفي شدة ، انعقد حاجبا مدير المخابرات ، وهو يتطلع إلى
الشاشة ، في حين هتف مساعده في افعال .
- رياه ! .. إنه سيادة العقيد (أنهم) بالفعل .

أشار إليه مدير المخابرات بالصمت ، وهو يستمع إلى رئيس
القضاة العسكريين ، الذي افتتح المحاكمة ، معلناً أنها محاكمة
لجاسوس مصري ، اخترق المجال الجوي السوفيتي بطائرة
تجسس ..

ثم بدأت المحاكمة ..

وفي فصاحة مطلقة أعلن النائب العسكري صحيفة الاتهام ،
بأن يعلق (أنهم) بحرف واحد ، وعندما انتهى منها ،
التفت رئيس القضاة إلى قفس الاتهام ، وقال للرجل الواقف فيه .
- ما تعليقك على هذا الاتهام ؟ كلما نعلم أنك تجيد
الروسية ، ولكن القانون يحتم أن تجيب بلغتك الأصلية ، من
خلال مترجم رسمي . وها هو ذا المترجم إلى جوارك .. قل لنا
الآن .. أنت مذنب أم غير مذنب ؟

انعقد حاجبا مدير المخابرات في شدة ، وهو يتطلع إلى
(أنهم) الذي لاذ بالصمت لمصاف دقيقة كاملة ، قبل أن يجيب
بصوته المميز ، وبلهجته المصرية الواضحة .
- مذنب .

كانت مفاجأة مذهلة ..
وعنيفة .

* * *

ارتفعت ابتسامة ساخرة على شفتي (أدهم) ، وهو يدير عينيه في وجه (جلجانوف) ، و (هيلجا) ، و (سباسكى) ، قبل أن يقول :

- يا له من بهار رائع ! .. انتم الثلاثة تستقبلوننى فى ان واحد .. كم انا محطوط بحق .

احتقن وجه (سباسكى) وهو يقول فى عصبية :
- ارجو ان تنتهوا من استجوابه باقصى سرعة ، فلست اطيع صبراً على الانتقام منه .

برقت عينا (جلجانوف) ، وهو يقول :
- اطمئن ايها الرفيق (سباسكى) . لن يستغرق استجوابنا له طويلاً ، وبعدها يصبح رهن إشارتك .

انطلقت من حلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :
- رائع . من الواضح ان لفتك فى قدراتك مدهشة يا (جلجانوف) . هل تنصرون ان وجود ثلاثة من الجيود ، يصوبون إلى مدافعهم الآلية ، سيجعلنى اخبرك بما تريد .. يا لها من فكرة ساذجة !

تضاعف احتقان وجه (سباسكى) ، وهو يقول فى حدة :
- كم اتمنى ان اقتله الآن .

اما (هيلجا) ، فقد ابتسمت فى صمت ، واشعلت سيحارتها ، وراحت تنفث دخانها فى بطن ، و (جلجانوف) يقول

- اصبر قليلاً يا رجل . قلت لك . إن الاستحواب لن يستغرق

طويلاً ، فالرفيق (أدهم) يتصور ان كل ما نعتمد عليه هو هؤلاء الحراس الثلاثة ، ويجهل ان لدينا وسائل اخرى .

اطلقت نظرة تساؤل حذرة من عين (أدهم) ، فى حين اخرج (جلجانوف) من جيبه محققاً يحوى سائلاً رائقاً ، وهو يستطرد فى شعاعته :

- وسائل لا يرقى إلى فاعليتها الشك .

النقى حاجباً (أدهم) ، وهو يقول :

- بنتوثال الصوديوم .. اليس كذلك ؟

اجابه (جلجانوف) :

بالصمت ايها العبقرى بنتوثال الصوديوم .. حصل الحقيقة . الذى ساحقك به بعد قليل ، فتسيل منك المعلومات كالسيل .

قال (أدهم) فى صرامة :

ماذا لو أننى مصاب بالحساسية الفائقة من هذا العقار ؟
فى هذه الحالة سألقى مصرعى فور حقنى به ^(١٠) ، وانت تعلم ان الأوامر تحتم الإبقاء على حياتى .

انفجر (جلجانوف) ضاحكاً بعنة ، ولوح بيده ، هائلاً :
- الإبقاء على حياتك ؟ . معذرة ايها المغرور ، ولكن هذه الأوامر تم إلغاؤها بالفعل ، فلم تعد لحياتك الأهمية التى تنصونها ، وخاصة بعد ان استبدلنا بك شخصاً آخر .

تعثم (أدهم) فى حذر :

- آخر ؟

اتجه (جلجانوف) نحو (تليفزيون) سباسكى الكبير ، وضغط زر تشغيله ، مجيباً :

(*) حقيقة طبية .

- نعم .. آخر أيها الرفيق المغرور .. استبدلنا بك من سيؤدى دورك أفضل منك .

تألفت شاشة (التليفزيون) ، وظهرت عليها صورة قاعة المحاكمات الكبرى فى (موسكو) ، التى يقف فيها شبيه (ادهم) ، معلناً كونه مذنباً ..

وانعقد حاجبا (ادهم) فى توتر شديد ، وشاركته (هيلجا) انفعاله هذا ، فى حين هتف (سباسكى) فى همسة :

- عجباً .. كيف يكون هذا الرجل هنا وهناك فى آن واحد ؟
اشار (جلجانوف) إلى شاشة (التليفزيون) ، قائلاً فى زهو شامت :

- ذلك الذى تراه فى قاعات المحاكمات رجلها أيها الرفيق (سباسكى) .. رجل كنا نعدّه للعب دور (ادهم صبرى) فى إحدى عملياتنا فى واشنطن ، ثم لاحت لنا فرصة ذهبية عندما وقع (ادهم) بين أيدينا بالفعل ، وقرر الرؤساء إنهاء عمليات التجميل اللازمة لإزالة الفارق فى الملامح ، بأقصى سرعة ، بحيث أصبح لدينا بديل لـ (ادهم صبرى) ، يجيد التحدث باللغة العربية ، وباللهجة المصرية إلى حد ما ، ويمكنه تقليد صوته إلى درجة كبيرة .

غمغم (ادهم) فى صرامة :
- لعبة حقيرة .

قهقه (جلجانوف) ضاحكاً مرة ثانية ، وهو يقول :
- ولكنها متقنة وناجحة للغاية يا رجل ؛ فكلنا كنا نعلم انه من المستحيل ان تقف فى قاعة المحاكمات الكبرى لتدين وطنك ، مهما بدلنا من جهد معك ، أما رجلنا فيسقف فى مواجهة

عدسات المصورين ورجال الإعلام ، من كل أنحاء العالم ، ليعترف بالتجسس علينا لحساب (مصر) ، وحتى رؤساؤك انفسهم سيتصورون انه انت .

قالها وشبيهه على الشاشة يقول باللهجة تشابه لهجته :
- اعترف اننى قذت طائرة التجسس إلى هنا ، واننى كنت اعلم انها ستلتقط صور وخرائط الاتحاد السوفيتى ، ولكننى كنت ابعث اوامر رؤسائى .

سأله رئيس القضاة فى حسم :

- ومن هم رؤساؤك ؟

أدار الشبيه عينيه فى وجوه الجميع ، قبل ان يخفض عينيه متممًا :

- المخابرات المصرية .

سطعت مصابيح التصوير فى وجهه ، وساد هرج ، ومرج فى القاعة ، من فرط المفاجأة ، مع هذا الاعتراف الصريح ، مما اضطر رئيس القضاة إلى الطرق بمطرقته على منضبطته الكبيرة ، هاتفاً فى صرامة :

- سكوت أيها السادة .. سكوت ..

ثم التفت إلى الشبيه ، وسأله :

- هل تشعر بالفخر لعملك هذا ؟

هز الرجل رأسه نعيًا ، وخفض عينيه مجيبًا :

- كلاً .. إننى أشعر بالعدم والخزى والعار ، وخاصة بعد

المعاملة الكريمة ، التى أحاطتنى بها السلطات السوفيتية ، و ..

ضغط (جلجانوف) زر (التليفزيون) مرة أخرى ، فتوقف

البث مباشرة ، والتفت هو إلى (ادهم) ، قائلاً فى شماعة :

ارابت ايها العبقري ١٤ : اننا لم نعد بحاجة إليك فعلياً ..
كل ما نستخدمه هو بعض المعلومات التي تختزنها في ذهنك ، حول
المخازن المصرية وإدارتها ، ونظم تبادل المعلومات فيها ، و ..
قاطعه (ادهم) في صرامة :

- هراء : إنك لن تحصل مني على حرف واحد
انعقد حاجباً (هيلجا) في شدة ، ومط (سباسكى) شفثيه
في حنق ، في حين اطلق (جليانوف) ضحكة ساحرة عالية ،
وهو يقول :

يا للفرور ! الانعترف بالهزيمة قط يا رجل ؟
ثم أشار إلى الجنود الثلاثة ، مستطرداً في صرامة .
- قيّدوه حتى أحققه بمصل الحقيقة يا رجال ، وبعدها
سنرى على أي أساس بنى غروره هذا .

انقض الجنود الثلاثة على ادهم في شراسة ، و ..
ولجأة ابتزع (ادهم) معصميه من الاعلال المعدنية ، هاتفاً
- مفاحاة !

وقبل أن ينتهي من هتافه كانت قبضته اليسرى تلکم احد
الجنود الثلاثة وتطيح به ثلاثة امتار إلى الخلف في عنف
ليرتطم بالجدار ، ويسقط فاقد الوعي ، في نفس اللحظة التي
قبضت فيها يده اليمنى على معصم الجدي الثاني ، وأدارته
بحركة سريعة قوية ، ليضرب كعب مدفعه في أنف الجدي
الثالث في قوة ، ويسقطه ليلحق بزميله ، قبل أن تهوى قبضة
(ادهم) على معصمته ، وترتفع لتفجر في وجهه ، في حين
اختلفت قبضته الثانية المدفع الآلى وصوبه إلى السوفيت
الثلاثة : قائلاً في صرامة :

- والآن ايها السادة ، ارفعوا ايديكم فوق رؤوسكم ، فقد
انتهت لحظات المرح ، وحين وقت الجد .

اتسعت عينا (جليانوف) في نمل ، مع تلك المعركة التي
استغرقت ثابيتين او ثلاثاً ، واطاح فيها (ادهم) بثلاثة رجال
اقوياء ، في حين انعقد حاجباً (هيلجا) أكثر ، ونهلت دخان
سيجارتها في عصبية ، وهتف (سباسكى) بوجه محتقن :

كيف ١٤ . كيف تخلّصت من قيودك ؟
مر (ادهم) (كتفيه) ، وهو يجيب في سخرية ، وينتزع اغلال
كاحليه :

- يا له من سؤال سخيف ! من الواضح أنك تجهل تماماً
قدرات رجل المخابرات العادي يا رجل . سل الرفيق
(جليانوف) ، وسيخبرك ان التخلص من القيود والاعلال ليس
بالمشكلة العسيرة .

انعقد حاجباً (جليانوف) ، وهو يفمغم في غيظ :
- هذا الرجل بالذات قادر على التخلص من اغلال فولاذية ،
تحيط بكل طرف من أطرافه ، عندما يرغب في هذا
احتقن وجه (سباسكى) أكثر ، وهو يهتف :

- ولماذا لم يخبرني احد بهذا ١٤ .. لماذا لم اعرف ؟ !
زمر (جليانوف) قبل أن يحيب في خشونة :
- هانذا قد عرفت .

هتف (سباسكى) مستنكراً :
- الآن ١٤

لوح (ادهم) بمدفعه الآلى ، قائلاً :
كفى شجاراً ايها الاطفال الاشقياء .. لم يعد هذا يفيد الآن .

استدار إليه (جليانوف) بحركة حادة عنيفة ، وقال

- ما الذى تتوقع أن تفعله الآن أيها المصرى ؟

اجابه (انهم) فى شىء من السخرية :

- الامر بسيط للغاية أيها الرفيق العصى - إننى أسيطر

على الموقف الآن ، وكل ما أحتاج إليه أن أهددكم الوعى ، ثم

أنتكز بزي أحكم ، وأغادر المكان إلى حيث الهليوكوبتر ،

واستقلها مبتعداً عن هنا .

قال (سباسكى) فى حدة :

- تتحدث كما لو أن هذا أمر يمكن حدوثه ببساطة .. هل

تعتقد أن الحراس فى الخارج سيسمحون لك بمعايرة المكان

بكل بساطة بمجرد أنك ترتدى زياً عسكرياً ؟ .. لو أنك تتصور

هذا فانت واهم .. الرجال هنا لديهم أوامر صارمة ، بعدم

السماح لأى مخلوق بخل إلى حجرتى بمعاربها إلا عندما

أمرهم شخصياً بهذا .

ابتسم (انهم) وهو يقول :

- وهذا ما سنفعله بالصبط .. سنصدر أوامرك ، وسنبعدها

الأخرون بمبتهى الالتزام .

أطلق (سباسكى) ضحكة ساخرة عصبية ، وهو يهتف

- هراء .. لا توجد قوة فى الأرض يمكنها إجبارى على فعل

شىء ما لمعاونة خصمى ، ولا ..

اتسعت ابتسامة (انهم) ، وحملت قدراً مخيفاً من الثقة

والسخرية ، جعلاً السوفيتى ينتر عبارته بعثة ، ويعقد حاجبيه

فى شدة ، متطلعاً إليه فى حذر ، فى حين بدا مزيج من الشغف

والاهتمام على وجه (هيلجا) ، وهى تتابع الموقف فى صمت ،

وتواصل نعت بخان سيجارتها ، واحتقن وجه (جليانوف)

بشدة وهو يتدفع قائلاً :

- أنا واثق من أنه لديك خطة ما يارجل ، ولكنها لن تنجح .

.. ار (انهم) عينيه إليه ، قائلاً فى سخرية :

- هل تراهن ؟

أدبانه (جليانوف) فى حدة ، وهو يتحرك نحوه فى

عصبية :

- نعم . أراهنك أيها المغرور ، لأننى واثق من أن خططك كلها

تعتمد على السيطرة على الموقف هنا ، ولكن ماذا لو فقدت هذه

السيطرة بغثة ؟ .. ماذا لو اضطرك الامر لإطلاق رصاصة

مثلاً ؟ .. ألن يثير هذا موجة من التوتر فى المعتقل ، ستدفع

الجنود ، وعلى رأسهم الرفيق (فينوفيتشى) نفسه إلى اقتحام

المكان ؟ .. هل سيمكنك عندئذ التصدى لكل هؤلاء ، والفرار من

هنا أيضاً ؟

انعقد حاجبا (انهم) فى صرامة ، بون أن يجيب ، وواصل

(جليانوف) تقدمه المتحضر نحوه ، فى حين هتف (سباسكى)

فى حماس :

نعم . آبت على حق أيها الرفيق (جليانوف) .. لو

هاجمناه الآن ، واضطررناه إلى إطلاق رصاصة واحدة ،

ستفشل خطته كلها .

اجابه (انهم) فى صرامة :

- وماذا لو استقرت هذه الرصاصة الواحدة فى رأسك

مباشرة ؟

هتف (سباسكى) ، وهو يتقدم نحوه بدوره :

إبنى أفضل الموت ، على السماح لك بالفرار .

وقال (جليانوف) فى انفعال :

- لا نصدقها أبها الرقيق (سباسكى) لقد قرأت ملف هذا الرجل ، واحفظ ما جاء به عن ظهر قلب . إنه لن يحاول قتلنا ، مهما كانت الأسباب . إنه من ذلك الطراز الاحمق ، الذى يبذل قصارى جهده لئلا يى القتل والتدمير ماى ثمر .

تألفت عينا (سباسكى) ، وهو يهتف :

- أه .. هذا يغير الأمور تماما .

قالبها ، وانقصر هو و (جليانوف) على (أدهم) فى ان واحد ، ومن اتجاهين متعارضين تماما ، و (جليانوف) يهتف بدوره :

- بالتأكيد .

وتحرك (أدهم) بهارة مذهشة ، فعال جانبنا ، وضرب (جليانوف) بكعب مدفعه فى معدته ، فى نفس اللحظة التى استيقظ فيها (سباسكى) بركبة فى فكه ، ألفته خلفا .. ولكن الرجس عاودا الانقصاص فى وحشية اكبر ، و (جليانوف) يصرخ :

- لا تنس أننى أيضا رجل مخبرات محترف .

وثب (أدهم) متفديا انقضاضة (سباسكى) ، وهوى على فك (جليانوف) بكلمة كالفنلة ، هاتفا :

- الاحتراف وحده لا يكفى يا هذا .

لم دار حول نفسه فى مروية مذهشة ، وقبض على معصم (سباسكى) ، ولواه خيف ظهره بحركة سريعة نازعة ، مستطرذا :

- هناك أيضا الخبرة .

ودفع (سباسكى) فى عصف ، ليرتطم رأسه بالحدار فى قوة ، مضيفا :

- وحسن التصرف .

سقط (سباسكى) على وجهه فاقد الوعي ، فى حين ترشح (جليانوف) لحظة ، وكادت أصابعه تحطم المحقر ، الذى يحوى مصل الحقيقة ، وادى تشبث به طوال الصراع ، وهتف وهو يستل مسدسه من جرابه :

- واندكأ أيضا أبها العبقري يبدو أنك نسيت ان كل ما يحتاج إليه هو انطلاق رصاصة واحدة ، ولا يهم من أى سلاح تنطلق .

قالها ، ورفع مسدسه ، وهم بضغط زنايه ، وهو يتراجع فى سرعة ، حتى لا يمسح (أدهم) الفرصة لمعه ، و .

ولكن (أدهم) أيضا فتحرك فى سرعة ..

وشتان بين سرعتين ..

لقد تراجع (جليانوف) بسرعة محترف ، ولكن (أدهم) تحرك بسرعة تتصاعل امامها سرعة المحترفين ، حتى تقبضوا أشبه بسرعة سلحفاء تزحف إلى جواره ..

وقبل أن يضغط (جليانوف) زناد مسدسه ، فوحى ب (أدهم) يقبض على معصمه بأصابع من فولاد ، ويتطنع إلى عينيه مباشرة ، قائلا :

- نسيت السرعة أيضا .

انفجرت شعنا (جليانوف) ، وشف اتساع عينييه ، وذلك الدعر المطلق مدبهما ، إلى أنه سيطلق بشيء ما ، ولكن

قبضة (ادهم) لم تسمح لهذا الشيء بتجاوز شفتى السوفيتى
قط ، وهى تهوى على فكه كالصاعقة ، وتطيح بثلاث من اسنانه
الامامية ، قبل ان تضرب راسه بالجدار ، فيهوى فاقد الوعي ..
وبسرعة ، اختطف (ادهم) مسدس (جليانوف) فهرت
(هيلجا) كتفيها ، وأشارت باصابعها الطويلة ، قائلة :
لا تقلق من ناحيتى . ليس لدى ادى استعداد للتدخل .
تمتم (ادهم) ، وهو يخلص المحقق من بين اصابع
(جليانوف) ، ويدس مسدس هذا الاخير فى حزامه :
- اعلم هذا .

ثم اتجه إلى (سباسكى) ، وراح يستعمل قطع الفراء
المهترئة التى يرتديها بالزى العسكرى له ، وراقبته (هيلجا)
دون خجل ، وهى تفت بخان سيجارة ثانية ، اشعلتها قبل ان
تطفى الاولى ، ثم قالت فى هدوء :
- اظنى اتفق مع (سباسكى) فيما قاله : فاستبدال الزى
وحده لا يكفى للخروج من هنا .
اجابها (ادهم) فى حزم :
- بالتأكيد .

ثم اخرج من طيات قطع الفراء تلك الرقائق المصنوعة من
الصمغ ، والصق إحداها على وجهه فى عناية ، فانتسعت عينا
(هيلجا) فى ذهول هاتفة :
- مستحيل ! .. لقد أصبحت صورة طبق الاصل من
(سباسكى) ، باستثناء لون الشعر والعينين ، ولون البشرة
الداكن .. كيف فعلت هذا ؟
اجابها فى هدوء وبساطة ، وهو ينحنى ليلصق رقيقة اخرى
على وجه (سباسكى) :

- لقد صنعت قالبين لوجهه ووجهى ، واستخدمت الصمغ
المستخرج من الاشجار لصنع القبايع ..
حدثت فى ذهول فى وجه (سباسكى) الذى حوكه قناع
(ادهم) البدائى إلى نسخة منه ، باستثناء لون الشعر والعينين
ايضاً ، وهتفت مبهورة :
- تحدثت كما لو ان هذا امرًا بسيطاً !

هرأ كتفيه ، قائلاً :
- الاقنعة ليست متقنة للغاية للأسف ، ولكن هذا افضل
ما يمكن عمله بتلك الخامات البدائية ، اما لون الشعر
والعينين ، فسيحتاج إلى بعض الجهد .
قالها واتجه إلى المدفأة ، واحضر بضع قطع الفحم ، وراح
يستخدمها ليمنح شعر (سباسكى) لوناً اقرب إلى السواد ،
فسأله (هيلجا) ، وهى تتابع عمله فى انبهار :
- هذا لن يخدع احداً .

غمغم :
- يكفى ان يشغلهم ، حتى نبتعد عن هنا .
سأله مشيرة إلى شعره الاسود :
- وماذا عنك ؟
اجاب فى هدوء :
- القنعة العسكرية ، مع معطف الفراء ، سيحفظان الكثير من
ملاحى ، حتى تبلغ الهليوكوبتر .
قالت فى اهتمام مغمم بالشغف :
- وكيف تتوقع من الجنود ان يطيعوا اوامرهم ، دون ان
يتبينوا ملامحك جيداً ؟



ثم دفعها أمامه ، واندفعاً معاً عبر باب حجرة (ساسكى) ،
و (أدهم) يهتف مقلداً صوت هذا الأخير وأسلوبه ..

اجابها بابتسامة ساخرة :

- سيكون لديهم ألف ميرز لهذا .

اتسعت عندها هي دهول ، عندما نطق عبارته ، وشهقت
هاتفة :

- مستحيل !

هذا لأن الصوت ، الذي خرج من بين شفثيه ، لم يكن صوته
الذي سمعته طوال الوقت ..

وإنما كان صوت (سباسكى) نفسه ..

وكان متقنياً إلى درجة مذهشة ، كما لو أن (أدهم) قد
استبدل أيضاً بحجرته حجرة (سباسكى) ، وهو يستبدل
ثيابه معه ..

وفي هدوء ، اعتدل (أدهم) ، ووضع القبعة العسكرية على
رأسه ، ثم ارتدى معطف ابقراء الخاص - (سباسكى) ، قبل أن
يبحنى ليحمل (حجابوف) على كتفه ، قائلاً

- والآن حانت لحظة المواجهة الفعلية .

وصوب مسدسه إلى (هيلجا) ، مستظرفاً :

- سنغادر المكان معاً إلى الهليوكوبتر .

سالته وهي تبقى سيحارثها أرضاً ، ونسحقها بقدمها .

هل تجد ضرورة لتصويب مسدسك إلى ؟

عمعم في صرامة ، وهو يكتف ذراع (سباسكى) ، ويحفظه

بعصل الحقيقة :

- هذا الفصل .

ثم دفعها أمامه ، واندفعاً معاً عبر باب حجرة (سباسكى) ،

و (أدهم) يهتف مقلداً صوت هذا الأخير وأسلوبه

- تحركوا يا رجال .. المعتقل هاجمنا فى شراسة ، ونجح فى التخلص من قيوده .. ساحاكم المسئول منكم عن هذا الإهمال أيها الأوغاد ..

هيا .. القوا القبض عليه ، وأسعفوا زملائكم .

لم يكذ الجنود يسمعونه ، حتى اندفعوا بعدافعهم الآلية إلى حجرة (سباسكى) ، واحاطوا به فى صرامة ، متصورين انه (انهم) ، فى حين اندفع قائد المعتقل (أندريه فينوفيتشى) إلى (انهم) ، وهتف به :

- ماذا حدث أيها الرفيق (سباسكى) ؟

اجابه (انهم) ، وهو يمدو نحو الهليوكوبتر حاملاً (جلجانوف) الفاقد الوعي ، و (هيلجا) إلى جواره :

- ما سمعته أيها الرفيق القائد . ذلك المصرى كاد يحططنا جميعاً .. لقد أفقد الرفيق (جلجانوف) وعيه كما ترى ، وكنا محظوظين بإفقاده وعيه أيضاً .

شعر (فينوفيتشى) ان (سباسكى) يبدو مختلفاً ، إلا انه عزا هذا إلى الموقف نفسه ، وهتف :

- وهل انتهت عملية استجوابه ؟

اجابته (هيلجا) بسرعة :

- بالتأكيد .. إنه لكم .

لم يعترض (انهم) على قولها ، وهو يدفع جسد (جلجانوف) داخل الهليوكوبتر ، فى حين تألفت عينا (فينوفيتشى) وهو يقول :

- هذا افضل .. افضل كثيرًا .

ثم ارتفع صوته بلهجة صارمة أمرة ، مع استطرادته

- كل المعتقلين يعوبون إلى عبر النوم ، ولتستعد فرقة الإعدام .

أسرع إليه أحد الجنود من حجرة (سباسكى) ، هاتفاً - أيها الرفيق القائد .. لقد القيما القبض على المعتقل الفاقد الوعي ، ولكنه يبدو ..

قاطعه (فينوفيتشى) فى صرامة :

- دعك مما يبدو عليه الآن يا رجل . لقد أثار ذلك المعتقل متاعب لا حصر لها ، منذ وصل إلى هنا ، ولكن أحدًا لم يعد يرغب فى وجوهه الآن ، وستنتهى كنيبة الإعدام من أمره ، فى غضون دقائق .

نطقها دون أن ينتبه إلى الهليوكوبتر التى اقلعت متعددة ، وهى تحمل (انهم) داخلها بصحبة (هيلجا) و (جلجانوف) الفاقد الوعي ..

وفى الهليوكوبتر ، لانت (هيلجا) بالصمت تمامًا ، وهى تراقب المعتقل ، الذى يبتعد ويبتعد ويبتعد ، ثم مالت على ان (انهم) هامة :

- ما الذى سيفعلونه بالرفيق (سباسكى) فى رايك ؟

استرخى فى مقعده هامة بدوره :

- نفس ماكانوا سيفعلونه بى ، لو اتنى فى موضعه الآن .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :

- عجبًا ! .. كنت أظنك تكره القتل والتدمير ، كما يقول ملفك .

انعقد حاجباها فى صرامة ، وهو يقول :

- عندما يتحول المرء إلى وحش آدمى ، ويخلو قلبه من كل

نرة من الرحمة والشفقة ، فإنه يستحق القتل .

وهي نفس اللحظة التي نطق فيها عبارته ، كان (سباسكى) قد استعاد وعيه او جزءاً من وعيه ..

فمصل الحقيقة الذي حققه به (ادم) ، كان يسيطر على معظم حواسه ، ويجعله يدرك ما حوله إلى حد ما ، ولكنه غير قادر على التفاعل معه على الإطلاق ..

وطوال الطريق ، وهم بسحبوه إلى منطقة الإعدام . كان يحاول أن يصرخ فيهم بأنه صابظهم (لون سباسكى) ، إلا أن لسانه رفض أن يتحرك داخل فمه ، كما أن المروية القارصة ، التي تجعدت لها الدماء في عروقه ، كانت تدعث في جسده الأمان لا حصر لها ..

وامام عيبه المنعستين ، تراص المعتقلون ، يتطلعون إليه ، ووقف (فيوفيتشى) يشير إلى كتيبة الإعدام بالاستعداد .

وامتلا قلب (سباسكى) برعب هائل ..
وحاول أن يصرخ معلناً شخصيته ..

حاول

وحاول .

وحاول ..

ثم نجح أخيراً ، ونحرر لسانه ، واستطاع أن يهتف باسمه ، ولكن ..

في نفس اللحظة التي أصدر فيها (فيوفيتشى) أوامره إلى رجاله بإطلاق النار ..

وضاع هتاف (سباسكى) مع دوى الرصاصات ، التي اخترقت جسده في مواضع شتى ، فحفظت عيناه ، وسقط رأسه على صدره ..

وفي اللحظة نفسها انتبه (فيوفيتشى) إلى التمرقات في القناع البدائي ..

ولثوان ، اعتقد حاجباه في شدة ، وخفق قلبه في قوة ، في حين تفجرت الدموع من عيون عشرات المعتقلين ، وهم يتصورون أن الرجل الذي عقدوا آمالهم عليه ، قد لقي مصرعه أمام عيونهم ..

ثم اندفع (فيوفيتشى) نحو (سباسكى) ، وحذق في وجهه عن قرب ، واتسعت عيناه في ارتياح ، وهو يحذق في الشعر الأشقر الذي مدت بعض أجزائه واضحة ، بعد أن أزال الجليد المنهمر صبغة الفحم ، وفي أجزاء القناع المصنوع من الصمغ والذي تمرقت أجزاء عديدة منه ، من اثر الرصاصات .

وبكل ارتياحه وذعره ، صرخ (فيوفيتشى) :

- النعمة ! .. لقد أعدمنا (سباسكى) !

ابطلقت صرخته ، وهو ينتزع بقايا القناع البدائي عن وجه (سباسكى) ، فتردت ابصرحة في أذان المعتقلين ، وهم يحذقون في الصابظ السوفيتي الصريع ، الذي أذاقهم العذاب الوائناً من قبل ، وراى على المكان صمت رهيب ، استغرق لحظة واحدة ، قبل أن يقطعه أحد المعتقلين بصحكة شامنة محلجلة ، جعلت (فيوفيتشى) يلتفت إلى حيث يقفون في غضب ، محاولاً تمييز صاحب الضحكة ، إلا أنه فوجئ بالضحكات الساخنة الشامتة تتردد في المكان كله ، وتطلق من كل الحلق ، حتى صارت أشبه بضحكة واحدة جدارية ، جعلته يصم أنفيه بكفه ، صارخاً :

- اعيذوهم إلى العنبر .. اعيذوهم فوراً .

ثم انطلق نحو حجرته ، والتقط بوق جهاز اللاسلكى الخاص ، مستطردًا فى افعال جارف :

- إلى كل الوحدات .. إلى كل الوحدات .. الجاسوس المصرى تمكن من الفرار فى زى ضابط سوفيتى ، وعلى متن طائرة هليوكوبتر ، تابعة للمخابرات السوفيتية .. اكُرر . نداء إلى كل الوحدات .

استقبلت كل الوحدات العسكرية السوفيتية تلك النداء فى آن واحد ، وكذلك الهليوكوبتر ، التى اتسعت عينها قائدًا فى انزعاج ، هاتفاً :

- على متن هليوكوبتر ١٢

وفى حركة سريعة ، اختطف مسدسه ، واستدار يصوبه إلى راس (ادهم) ويون أن يفكر أو يتردد لجزء من الثانية ، ضغط زناده ، و ..

وانطلقت الرصاصة .

* * *



١٧ - الجليد الدامى ..

لم يكد تلك النداء ببسبغ عبر جهاز اللاسلكى فى الهليوكوبتر ، حتى أدرك (ادهم) أن الأمور ستتعمد أكثر وأكثر ..

ولكن الطيار باعته برد فعل لم يتوقعه قط ..

وعلى الرغم من المفاجأة ، تحرك (ادهم) بكل ما تسمح به المساحة المحدودة من مروية ، هاجنى بسرعة ، ورفع قدمه ليركل الطيار فى صدره ..

ولكن الرصاصة انطلقت ..

وبوى صوت الرصاصة فى ادى (ادهم) كالف قنبلة ، وصرخت (هيلجا) وهى تكتم انبيها بكفيها ، فى حين شعر (ادهم) بالام عذيفة فى صدغه الأيسر ، وفوق اذنه مباشرة ، وشعر بالدم ينرف من موضع الألم ، فكان لكمة للطيار بكل قوته ، تحطم لها أنف هذا الأخير ، وارتطم بعصا القيادة ، فمالت الهليوكوبتر إلى الامام براوية حادة ، واندهعت إلى اسفل فى سرعة ، فى نفس الوقت ادى أمسك فيه (ادهم) معصم الطيار ، ولواه فى قوة ؛ ليجبره على إهلات مسدسه ، وهو يقول فى صرامة :

- العبث بالأسلحة الدارية لا يناسبك يا رجل .

وعلى الرغم من النداء ، التى تنرف من أنفه فى غزارة ، قاتل الطيار فى استماتة ، فما كان من (ادهم) إلا أن لكمه مرة أخرى فى أنفه ، هاتفاً :

- الهليوكوبتر تسقط أيها الغبى .

ارتطم رأس الطيار بالنافذة هذه المرة ، قبل ان ينهار في فاهم
الوعي ، فأزاحه (أدهم) جانباً في سرعة ، ومال إلى الأمام في
شدة ، ليمسك عصا القيادة ، في حين اتسعت عينا (هيلجا)
في ارتياح ، هاتفة :

- لا فائدة .. سنسقط حتماً .

كانت الهليوكوبتر تقترب من الأرض بسرعة مخيفة
بالفعل ، ولكن (أدهم) سيطر على أعصابه الفولاذية كالمعتاد ،
وعلى عصا القيادة التي جديها إلى الخلف واليسار في حكمة ،
فمالت الهليوكوبتر على نحو عفيف ، حتى ان أطراف مروحتها
أثارت عاصفة جليدية صغيرة ، وبجت من التحطم بأعجوبة ،
و (أدهم) يدور بها مزاوية صعبة للغاية ، و (هيلجا) تهتف -
- لا فائدة .. لا فائدة ..

كانت تدرك بخطرتها المحدودة في الطيران ، ان النجاة من
موقف كهذا ، ومع اقتراب الهليوكوبتر الشديد من الأرض ، يعد
مستحيلاً ، لذا فقد اتسعت عيناها في اسهار ، مع المناورة
المذهلة ، التي قام بها (أدهم) ، وهو في هذا الوضع المعقد ،
ليمنع السقوط والارتطام ..

وعندما استعادت الهليوكوبتر توازنها ، شهقت هاتفة

- مستحيل ! .. إنها معجزة .

استعد حاجباً (أدهم) ، دون ان يجيب ، وامتسك عصا القيادة
في قوة ، وهو يهبط بالهليوكوبتر على الجليد ، ولم يكدر يستقر
بها حتى انطلقت من أعماق صدره زهرة حادة ، وغمغم
- حمداً لله .

مطلقها بالعربية ، فتطلعت إليه (هيلجا) في حيرة ، قبل ان
تسأله :

- ماذا قلت ؟

لوح بكفه ، قائلاً :

- لا تشغلي عقلك بهذا .

تطلعت إليه مرة أخرى في حيرة ، ثم سألت :

- حسن .. ماذا ستفعل الآن ؟

دفع باب الهليوكوبتر قائلاً :

- سافحص المروحة في البداية ، فقد ارتطم طرفها بالجليد ،

وأخشى ان تكون قد أصيبت على نحو او آخر

غابر الهليوكوبتر ، على الرغم من الجليد المنهر ، وتطلع إلى

مروحتها في اهتمام ، ولحقت به (هيلجا) ، وهو يدور حول

الهليوكوبتر لفحصها ، وتوقفت لتطلع إليه بضع لحظات ، قبل

ان تسأله :

- الديك خطة محدودة ؟

أوما برأسه إيحاناً ، دون ان يمس ببيت شفة ، وهو يدور

حول الهليوكوبتر ، ويواصل فحصها ، و

وفجأة ، وثب (جلجاوف) خارج الهليوكوبتر ، وهو يحمل

مسدس الطيار ، وصوبه إلى (أدهم) صارحاً خسرت يا رجل

كانت مفاجأة حقيقية له (أدهم) ، الذي لم يتوقع ان يستعيد

(جلجاوف) وعيه بهذه السرعة ، فاستعد حاجباً في شدة ،

وقاس المسافة التي تفصله عن هذا الأخير ، محاولاً تقدير القفزة

المطلوبة للوصول إليه ، ولكن (جلجاوف) تابع في ثورة ،

وهو يضغط زناد المسدس :

- إنها محطتك الأخيرة .

ولم يكن من السهل أبداً أن يفلت (أدهم) هذه المرة .

إنه يواجه خصمًا من أقوى رجال المخاضرات السوفيتية ،
ومثله لا يخطئ إصابة هدفه بسهولة .

حتى لو تحرك هذا الهدف بسرعة محدودة .

و (أدهم) يدرك جيدًا أن الجليد لن يسمح له بالتحرك
بالسرعة المطلوبة ..

والمسافة التي تفصله عن (جليانوف) ليست بالقصيرة ، و
وهنا تدخلت (هيلجا) ..

لقد تحركت في سرعة ، وانقضت على (جليانوف) من
الخلف وقفزت تركل المسدس من يده في اللحظة الأخيرة ،
فطاشت رصاصته في الهواء ، قبل أن يطير مسدسه بعيداً ،
والتفت إليها يهتف في ذهول :

- أنت ! ..

ركلته في معدته بقوة ، هاتفة :

- نعم .. أنا أيتها الوغد .

ثم هوت على فكه بكلمة عنيفة مستطربة

- وإنه لمن بواعى سرورى أن أعلن هذا .

امسك (جليانوف) قبضتها في قوة ، قبل تبلغ فكه ، وهو
يقول في غضب هائل :

- ستدفعين الثمن أيتها الك .

قبل أن يتم عبارته ، قبضت أصابع (أدهم) الفولاذية على
كتفه ، وسمع صوته يقول في صرامة :

- هل نسيتنى يا رجل ؟

استدار (جليانوف) بسرعة ليواجه (أدهم) ، فاستقبلته
قبضة هذا الأخير بكلمة رهيبية ، أطاحت به مترين إلى الخلف ،
قبل أن يسقط على الجليد فاقد الوعي ، ويسيل الدم من ركن
شفتيه ..

وفي حزم التفت (أدهم) إلى (هيلجا) ، قائلاً :

- لقد كتفت أمرى بهذا الموقف .

ابتسمت ، وهي تهز كتفيها ، قائلة :

- لا عليك ، لقد احتملت طويلاً ، وحان الوقت لمفارقة كل هذا .

وانسعت ابتسامتها ، وهي تستطرده :

ثم إن أوامر المخاضرات المصرية لى أن أبدل قصارى جهدى
لإيقانك ، حتى ولو أدى هذا إلى كشف حقيقة كونى أعمل
لحسابكم

ثم استندت بظهرها إلى الهليوكوبتر ، متابعة .

- لهذا كتفت لك أمرى فى مكتب العقيد (كوزيريف)

أوما براسه إيجاباً ، وقال :

نعم . عندما استخدمت بخان سيجارتك ، على طريقة
اليهود الحمر ، لتبليغى أنك عميلة للمخاضرات المصرية ، وأن
(كوزيريف) يسجل كل ما أقوم به ، ليستعله فى تنفيق اعتراف
زائف .

هزت كتفيها ثانية ، وقالت :

- كانت براءة منك أن تستوعب ذلك .

ثم مطأت شفتيها ، مستطربة فى غضب معتدل :

ولكن لماذا استخدمت المسدس معى ، ونحن نخرج من
حجرة (سباسكى) ؟

أجابها في حسم :

حتى يمكنك القسم فيما بعد بأننى أجبرتك على معاونتى

ارتفع حاجبها في دهشة ، وهى تقول :

- هل يهتك أمرى إلى هذا الحد ؟

أجابها في صرامة :

كنت أسعى للمحافظة على سرية عملك لحسابنا

أخرجت مسدسها ، قائلة :

- مازال بإمكاننا المحافظة عليها .

قالتها ، وصوبت مسدسها إلى (جليانوف) انفاذ الوعى ،

فصاح بها في غضب :

- إياك أن تفعلى .. إنه هاقذ النوعى .

ارتفع حاجبها مرة أخرى في دهشة ، وقالت

- عجبنا . أينسعى أن أوقفه ، قبل أن انتسف رأسه

برصاصتى ؟

هم (أدهم) بقول شيء ما ، عندما دوت رصاصة فجأة في

المكان ، واتسعت عينا (هيلجا) في ألم وارتباغ ، وتفرقت بقعة

من الدم من منتصف صدرها تمامًا قبل أن تهوى على وجهها

فوق الجليد ..

وفى نفس اللحظة لمح (أدهم) طيار الهليوكوبتر ، الذى

استعاد وعيه ، وهو يدير محوره مسدسًا احتياطيًا ، كان يخفيه

أسفل مقعده ..

ووثب (أدهم) فوق الجليد ، فى نفس اللحظة التى أطلق

فيها الطيار رصاصته الثابتة ، وترك جسده ينزلق فى سرعة ،

حتى بلغ جسد (جليانوف) ثم اختطف مسدسه ، والطيار

يقفز خارج الهليوكوبتر ، ويصوب محوره مسدسه مرة أخرى
صارخًا :

- بن تربع فوق فتوحنا أيها الجاسوس المصرى

أدار (أدهم) يده فى سرعة ، وأطلق رصاصة من المسدس ،

اختترقت رأس الطيار ، الذى ارتد مع عصف الإصاصة ، وارتطم

بالحليوكوبتر فى عصف ، ثم سقط إلى جوارها جثة هامدة

وكل لهفة ، هب (أدهم) واقفًا ، وأسرع إلى حيث رقدت

(هيلجا) ، وانحنى يفحصها فى قلق ..

كان من الواضح أن إصابته خطيرة ، مع الرصاصة التى

احترقت ظهرها ، وشتمت عظمة القص فى صدرها ، وكل الدماء

التي تفرق زيتها العسكرى ، ومعطف الفراء السميك ، ولكنها لم

تكن قد لفظت أنفاسها بعد ، وإنما راحت تلهث فى شدة ،

قائلة :

أرايت ؟ .. كنت أعلم أن أيامى هنا قد انتهت

قال (أدهم) فى رفق :

- لا تقللى جهدًا .. احررى قواك ، و ..

قاطعته بانتسامة شاحبة

لا هائدة .. أنا أشعر بهذا .. المهم أن تستمع إلى جسدك

وسعلت فى ألم ، فتدفقت الدماء من بين شفطيها ، واغرقت

دقيها وعيقها ، ولكنها تابعت فى إصرار

- المخابرات المصرية أعدت لك خطة الفرار ، وكان المفترض

أن أبلغك هذا برسالة بخار أخرى ، ولكنك سبقتنى بالفرار

هناك عمل آخر لكم ، يعمل فى قاعدة (ياكوتسك) الجوية

اسمعه (راكيف) ستجد فى جيبى أوراق هوية نخصك ،

صنعها لك زميلك (قدرى) ، الذى يبلغك تحياته . خذها ، فهى ستقنع الآخرين بامك احد ضباط الـ (كى - جى - بى) ، فى مهمة خاصة ، وستجبرهم على التعاون معك ، دون إلقاء أية أسئلة . استخدم الهليوكوبتر لتصل إلى قاعدة (ياكوتسك) الجوية ، وهناك سيعمل (راكيف) على منحك مقاتلة من طراز (ميغ) ، يمتلئ خزانها بالوقود و ...

سعلت مرة أخرى ، وشحب وجهها بشدة ، مع كل ما فقدته من دم ، فتمتم (انهم) :

- لا تفكلمى يا (هيلجا) .

ضغطت يده بكل قوتها ، وثابتت وكأنها لم تسمعه :

- (راكيف) سيتمنحك خريطة ، لمواقع الرادار فى المنطقة ، والمدى الذى يمكنها تعطيتها . استخدمها لنقود مسارك ، حتى تخرج من هذه الدولة ، التى يسعى سكانها أنفسهم للفرار منها . وحاولت أن تنسى ، على الرغم من تزايد ضغطها وشحوبها ، وهى تتمتم :

- حاول ألا تنسانى بسرعة .

تحسّس شعرها الأشقر فى حنان ، وهو يقول بحزن حقيقى - لن أنساك أبداً يا (هيلجا) .

اتسعت انتسامتها ، ونجمت على شفعتها ، وفقدت عيناها بريق الحياة ، وجسدها كله يسترخى بين ذراعيه ، فاطلت من عينيها نظرة مفعمة بالأسى ، وارقدها فى رفق على الجليد ، ونهض يكرّر :

- لن أنساك أبداً ..

ولثوان ، ظل واقفاً فى مكانه ، ليكتم انفعالاته الجياشة ، ثم

انجه إلى الهليوكوبتر وادار محركها ، وحلق بها فى طريقه إلى قاعدة (ياكوتسك) الجوية .. إلى حيث الأمل فى الفرار من هذا السجن الجليدى .. الأمل الأخير ..

* * *

شحب وجه العقيد (كوزيريف) فى شدة عندما بلغه نبأ فرار (انهم) من معتقل (سيبييريا) ، وبدا صوته عصبياً مختفياً ، وهو يقول :

- تقصير فظيع .. إهمال جسيم . ينبغي محاكمة المسئول عن هذا ، وإعدامه بلا رحمة .

اجابه رئيسه المباشر :

هذا ما سيحدث بالتأكيد ، ولكن هذه ليست المشكلة الآن . المشكلة الحقيقية أن الجاسوس مازال هارباً ، وانهمار الجليد المتواصل يجعل مطاردته أمراً بالغ الصعوبة قال (كوزيريف) فى حدة :

- ولكنه يستقل هليوكوبتر معروفة ، وما دامت تلك الهليوكوبتر قادرة على الطيران تحت الجليد المدهمر ، فما الذى يمنع فرق المطاردة ؟

قال رئيسه فى صرامة :

- يمكننا إرسال عدد من طائرات الهليوكوبتر خلفه ، ولكن المشاة المطاردين لن يمكنهم السعى خلفه الآن .

لوح (كوزيريف) بيده ، قائلاً فى عصبية :

- ومن يحتاج إلى المشاة ؟

ثم مال نحو رئيسه ، مستطرذا ، هي لهجة اقرب إلى
الضراعة :

- اسند إلى مهمة مطاردته ، أيها الرفيق الرئيس

ارتفع حاجبا الرئيس في دهشة ، وهو يهتف :

مهمة مطاردته ^{١٤} ماذا هناك يا (كوزيريف) ؟ إننا
هنا في (موسكو) ، والرجل هـ هناك ، في (سيبيريا) ! هل
تعلم كم كيومترا تفصله عنا الآن ^{١٥} . بل كم ألف كيلومتر ^{١٥} !

قال (كوزيريف) في انفعال :

- أعلم أيها الرفيق الرئيس . أعلم ، وأعلم ايضا أنه من
المستحيل أن اصل إلى منطقة المطاردة في الوقت المناسب ،
ولكن يمكنني توجيه الرجال من هنا لاسكياً

انفعد حاجبا الرئيس ، وهو يعمم في حذر .

لست أدري في اواقع أيها الرفيق (كوزيريف) فربما

قاطعه (كوزيريف) في لهجة :

- أرجوك ..

تطلع إليه الرئيس بضع لحظات في دهشة ، ثم لم يلبث أن
تنهد ، وهز رأسه ، مغففاً :

- فليكن أيها الرفيق (كوزيريف) . إني أسند إليك قيادة
عملية المطاردة هذه .

نهلت أسارير (كوزيريف) ، وهو يقول :

عظيم أيها الرفيق الرئيس اعنى ابنى اشكرك اشكرك
كثيراً .

قالها وأطلق على الفور إلى حجرة اللاسلكى ، وانقطع بوق
جهاز الاتصال العام ، وضغط زرّه ، وهو يقول في صرامة -

هذا العقيد (ميودور كوزيريف) من قيادة المحابر
السوفيتية ، والقائد الرسمي لهريق مطاردة الجاسوس
المصرى ، الذى هـ من معتقل (سيبيريا) نداء إلى كل
الوحدات الجاسوس يفر في طائرة هليوكوبتر معروفة .
هتطلق ست طائرات (ميچ ٢١) للبحث عنها . والنداء
موجه إلى الجميع اسقطوها فور العثور عليها هل
تسمعون ؟ لا اريد أية تحذيرات أو مفاوضات ، أو حتى
محاولات لإجبارها على الهبوط اطلقوا صواريخكم فور
العثور على الهليوكوبتر اكرز . اطلقوا صواريخكم فوراً
وانهى الاتصال وعيناه نالغان بريق دموى رهيب ..
وبكل الانفعال في أعماقه ، تمتم :

- لن نذهب بعيداً يا (ادهم صبرى) بهابك ستأتى حتماً
على جليدنا .. الجليد السوفيتى ..

وبرقت عيناه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

اسطلقت طائرات (الميچ ٢١) الست تجوب تلك المنطقة
الجليدية الواسعة ، بين (ياكونسك) و (سيبيريا) . وقال
قائدها لفريقه في حزم :

لقد استمعتم جميعاً إلى الرفيق (كوزيريف) يا رجال
كل أنواع التعامل محظورة ، فيما عدا التعامل المباشر بإطلاق
الصواريخ لا تحاولوا مخالفة هذا الأمر قط ، وإلا كانت
العقوبة فاحشة .

سأله أحد الرجال في ضيق :

- لكنهم يقولون - إن تلك الجاسوس بارع للغاية في قيادة كل أنواع الطائرات ، إلا يحتم هذا السماح لنا بالمناورة على الأقل ؟

هتف القائد في غضب :

- ماذا هناك يا رجل ؟ هل يستخدم سرب من مقاتلات (ميغ ٢١) المناورة ، ليظفر بهليوكوبتر واحدة ؟

تمتم الرجل في حرج :

- إنه مجرد اقتراح .

لم يكذ ينطقها ، حتى هتف رجل آخر :

الهليوكوبتر إلى يسارنا ، تحلق على ارتفاع منخفض .

هتف القائد في حماس :

- فلهبط إليها فوراً .

سالت الأجنحة إلى اليسار في تنامع مبهر ، وانزلت

المقاتلات الست على الهواء في نعومة ، ثم انقضت كلها على الهليوكوبتر ..

وفي انفعال ، سال أحد الرجال :

- أنت واثق من أنها الهليوكوبتر المشودة أيها الرفيق

القائد ؟

لقى القائد نظرة فاحصة على الرقم الضخم ، الذي يبدو في

وضوح على بيل الهليوكوبتر ، قبل أن يجيب في حزم :

- إنها هي .. لقد أبلغونا برقمها ونوعها ..

ثم استطرده في صرامة :

- استعدوا يا رجال .

واصلت الهليوكوبتر انطلاقها في خط مستقيم ، وكأنها لا تشعر بالمقاتلات الكاسرة المنقضة عليها ، وصوب إليها الطيارون صواريخهم في إحكام ، وتحفز كل منهم لضغط زر الإطلاق ، في انتظار أمر مباشر من قائدهم ، الذيلقى نظرة أخرى على الهليوكوبتر ، وتأكد بما لا يدع مجالاً للشك من أنها تلك التي فر بها (ادهم) من معتقل (سيديريا) قبل أن يقول في حزم صارم :

- الآن .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط الطيارون أزرار الإطلاق في

طائراتهم ..

وانطلقت الصواريخ الستة نحو هليوكوبتر (ادهم) ، و ..

وأصابتها كلها بمنتهى الدقة ..

وكان انفجاراً ، اهتز له نصف (سيديريا) ..

اعنف انفجار عرفه الجليد ، في السنوات الأربعين الأخيرة

الجليد الدامي .

* * *

نهاية القسم الثاني

القسم الثالث

الثقافة السوداء



انعقد حاجبياً (شالوم) فى توتر واضح ، وهو يراجع التقرير السرى الذى ورد من قيادته ، وتراجع فى مقعده فى بقاء ، وهو ينقر مستنداً بأصابعه فى عصبية ، فتطلع إليه أحد رجاله فى قلق قبل أن يسأله فى حذر :

- أهى أخبار سيئة ؟

مط (شالوم) شعته ، وتمتم ساخناً .

- بل هى أخبار مبهمة .

رئد الرجل فى دهشة وتساؤل :

- مهمة ؟

التفت إليه (شالوم) ، وقال فى حلق :

بالتأكيد المعلومات الواردة كلها تفتقر إلى الوضوح والمباشرة ، فالسوفييت التزموا الصمت التام ، ولم يعلنوا أية أخبار رسمية بخصوص (أدهم) ، بعد تلك المحاكمة الهزلية ، التى بثتها أجهزة إعلامهم ، فى حين يؤكد جاسوسنا هناك أن المقاتلات السوفيتية قد نسفت هليوكوبتر (أدهم) بست صواريخ فى أن واحد ، حتى أنه من العسير ، إن لم يكن من المستحيل ، العثور على أى جزء من أشلائه ، بعد الانفجار الهائل ، الذى لم يترك موصلة واحدة سليمة فى الهليوكوبتر ، أما المصريون ، فالموقف عندهم مثير للحيرة والشك ، إذ إنهم اكتفوا باستنكار ما جاء بالمحاكمة العلنية ، وانكروا تماماً محاولتهم للتجسس على السوفييت ، بل وأعلنوا أن ذلك الذى ظهر على شاشات (التليفزيون) ليس أحد رجالهم ، ولم يعمل

قط فى المخابرات المصرية ، أو فى أية جهة رسمية مصرية أخرى ، واتهموا السوفييت بتلفيق الأمر كله لسبب ما ، والأدهى أنهم تخلّوا تماماً عن فكرة المطالبة باستعادة عجيلهم (أدهم صبرى) ، على الرغم من أنه أفضل رجالهم على الإطلاق ، وليس من المنطقى أن يتخلّوا عنه بهذه السهولة .. ليس المصريون

غمغم الرجل ، وهو يعتصر ذهنه للتفكير فى الأمر .

- ربما رأوا أن مصرعه يحسم الأمر كله ، وأنه ليس من الضرورى أن يطالبوا باستعادة أشلاء ممرقة ، بل من الأفضل أن يعلنوا استنكارهم لما حدث ، ويتنصّلوا من عملية التجسس كلها .

هز (شالوم) رأسه نفياً ، وهو يقول .

- كلاً هناك أمر ما يخفى وراء كل هذا . المصريون واثقون من أن تلك الذى ظهر فى المحاكمة ، ليس رجلهم (أدهم) ، وهذا ما دفعهم إلى تحدى السوفييت ، وإكثار كونه يعمل أو حتى عمل لحسابهم يوماً . أما بالنسبة لمصرع (أدهم صبرى) الحقيقى ، فهو فى رأى أمر تحوم حوله عشرات الشكوك ولا يمكن الجزم به . مادام أحد لم يعثر بعد على أثر لجثته .

قال الرجل فى اهتمام :

- فرق الحدث السوفيتية تواصل عملها فى المنطقة ، وربما بعد أن ...

قاطعه (شالوم) فى صرامة :

- إنهم لم يعثروا على أدنى أثر ، بعد ثلاثة أيام متواصلة

من البحث ، على الرغم من أن اهتمام الجليد قد توقف تمامًا ،
بعد انفجار الطائرة بساعة واحدة .

هز الرجل رأسه في تردد ، وقال :
- الواقع يا سيدي أنه ..

قبل أن يتم عسارته ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال الداخلي ،
فاشار إليه (شالوم) بالصمت ، وهو يضغط زر الجهاز ، قائلاً
في شيء من الخشونة :
- ماذا هناك ؟

أتاه صوت رئيس طاقم الحراسة ، وهو يقول .

- السيد (هال) هنا ، ويطلب مقابلتك على الفور

انعقد حاجبا (شالوم) في شدة ، وهو يعمغم

- (هال) ١٤ في هذه الساعة ١٤ . ودون موعد سابق ١٤

قفزت إلى ذهنه فكرة مجبوبة ، عربدت في رأسه لحظة ، قبل
أن يضيف في شيء من الانفعال :

- دعوه يدخل على الفور .

ثم التفت إلى الرجل الواقف أمامه ، واستطرد بسرعة .

- فليستعد الجميع بمدافعهم الآلية . حاصروا الفيلا تمامًا ،

ولا تسمحوا لذلك الرجل بالخروج ، إلا لو رافقته بنفسه

قال الرجل في توتر :

- هل يراوبك الشك في أمر ما يا سيدي ١٤

انعقد حاجبا (شالوم) مرة أخرى وهو يجيب .

نعم .. ولو أن شكوكي صحيحة ، فستنضح الكثير من
الأمور .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

- هيا استعدوا .

أسرع الرجل لتنفيذ الأمر ، في حين بدل (شالوم) جهده
للسيطرة على انفعالاته ، وهو يجلس في انتظار وصول (هال) ،
الذي لم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان يدلف إلى الحجرة
بابتسامته اللرجة ، وهو يفتح ذراعيه ، هاتفاً

- وا عزيزي (شالوم) . لقد انتهى الكابوس يا صديقي .

تأمله (شالوم) في حذر شديد ، وهو يقول .

- أي كابوس ١٤

هتف (هال) في حماس :

- (ادعم صبري) . الكابوس المصري يا رجل عميلنا

السوفييتي ألتعنى منذ قليل ، أن أمره قد انتهى رسمياً .

كان من المفترض أن يقفز (شالوم) إتهاماً بالخبر ، إلا

أنه ، وعلى الرغم من هذا ، بدأ شديد التحفظ ، وهو ينمتم :

- حقاً ١٤

تطع إليه (هال) في دهشة مستنكرة ، قبل أن يهتف في

حنق :

- ماذا ، هال يا رجل ١٤ . أخبرك أن (ادعم صبري) قد

انتهى رسمياً ، فستقبل الأمر بهذا البرود ١٤

مال (شالوم) نحوه ، وكأنه يفحصه بإمعان ، وقال .

- ليس المهم أن ينتهي رسمياً السؤال . هل انتهى فعلياً ؟

التقى حاجبا (هال) في عصبية ، وهو يقول .

- (شالوم) .. ما الذي ترمي إليه بالضبط ؟

باغته (شالوم) بسؤال صارم :

- ما الذي أتى بك إلى هنا دون موعد سابق يا (هال) ١٤

حدّق (هال) فى وجهه بذهول ، هاتفاً :

- دور موعده سابق ١٩ : .. هل تعزح أم تسخر منى يا رجل ١٩ :
إننى هنا بناء على دعوتك لى .

استفض (شالوم) على مقعده ، هاتفاً :
- دعوتى لك ١٩ :

اجابه (هال) فى عصبية :

- بالنطع لقد عدت من المكتب مجهداً ، وكنت انوى
الاتصال بك ، لابلعل بما ارق به إلبا عميلنا السوفيتى ، ولكن
حارس الفيلا احبرنى انك اتصلت به ، وتطلب منى ان اتوجه
لزيارتك فور وصولى ، فهرعت إلى هنا .

استمع إليه (شالوم) بعينين داهيتين ، قبل ان يعقد
حاجباه ، ويهتف فى غضب :

- اللعبة ١

ثم هب من مقعده ، واندفع نحو (هال) ، ومد يده إلى وجهه ،
مستطرداً فى حدة

- اعتقد ان الامر قد تجاوز كل الحدود .

تراجع (هال) فى نعر ، هاتفاً :

- ماذا حدث ١٩ ماذا تفعل يا رجل ؟

ولكن (شالوم) أمسك خده ، وحذبه فى قوة ، جعلته يصرخ

- رباه ١٩ .. هل جننت ١٩

النقى حاجبا (شالوم) اكثر ، وهو يتراجع معصفاً :

- اللعبة ١ تصوّرت لحظة اننى ساستزع القناع عن وجهك .

هتف (هال) فى غضب .

- اى قناع ١٩ .. إنه وجهى الحقيقى .

حدّق (شالوم) فى وجهه لحظة ، قبل ان يهتف .

- هل تعلم ما الذى يعنيه هذا ؟

اجابه (هال) فى عصبية :

- انك تمر بنوبة جنون مؤقت .

هتف (شالوم) :

- كلا ايها العنى إنه يعنى ان احدهم يسخر منك ومنى ..

شخص ما دفعك للقدوم إلى هنا لسبب ما .

شحب وجه (هال) بشدة ، وهو يقول :

- شخص مثل من ١٩

مال (شالوم) نحوه ، وهو بحبيب بصوت يرتجف من فرط

الانفعال :

- شخص مثل (ادهم) .. (ادهم صبرى) .

اطلقت شهقة من حلق (هال) ، وهو يحدّق فى وجه

(شالوم) فى ذهول ، قبل ان يقول بصوت مختنق :

- ولكن (ادهم صبرى) لقى مصرعه وسط ثلوح (سيبيريا) .

بق (شالوم) سطح المضدة المجاورة فى قوة ، وهو يهتف

- خطأ (ادهم صبرى) لم يمت (ادهم صبرى) حى ..

إبه الشخص الذى يحدث لك وسى الشخص الذى

بتر عبارته بعنة ، واتسعت عيناه فى شدة قبل ان يكمل

بصوت مرتجف :

- الشخص الذى ابعدك عن قبيلتك لسبب ما .

امتقع وجه (هال) فى شدة ، وهو يرنّد فى شحوب

- ابعدتني من قبيلتى لسبب ما ١٩

والنقى حاجبا فى عطف ، حتى خيل لـ (شالوم) انهما قد

امتزجا معاً ، وهو يضيق في خفوت ، وكأنما يتحدث مع نفسه .

- مستحيل ! .. لا يمكن أن يكون قد ..

تطلع إليه (شالوم) في شعف واهتمام ، وارفف سمعه جيداً ، ليلتقط كل ما يتعوّه به (هال) ، إلا أن هذا الأخير بتر عبارته بعنة ، وتحمد في موضعه لشوان ، وكأنما تفور كل أفكار الدنيا في رأسه ، قبل أن يرفع عينيه إلى (شالوم) ، ويقول في صرامة :

- ساعد إلى الفيلا على الفور .

أجابته (شالوم) في اقتضاب :

- فليكن .

ثم رافقه حتى باب الحديقة ، وأشار إلى رجاله ليتخلوا عن تحفزهم ، ثم واجهه قائلاً :

- أبلغني بآية تطورات على الفور .

غمغم (هال) ، وهو يستقل سيارته ، ويدير محركها :

- بالتأكيد .

نطقها ، وانطلق مبتعداً بأقصى سرعة بسمح بها القانون ،

فتابعه (شالوم) بنصره لحظات ، ثم قال في صرامة

- لعبة جيدة من (أدهم) .

والتفت إلى أحد رجاله ، مستطرداً :

أبلغ (ماير) أنني أريده لعمل عاجل . عاجل جداً .

وفي نفس اللحظة التي نعلق فيها عبارته ، كان (هال)

يمطلق بسيارته ، وعقله يكاد يشتعل من الأفكار والتوترات

هل يمكن أن يكون (أدهم) حياً بالفعل ؟ ..

ثرى أهو الشخص الذي عبث به على هذا النحو ؟ ..

ولماذا ؟ ..

لماذا ؟ ..

لماذا ؟ ..

ظل السؤال الأخير يتردد في رأسه بلا انقطاع ، حتى بلغ فيلته ، وتجاوز نوايتها بسيارته ، ثم غادر السيارة ، وهو يتمتم - لست اعتقد أنه توصل إلى ذلك ...

لم يتم عبارته ، وإنما ابتلع نهايتها في توتر متزايد ، وجلس في حجرة مكتبه بضع لحظات ، قبل أن يهبط واقفاً ويقول لنفسه في حزم :

- لن يمكنى الوقوف ساكناً لا بد أن اتأكد بنفسى

قالها وغادر الفيلا إلى الحديقة الخلفية ، وتلفت حوله في حذر ، ليتأكد من أن أحداً لا يراقبه ، ثم عبر في خفة بوابة صغيرة ، تفصل فيلته عن الفيلا المجاورة ، وتحرك في خطوات سريعة عبر ممر من الأشجار ، ثم صعد بوسيلة خاصة ، بحيث يخفى السائر عمره عن الأنظار تماماً ، حتى دبح الباب الخلفى للفيلا المجاورة ، ففتح بمفتاح خاص يحمله ، ودلف إليها ، ثم أغلق الباب خلفه واستصق به بضع لحظات ، وهو يرشف سمعه ، ليتيقن من أن أحداً لم يتبعه ، وبعدما اتجه في سرعة إلى ردهة الفيلا ، وتوقف بدير عينييه فيها في لهفة شديدة .

لم تكن الردهة تحوى الكثير من الأثاث ، في حين كانت تزين جدرانها مجموعة ضخمة من اللوحات الفنية ، وعدد من الصور الضوئية الأنيقة ، تتوسطها صورة كبيرة لـ (هال) نفسه فوق قمة أحد الجبال ، وهو يرتدى زى التزلج ، وسط مساحة كبيرة مغطاة بالجليد ..

وفي اهتمام شديد ، أدار (هال) عينيه في الصور واللوحات ، قبل أن يتنهّد في ارتياح ، متمتعا :

- اه .. خيل إلى بعض الوقت أن (ادهم صبرى) استطاع التوصل إلى مخبئي هذا .

اتاه من خلفه صوت ساخر ، يقول :

- ومن أدراك أنه لم يفعل ؟

انتفض (هال) في عيب ، وقفرت يده في محاولة لالتقاط مسدسه ، وهو يدور حول نفسه لمواحهبة صاحب الصوت ، ولكن يد (ادهم) أمسكت معصمه في قوة ، وارتفع صوته يكمل ساخرا :

- عجباً ! هل سترفع مسدسك في وجه ضيفك أيها الوغد ؟
صرخ (هال) من فرط الارتعاج عندما وقع بصره على وجه (ادهم) ، وسقط المسدس من يده ، عندما لوى هذا الأخير معصمه في قوة ، وراح ينتفض هائفاً :

- مستحيل ! لا يمكن أن تكون حياً . مستحيل !

النقط (ادهم) المسدس والصقعة بعق (هال) وهو يجيب .
- مفاجأة ! ليس كذلك . كنت أتمنى أن ألقى مصرعى : لأريل عنكم خوفكم وتوتركم ، ولكنني رأيت أنكم مجرد أوغاد ، لا يستحقون مثل هذه التوضيحية

ارتجف صوت (هال) ، وهو يقول :

- ولكن . ولكن التقارير الرسمية السوفيتية قالت

قاطعه (ادهم) ، وهو يكمل ساخرا :

- إنها أصابت الهليوكوبتر بست صواريخ . ليس كذلك ! ..
إنهم صادقون يا رجل . لقد سفعوا الهليوكوبتر بالفعل ، ولكن

من سوء حظهم أنني لم أكن داخلها ، لقد قدتها إلى قرب المنطقة التي أنشدها ، ثم ثبتت عصا القيادة ، بحيث تواصل انطلاقها في خط مستقيم ، وقفزت منها إلى الجليد

وانسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يستطرد :

- هذا يعني أن المقاتلين السوفيت الأبطال افرعوا كل قوتهم ومهارتهم في هليوكوبتر خالية .

حدق (هال) في وجهه بذهول وهو يغمغم مرتحفاً :

- وكيف ؟ .. كيف غادرت الاتحاد السوفيتي ، وعدت إلى

هنا ؟

مال (ادهم) نحوه ، وهو يتطلع إلى عينيه مباشرة ، مجيباً :

- لذي وساللي .

انهار (هال) تماماً ، وهو يغمغم بصوت اقرب إلى النكاه .

وكيف توصلت إلى قبيلتي الثانية ؟

هرأ (ادهم) كنفه ، مجيباً :

- استنفاج منطقي أيها الوغد .. كنت واثقاً من أنك لن تحتفظ بأسرارك ووثائقك بعيداً عنك ، ولقد هتشت قبيلتك كلها شبراً شبراً ، ولم أجد أدنى أثر للوثائق ، وهنا سألت نفسي .

أين يمكن أن يحتفظ محام خبيث مثلك بأسرار ، يتحتم وجودها في متناول يده يوماً .. وعندما قلبت الأمر على عدة وجوه ،

برزت العكرة بغثة في راسي . لماذا لا يكون (هال) الوغد قد استاجر القبلا المجاورة له ؛ خاصة وأنه يوجد باب صغير يصل

ما بين القيلتين . ومن هذا المنطلق تسللت إلى هنا ، ولم أكد أدلف إلى الرهبة ، حتى كدت انفجر ساخرا ؛ فابت تستاجر القبلا المجاورة ؛ لتخفي فيها أسرارك ، ثم تزين جدارها بصورة

كعبرة لك ، وكنت تعلم في وضوح أنك صاحب المكان .

صمت (هال) بضع لحظات ، استعاد خلالها وجهه شيئاً من حيويته ، قبل أن يقول في حزم :

- لكنك لم تعثر بعد على ما تريد .

أوما (أدهم) براسه إيجاناً في هدوء ، وقال :

- هذا صحيح لقد هتشت المكان كله ، ولكنني لم اعثر على أية خزائن سرية ، أو فتحات خفية بالجدران ، بل ولا توجد حتى خزانة تقليدية ، تختفي خلف لوحة أو صورة .

تالقت عينا (هال) ، وهو يقول ، وقد استعاد صرامته كلها :

- لن تعثر على الوثائق قط .

مال (أدهم) نحوه ثانية ، وهو يقول :

- هل تراهن ؟

لم يكذب عليها ، حتى انبعث صوت (شالوم) ، وهو يقول في حزم (صارم) :

- إنه على حق يا سيد (أدهم) لن تعثر على الوثائق قط .
شهق (هال) من مرط الدهشة والانفعال ، واستدار مع (أدهم) في سرعة إلى مصدر الصوت ..

وهناك ، عند مدخل الردهة ، كان يقف (ماثير شالوم) ، الذئب الإسرائيلي ، عاقداً براعيه أمام صدره ، وحوله أربعة من رجاله ، يصوّنون إسي (أدهم) و (هال) أربعة مدافع آلية قوية .. وكانت مفاجأة حقيقية ..

* * *

لثوان ، ران على ردهة القبلا الثانية صمت رهيب ، وكل العيون يحدّق بعضها في البعض ، ثم لم يلبث (أدهم) أن قطع

هذا الصمت ، عندما ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وصفق بكفيه في بطنه ، قائلاً :

- اهنتك أيها الذئب الأرقط .. ضربة بارعة بالفعل .

تأملت عينا (شالوم) في ظفر ، وهو يقول :

- كنت واثقاً من أنك على قيد الحياة يا سيد (أدهم) .

سأله (أدهم) ساخراً :

- وهل أحزنك هذا ؟

مط (شالوم) شفتيه ، وهرّ كنفه ، مجيباً :

- أكون كاذباً لو ادعيت العكس ، ولكن عزائي الوحيد أنني توقعت هذا مسبقاً

انفجع (هال) يقول بغنة في حدة :

كيف توصلتم جميعاً إلى قبلي السرية هذه ؟

هر (شالوم) كتفيه ، قائلاً :

- صحيح أنك كنت بارعاً وحذراً للغاية ، في هذا الشأن

يا (هال) ، ولكنك لن تبلغ مثل براعتنا ونكاثنا كمحترفين في هذا المجال ، فالسيد (أدهم) توصل إلى القبلا من مطلق استنتاجي محض ، ولا ريب في أنه قد قرن استنتاجه هذا ببحث في سجلات أصحاب القبيلات في المنطقة ، وأدرك أن القبلا المجاورة لك تخصك .

قال (هال) في بهشة :

- ولكنها لا تخصني من الباحية الرسمية !

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

- إنها مسجلة باسم الشركة الاسكندرية للتصدير ، والفارق ليس ضخماً .

انعقد حاجبا (هال) ومطُ شفتيه في حلق ساخط ، في حين
قال (شالوم) وهو يرمق (ادهم) بنظرة صارمة :

- ارايت يا (هال) .. السيد (ادهم) توصل إلى سرك بقليل
من الجهد .. اما بالنسبة لنا ، فقد كان الامر مختلفا تماما .. لقد
ادركت ما يرمى إليه (ادهم صبرى) ، عندما أرسلك إلى بدعوة
زائفة ، وهو يدرك انك ستكشف هذا فور زيارتي .. فمن
الطبيعى ، والحال هكذا ، ان يمتا بك القلق ، وان يقفز إلى ذهنك
على الفور انه يسمعك عن فيلتك ليعبث بشيء ما فيها ، وهذا
سيدفعك إلى ان تهرع مباشرة إلى حيث أخفيت أسرارك .. ولهذا
أرسلت احد رحائنا لمراقبتك ، وراك تتسلل إلى الفيلا المجاورة ،
ففهم وفهمنا كل شيء

قال (ادهم) ساخرا :

- عجيبا .. لماذا اطلقوا عليك اسم الدلب الارقط إذن ؟ ..
إنك تمتلك نكاه وخيث الثعالب .

قال (شالوم) في صرامة :

- إطراء طريف يا سيد (ادهم) ، على الرغم من اللهجة
الساخرة التى استخدمتها ، والتى سأتغاضى عنها مؤقتا ،
حتى تخبرنى اين يخفى (هال) أسرارهم ووثائقه .

هز (ادهم) كتفيه و اجاب فى استهتار :

الفيلا كلها امامك ، ولن يسمعك احد من تفتيشها .

انعقد حاجبا (شالوم) ، وهو يتلفت إلى (هال) قائلاً

- اين الوثائق يا (هال) ؟

لوح (هال) بقبضته ، هاتفا :

- اذهب إلى الجحيم .

احتقن وجه (شالوم) فى شدة ، وهو يقول :

- لو انك لم تخبرنى بما اريد ، فليست أنا من سيذهب إلى

الجحيم هذه الليلة يا (هال) .

صاح (هال) فى حدة :

هل تهددنى يا (شالوم) ؟ .. فلتعلم إذن أن التهديد لن

يجدى معى مطلقا . أنا اعلم انك لا تستطيع قتلى .. الوثائق

هنا .. فى هذه الردهة ، ولكنك لن تحصل عليها قط . هل تفهم ..

لن تحصل على سر واحد من أسرارنا حتى لو دفعت لى اموال

الدنيا كلها فى سبيل هذا .

انعقد حاجبا (شالوم) ، وهو يقول :

- هل تصر على العناد ؟

اجابه (هال) فى صرامة :

- تمام الإصرار .

ثم اضاف فى عصبية شديدة :

- لقد اقدمت على أكثر تصرفات حياتك حماقة يا (شالوم) ،

فباقتحامك فيلتى أعلنت العداة الصريح لى ، وخسرت كل شيء ،

ولن تربح من هذا نقطة واحدة .

ومال إلى الامام ، ولوح بقبضته ثانية ، مستطرذا فى حدة

ثالثة :

- لن تحصل على ابى ربح يا (شالوم) .. بل وسادفع

الجميع لى صفتك ، وعدم التعاون معك إلى الابد .

التقى حاجبا (شالوم) فى صرامة أكثر ، وهو يغتمم :

- هكذا ؟

اما (ادهم) ، فقد اشتد انفه رائحة الخطر ، وهو يقول
لـ (هال) :

- ماذا فعلت بنفسك ايها التعيس ؟

شجب وجه (هال) بشدة ، وقد انتبه إلى ما يعنيه (ادهم)
بعبارة ، في حين تألفت ابتسامة وحشية على شفتي (شالوم) ،
وهو يقول :

- انت على حق يا (هال) لقد تعقّدت الأمور ، ولم يعد لها
سوى مخرج واحد .

هتف (هال) في توتر شديد :

- (شالوم) .. انا لم اقصد أن ..

ولكن (شالوم) قاطعه في صرامة ، وهو يتراجع في حركة
سريعة إلى ما خلف رجائه الأربعة ، ويشير لهم بيده قائلاً :
اقتلوها .

وقبل حتى أن تنتهي كلمته ، كانت رصاصات أربع مدافع
آلية تدوى داخل ردهة القبلا السرية ..
وسالت الدماء أنهاراً .

* * *



١٩ - نهر الدم ..

في نفس اللحظة تقريباً ، التي بدا فيها (شالوم) هتافه ،
تحرك (ادهم) ..

كان ، منذ الثانية التي لمح فيها الدثب الإسرائيلي ، قد درس
موقعه ، وحدّد تحركاته ، ووضع خطته للنحاة ، عندما يأمر
زبانيته بإطلاق النار ..

ولكن ، عندما جانت لحظة التدمير ، كان هناك اختلاف
جذري بالخطة ..

اختلاف يكمن في وجود (هال) ..

فعندما وضع (ادهم) خطته ، كان يتوقع أن (شالوم)
سيأمر رجاله بإطلاق النار عليه وحده ، وليس على (هال)
أيضاً ، ولم يضع في اعتباره أية محاولة منه لإنقاذ هذا الأخير
أيضاً ..

وربما ينصور البعض أن محاولة (ادهم) لإنقاذ أحد أعدائه
من موت محتم ، في مثل هذه الظروف ، عمل ينطوي على
الحماسة ، أو مبالغة غير منطقية ..

ولكن هذا هو (ادهم صوري) ..

إنه على الرغم من عمله البالغ الخطورة والعنف ، يقيم وزناً
كبيراً للحياة البشرية ، ولا يمكنه التفريط فيها بسهولة .
حتى ولو كانت حياة الأعداء ..

لذا فقد تحرك (ادهم) بأقصى سرعته ، وجذب (هال) معه
إلى ما خلف الأريكة ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها
الرصاصات ..

ولكن رجال (شالوم) كانوا من المحترفين بحق ...

وقبل أن يصل (ادهم) إلى الأريكة ، غاصت رصاصه في كتفه ، واختترقت ثانية طرف نراعه ، في حين أطلق (هال) صرخة الم رهبة ، مع الرصاصات التي أصابت عنقه وصدره .. وصرخ (شالوم) في غضب ، عندما رأى (ادهم) و (هال) يختفيان خلف الأريكة :

- قتلنا قتلهما .. اقتلوهما على الفور .

انطلقت الرصاصات ثانية ، وخفض (ادهم) رأسه لتفاديها ، وهي تخترق الأريكة ، في حين سعل (هال) ، واغرق الدم وجهه ، وهو يغمغم في ألم ساخط . - (شالوم) الوجد .

اعتدل (ادهم) ليطلق رصاصتين من مسدس (هال) نحو الرجال الأربعة ، الذين تراجعوا في سرعة ، دون أن تصيبهم رصاصة واحدة ، فاطلق (شالوم) ضحكة عصبية ساحرة ، وهو يصرخ :

- إنه مسدس (هال) ولا ريب ، فهذا الجبان يخشى حمل أسلحة نارية حقيقية ، ويكتفى دائماً بحمل مسدسات صوت لإرهاب الآخرين .. هيا واصلوا إطلاق النار يا رجال سنظفر بهما جتماً .

اطمان الرجال الأربعة إلى أن خصومهم عزل عن السلاح ، فاندفعوا في جسارة زائفة نحو الأريكة ، و (هال) يسعل ثانية ، متمتماً :

- لا فائدة .. سيظفرون بنا بأنفعل .

ولكن (ادهم) لم يكن أبداً بالشخص الذي يمكن أن يستسلم للهزيمة ..

لذا . فقد نهض فجأة ، حاملاً الأريكة كلها وانقص بها على الرجال الأربعة ، الذي أخذتهم المفاجأة ، وحاولوا التراجع بالسرعة الكافية ، إلا أنه كان من العيث أن يحاول شخص ما التفوق على رجل مثل (ادهم صبرى) في سباق للسرعة .. ففي نفس اللحظة ، التي بدعوا فيها تراجعهم ، كانت الأريكة ترتطم بأثنين منهم في عصف ، وتلقى بهما أرضاً ، قبل أن يلقبها (ادهم) بكل قوته نحو الرجلين الآخرين ..

وقبل أن يسترجع الرجال الأربعة توازنهم ، وحدوا (ادهم) أمامهم مباشرة ، وهو يهتف في صرامة :

- أمارلتم تصرون على القتال ؟

كانت الدماء تنزف في غزارة من إصابة كتفه ونراعه ، ولم تكن ساقه قد شغيت تماماً من إصابتها السابقة ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، حطم فلأحدهم بلكمة كالقنبلة ، ورفع قدمه السليمة في معدة الثاني ، ثم أمسك المدفع الآلى من يد الثالث ، وأماله بحركة مدروسة ، ليرتطم كعب المدفع بفك الرجل ويلقيه أرضاً في عصف ..

وتراجع (شالوم) في زعر . أمام هذا التطور المبالغت ، واستل مسدسه من غمده ، في نفس اللحظة التي تعلى فيها وقع أقدام حراس الفيلا الأولى ، وهم يهرعون إلى الفيلا الثانية ، إثر الطلقات العارية ..

وعندما حطم (ادهم) أنف الرجل الرابع بقبضته اليسرى ، أدرك (شالوم) أن رجال (هال) قد اقتربوا كثيراً ، فصرخ وهو يطلق رصاصة من مسدسه نحو (ادهم) :

- قتلت (هال) أيها المصري .. قتلته .

أدرك (أدهم) على الفور ما يحصل (شالوم) الإنحاء به ،
فغمر جانباً مهادناً رصاصاً (شالوم) ، وهو يسقط أحد المدافع
الآلية صارخاً .

- أيها الوغد الحقيق

انطلق (شالوم) بعدو حارح المكار ، عندما انطلقت
رصاصات (أدهم) وراح يصرخ في ارتياح :

- المصري هنا .. لقد قتل (هال) .

غمغم (أدهم) ثانية :

- ياللوغد !

و نبتة الى سعال ، هال ، يعيق ، وصوته المربف ، وهو ينغم

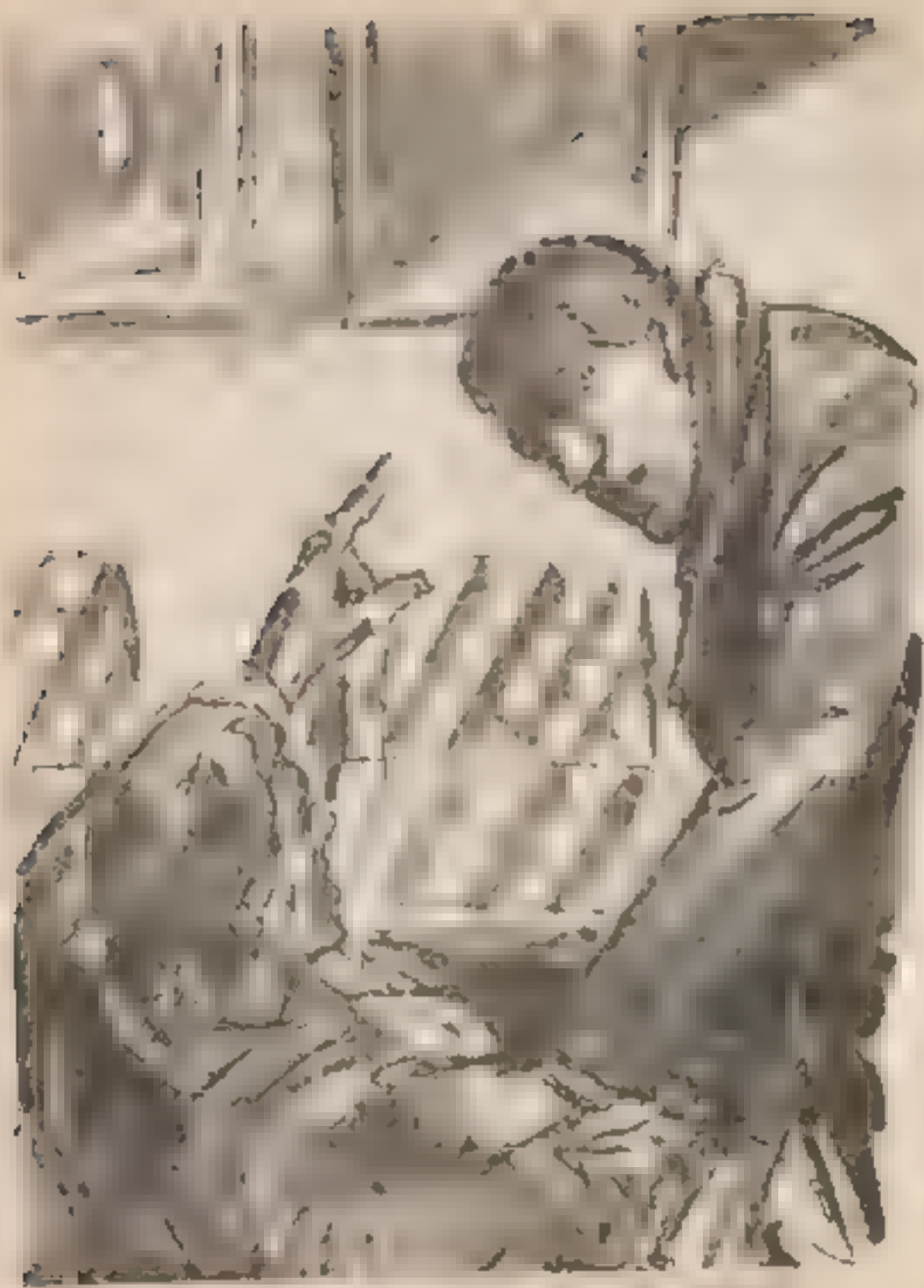
- اله ، الوثائق كلها هـ ... هـ ...

انفتحت إليها (أدهم) ، وراه يدوح سنانته نحو جدار يكتظ
باللوحات الرسمة والصور الصوتية ، قبل أن تنطلق من حلقه
شبهة عيقة ، تدفق معها اسماء من بين شففيه في عرارة ،
واستفص حسده في قوة ، وجحتلت عبيد في شدة ، قبل أن
يستترخي جسده تماماً ..

وفي سحابة نفسها ، كمار ، شالوم ينسبر إلى القفلا ،
صارخاً في رجال (هال) الثلاثة :

- المصري قتل رئيسكم اسرعوا النار له اسرعوا

اشتعل الرجال الثلاثة غصت وثورة ، وهم يدفعون نحو
ردهة القفلا ، وسبابهم متحجرة لإطلاق النار على الرجل الذي
قتل رئيسهم ، وحرمتهم روايتهم ومكافتهم المستعجلة
ويكر ما إن وصلوا إلى الردهة ، حتى اتسعت عيونهم ،
وتضاعف غضبهم ألف مرة ..



انفتحت له (أدهم) وراء بلوح سنانته نحو جدار

يكتظ باللوحات الرسمة والصور الصوتية

فهناك ، كان اثر القفال واصحاً ، وجثة رئيسهم تنوسط
المكان ..
ولكن لم يكن هناك اثر لـ (ادهم) سوى بقع صغيرة متناثرة
من الدماء ، وسط دلت النهر الذي غمر المكان كله
نهر الدم ..

* * *

اتسعت عينا (احريد) في ارتباع ، وارتدت كمن أصابته
صاعقة ، وهي تهتف في وجه (شالوم) :
(هال) لقي مصرعه ١٠ مستحيل مستحيل !
اعتقد حاجبا (شالوم) في شدة ، وهو يقول
- بل هي حقيقة يا سيدي . (ادهم صبرى) لم يلق مصرعه
فوق الجليد السوفيتي ، وإنما عاد إليها لينتقم ، وبدأ انتقامه
بقتل (هال) في قبيلته الثانية .

غمغم (هانز) في توتر شديد :

- (هال) كانت لديه قبيلة ثانية ؟

تمتم (ثوردا) :

- عجبا ! .. لماذا أخفى عنا هذا ؟

احتقن وجه (شالوم) ، وهو يقول في حدة

- ماذا يهمك أيها السادة ١٠ . رقيقكم لقي مصرعه على يد
واحد من ألد أعدائكم ، وكل ما يشعركم هو لماذا أخفى زميلكم
عنكم أمر قبيلته الثانية !

اجابه (ثوردا) في صرامة :

- بالطبع يا سيّد (شالوم) ، فربما كانت القبيلة السرية هي

السبب الرئيسي لمصرع (هال) .. إنني اتساءل ما الذي كان
يخفيه محامينا التهام هناك ؟

- ثم اعتقد حاجبا في شدة ، وهو يرمق (شالوم) بنظرة
صارمة مصيفاً

- ثم ما الذي جعلك تعرف أمر الغيلا ، على الرغم من
جهنما به ؟ وكيف تصادف أنك تواجدت فيها ، عندما لقي
(هال) مصرعه ؟

تدخل (هانز) بدوره ، قائلاً :

نعم وما الذي يقصينا بأنك لست المسئول عن مصرع
زميلنا (هال) ؟

استلح حاجبا (شالوم) في شدة ، وهو يقول

ما الذي تعبني يا سيّد (هانز) ؟

اجابه (هانز) في صرامة مجتدة :

أعني أن عميدنا السوفيتي اتلعا أن السلطات هناك
اعتبرت (ادهم صبرى) هذا ميتاً رسمياً ، والسوفيت
لا يتسرعون قط بإصدار مثل هذا التصريح ، ما لم يتأكدوا من
مصنوبه جيداً ، وعلى الرغم من هذا ، نلتى أنت وتخبرنا أن
(ادهم) مارال على قيد الحياة ، وأنه المسئول عن مصرع زميلنا
(هال) ، ثم لا تصحبا دليلاً واحداً على هذا ، باستثناء أقوالك
وشهادة رجلك قل لي يا سيّد (شالوم) لو أنك في
موضعنا ، أكنت تفتنع بهذا ؟

شعر (شالوم) بتوتر شديد في أعماقه ، وخاصة عندما
تطنّعت إليه (احريد) في قلق ، وسالته

- نعم يا (شالوم) ما دليلك على أن (ادهم) فعل هذا ؟

ادار ششوم (ششوم) و هو يقول في عصبية .

هل قتهموننى بقتل زميلكم ايها السادة ؟

اجابه (ثوردا) في صراخه ، وهو يستل مسدسه .

هل تعاليت بالعدل على اعداءك يا (شالوم)

يؤخ (شالوم) بسناده ، هاتفا في غضب :

استوى قدمي ، ابدا واحدا على اسي قمته ، ابدا واحدا

على اسي المسئول عن شدا ، بل اعطوني سينا واحدا لقتل

(هال) .

انعقد حاجبا (هانز) وهو يقول :

ان ، ودي من ان هناك علاقة بيننا وبين (هال) ،

ونستطيع ان نعلم الاسرار ، اسي بحبيب حبيبا ،

وربما نعلم ان اسرار شي من دميت لقله

يؤخ (شالوم) ، انه منها في حلق وهو يقول

ثم يوسد فدا به سرور ، اسي وبين (هال) ، ولر احوال

فترد اسي بوجهه لاند ان تكون بيما ثقة متبادلة ، مادينا

بعض دينا وسدنا مور ان ، ادم (قته) ، عيسى ان

تصدقوا ما اقله على الفور .

ثم صاح في وجه (ثوردا) :

ومن انغار ان بشهر مسدس في وجه حبيب

بدر ، برحان انا به نصره عسيرة قل ان يؤخ (ثوردا)

بمسدسه فدا في مريح من العصب وانصرابه

فلنكن يا (شالوم) مستطاهر مؤلف مانا بصدق

قصصك ، ولكني اقسم ان ، انه لو ثبت سا انا المسئول عن

مديع (هال) ، فإن المصير الذي ستفاد على بديب ، سيحفلك

تتمنى الموت الف مرة .

انعقد حاجبا (شالوم) ، دور ان بنفس سبب شقة ولكنه

في اعماقه كان يشعر بعصب هانز ، ان عودا ا ادم) انت إلى

ذلك الظهور السحيق بأمور ، ووجد عقه كنه يطلق بحو

سؤال واحد ..

ثرى ابن اخفى (ادم صبرى) ، بعد فراره من شدا (هال)

الثانية ،

ابن ،

ولكنه ، وعلى لرغم من الجهد الشديد اسي بده ، وهو

يعتصر دمه حتى اخره ، لم يوصل إلى جواب لسؤاله شدا

ايضا ..

* * *

عندما اوقف مساعد الخبير (فريدريك) سيارته الصغيرة ،

في ذلك الشارع الهادئ ، من شوارع هسنكي) ، كانت عقارب

الساعة قد تحوزت الثانية صباحا بجمع دقائق وكان الشارع

خاليا من المارة تماما ، وعلى الرغم من هذا ، فقد عاين

(فريدريك) سيارته ، وراح يتلف حوله في بهفة واضحة ، ولم

يكذ يلمح سيارة غريب ، حتى سرت في جسده تشعيرة باردة ،

لم تعارقه حتى وهي تتوقف حيف سيارته مانا ، وبهبط منها

رجل وقور هادئ الملامح ، بصحبه اخر يبدو عليه الانفعال ،

وانحه الاثنان بحود مباشرة وسائه احدهما في اهتمام

قل يا سيدي هل يمكنك ان ترشدنا إلى اشرار شرقي ؟

اردرد (فريدريك) لعابه في توتر شديد وعحد لسانه عن

الناطق لحظات ، وهو يحرق في وجهيهما ، قرر ان يمتهم

بصوت متحشرج :

- لا يوجد شارع شرقي في هذه المنطقة العربية .
سأله الرجل :

- وماذا عن الشارع الجنوبي ؟
ازدرد (فريدريك) لعابه مرة أخرى ، وهو يشير بيده إشارة
مبهمة ، متمنماً :
+ ستجده في الشمال ،
أوما الرجلان براسيهما في ارتياح ، ثم التفتا لبعضهما البعض
(فريدريك) ، وقاده إلى السيارة ، قائلاً :
- هيا بنا .

جلس (فريدريك) خلف عجلة قيادة سيارته ، وانتظر في
توتر شديد حتى استقر الرجلان على مقعديهما ، ثم انطلق
بالسيارة ..
ولدتبة أو يزيد ، لم يمس أحدهم بحرف واحد ، فزان على
السيارة صمت مهيب ، خيل لـ (فريدريك) أنه يجثم على
صدره ، فتتمم في ارتباك :
- معذرة ، أنا لم اعتد مثل هذه الأمور . الواقع أنها أول
مرة .

أجابه الوقور في هدوء :

- لا بأس .. نحن نقدر هذا .

عاد الصمت يعمر السيارة لعشر دقائق أخرى ، و (فريدريك)
ببطلق بها نحو منزله ، ثم لم يلبث أن قال :
إنه في حالة جيدة ، على الرغم من الدماء التي فقدوها
عقد أحد الرجلين حاجبيه في توتر ، في حين أوما الوقور
براسه متفهماً ، وغمغم :

- (أدهم) قوى البنيان ، وجسده اعتاد مثل هذه الإصابات
قال (فريدريك) في لهفة :

- اسمه (أدهم) إذن .. رباه ! .. هل تعلمان ؟ .. لقد أصابني
الذعر عندما فوجئت به في منزلي ، والدماء تنزف من كتفه
ونزاعه ، ولم أتعرفه بالطبع ، فلامحه هذه لا تشبه بأي حال
من الأحوال ملامحه السابقة ، عندما كان يحمل اسم
الكاتن (زيلمان) ولكنه أخبرني بحقيقته ، وبأن منزلي هو
أفضل مكان يمكن أن يختبئ فيه ، ثم طلب مني الاتصال بكم .
وهانذا قد فعلت كل ما أراه .

وهز رأسه ، وهو يضيف في اندهار :

وأنا سعيد بكل ما فعله من أجله ، فإنا كان اسمه (زيلمان)
أو (أدهم) ، أو حتى (شوارزجر)^(٥) ، فهو كان ، وما زال ،
وسيطاً مثلي الأعلى ، والرجل الذي أطمع في بلوغ نصف
مهارته .

استسم الوقور في هدوء ، في حين غمغم الآخر في شيء من
العصبية :

- إنه المثل الأعلى لنا جميعاً .

هتف (فريدريك) في حماس ، وهو يوقف سيارته أمام منزله :
- بالتأكيد .

(٥) (أرموند شوارزجر) ممثل سينمائي أمريكي شهير ، من مواليد
٣٠ يونيو ١٩١٧ م ، كان والده رئيساً للشرطة ، ولقد شجعه على الاهتمام
بتمنية جسده ، فصار مطولة العالم لكمال الأجسام في الثامنة عشرة من
عمره ، وبعدما حذب اهتمام السينمائيين ، مما دفعه إلى خوض هذا المجال
والتفوق فيه .

هبط الثلاثة من السيارة ، ودفقوا إلى المنزل في سرعة ، وما إن تجاوزوا ردهته ، حتى برز أمامهم (ادهم) . وهو ينتسم في إرهاق ، مغفغماً :

- إذن فقد وصلتم أخيراً . عظيم .. مازالت عروقي تحتفظ بنصف لتر من الدم (*) .

أسرع إليه الوقور ، وهو يفتح حقيبتنه ، قائلاً :

- اطمئن يا بطل .. لقد أحضرت كل ما يلزم .

قالها ، وقاد (ادهم) إلى الأريكة ، وارقده فوقها ، وراح يتعامل مع جروحه بكل مهارة كطبيب متخصص ، في حين جذب الآخر مقعداً ، وجلس إلى جوار (ادهم) ، وسأله في اهتمام :

- هل توصّلت إلى ما كنت تسعى إليه يا سيادة العقيد ؟

أجابته (ادهم) ، والطبيب يحقن كتفه ونراعه بمخدر موضعي :

- ليس تماماً . لقد هرع (هال) إلى القبلا بالفعل ، ولكنه لم يفعل شيئاً هناك ، سوى التطلع إلى اللوحات والصور .

كانوا يتحدثون العربية ، فلم يفهم (فريدريك) حرفاً واحداً مما يقولونه ، إلا أن هذا لم يفضبه ، وإنما ابتسم قائلاً :

- ساعد بعض القهوة .

وانسحب من المكان في هدوء ، وزميل (ادهم) يسأله :

- وهل التقطت آلة تصوير (الفيديو) كل ما حدث ؟

أجابته (ادهم) ، وهو يشير إلى مقعد بعيد :

(*) يحوى جسم الإنسان النافع ستة لترات من الدم

بالطبع . ستجدها هناك وبداخلها الشريط المسجل .

أسرع الرجل إلى آلة التصوير ، وراح يوصلها بجهاز (التليفزيون) في اهتمام ، في حين قال الطبيب :

- هذا المخدر الموضعي لن يمنع الألم تماماً يا سيادة العقيد .. سيكون عليك أن تحتمل بعضه .

ابتسم (ادهم) في شحوب ، وهو يقول :

- لا بأس .. لقد اعتدت هذا .

غرس الطبيب مشرطه في كتف (ادهم) ، فعض هذا الأخير شفته السفلى في رفق ، وعيانه تتابعان ما تعرضه آلة (الفيديو) الصغيرة على شاشة (التليفزيون) ، في حين هتف زميله :

رباه ! . ذلك الوغد (شالوم) أطلق النار بلا أدنى تردد .

أشار إليه (ادهم) ، قائلاً :

- دعك مما فعله (شالوم) ، واعد عرض البداية .. أريد

مراجعة ما فعله (هال) ، عندما دخل إلى ردهة القبلا .

أعاد الرجل عرض اللقطات ، التي طلبها (ادهم) ، وراح يتابعها معه في اهتمام ، فانهقد حاجباً (ادهم) ، وتجاهل ما يفعله الطبيب بكتفه ودراعه ، وهو يقول :

عجباً ! .. إنه يتطلع إلى تلك الجدار ، الذي يحوى اللوحات

الزيتية والصور الصوتية ، في اهتمام ولهفة .

قال زميله :

- ربما يخفى وثائقه في خزانة سرية ، خلف إحدى اللوحات أو الصور .

وغمغم الطبيب ، نون أن يرفع عينيه عن عمله :

- أو في إطار إحداها .

هز (ادهم) رأسه نفياً ، وهو يقول :

- لا هذا ولا ذاك بالتأكيد .

سأله زميله في حيرة :

- كيف يمكنك أن تجزم ١٩

اشار (ادهم) إلى شاشة (التليفزيون) ، قائلاً :

- لأنه لو كان يخفى وثائقه في أى من المكانين ، لما اكتفى

بإلقاء نظرة على الصور واللوحات من بعيد ، ولتقدم ليحصص

الإطار المشوّد بمنتهى القلق ، ليتيقن من أن أسرارهم في

موضعها ، ثم إبنى فحصت المكان كله ، وتأكدت من أنه لا توجد

أية خزائن سرية ، خلف أى شيء .

قام زميله بتنصيب صورة (هال) ، وهو يتطلع إلى الصور

واللوحات ، وتطلع إليها طويلاً ، قبل أن يفهم :

- أين يحتفظ بأسرارهم إذن ١٩

ضبط (ادهم) أسبابه في قوة ، والطبيب ينتزع الرصاصة

من كتفه ، ولهث قليلاً ، وهو يواصل تطلّعه إلى الشاشة ،

فابتسم الطبيب مشفقاً ، وغمغم :

- معدرة يا بطل - أعلم أن هذا يؤلم ، ولكن الرصاصة كانت

كامنة بين عظمتي الكتف واللوح ، و ...

اسعد حاجبا (ادهم) ، وهو بهتف فجأة :

- كامنة ١١٩

تطلع إليه زميله والطبيب في دهشة ، قبل أن يفهم الأول :

- هل تعنى الكلمة شيئاً ما ؟

اجابه (ادهم) في حزم :

- بالتأكيد .. إنها تعنى الكثير .

أطلت الحيرة من عيني الرجلين ، وهم زميله بإلقاء سؤال

آخر ، ولكن (ادهم) استطرد في سرعة :

- المهم الآن أن نطبع نسخة من مفاجأة (شالوم) لنا ،

وحتى اللحظة التي أطلق فيها رجاله النار نحونا .

سأله زميله في دهشة :

- ولهم يمكن أن تستخدم هذه النسخة ؟

أطلت من عيني (ادهم) ابتسامته ساخرة غامضة ، وهو

يجيب :

- في تطبيق المبدأ الاستعماري الشهير يا صديقي .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

- فرق تسد .

وعلى الرغم من إرهابه وضعفه والامه ، تحوكت ابتسامته

إلى ضحكة ..

ضحكة كبيرة ..

ووالقة ..

* * *

تهالكت أعين رجال (شالوم) ، في منتصف النهار التالي ،

وهم يقفون أمام الذئب الإسرائيلي ، الذي احتقن وجهه من شدة

الغضب ، ولوح يتراعيه ، هائفاً :

- ماذا تعملون بأمكم لم تعثروا على أدنى أثر لـ (ادهم

صبرى) في المدينة كلها ١٩ .. هل اختفى .. تبخر ١٩ . الرجل

مصاب برصاصتين ، ولا بد أن يذهب لداواة نفسه في مكان ما

حتمًا .

قال أحد الرجال في إرهاب واضح :

لقد بدنا عصارى جهنم ابها ارنيس . ولم بغمض لغا
جفر مد صباح امس . وكنا لم نعثر على ادنى اثر له
بالفعل . محثب في كل المستشفيات . ومراكز الطوارئ .
وعبارات الانشاء الخاصة . وراحنا قائمة كل الشقق
المستأجرة . ورتب مكاتب جميعا . وهذا جهد رهيب للعناية

صاح (شالوم) في ثورة :

- ولكنه لم يسفر عن شيء . مجرد جهد صانع
قال رجل اخر في ضيق :

ربا لما ينبغي فعله . وسواص عينا يا سيد (شالوم) .
احسن وجه اثنى . اكثر . وروح بيده في حده شافا .
- اعياء . كل ما احصل عليه منكم هو ال ..

قاطعه ربي شافه انفس . فالتفت إليه في عصبية .
والنقط سماعته . قائلاً في خشونة :

- من المتحدث ؟

اتم صوت ا ثوردال . وهو يقول في اهتمام

- انا يا سيد (شالوم) انا يريد لأمر هام للعناية

النقى حاجبا الاسرائيلي وهو بعد في حذر

- تريدوننى ؟

اجابه (ثوردال) :

نعم يا سيد (شالوم) يريد ان يتفهي بك وحيدك .

وبفصي درجة من الاحتياط والسرية . في قلبي الخاصة

سائه (شالوم) وقد امتزج حبره بالكثير من الشك والقلق :

- ولماذا وحدي . وبكل هذه السرية ؟

اجابه (ثوردال) في حزم :

- لأن الأمر بالغ الاهمية ..

وانخفض صوته . وهو يضيف :

- سنلتقى بعملنا السوفيتي .

اتسعت عدنا (شالوم) . على الرغم من اعتقاد حديه .

وقال في توتر :

- عميلكم السوفيتي "أهو هنا"

اجاب (ثوردال) في سرعة :

لقد أرسله رؤسائه إلى هنا . لجمع المعلومات حول

انطلاق طائرة (ادوم صبرى) من (هيسكي) . ولن يمكنه

البقاء عندي لأكثر من ساعة واحدة . لذا فحسن بريدك هنا

بأقصى سرعة . ونذكر . وحدث . بكل ما يمكنك من السرية

قائلاً . وانهى المحادثة على الفور . ولكن (شالوم) ظن

بمسك الساعة لصنع محظوظ . على الرغم من الصغير المتقطع

المبعض منها . ثم لم يلبث ان أعادها إلى موضعها في بطة .

وعقله يحمل عشرات الأفكار ..

ولنأول . بدأ لرحاله أشبه بتمثال حامد من الرخام . قبل أن

يلتفت إليهم قائلاً في صرامة شديدة

- من الواضح ان الأمور قد تطورت أسرع مما كنا نتصور

يا رجال .

ولم تمض ربع ساعة . على نطقه لعبارة هذه . حتى كانت

سيارة (شالوم) تعبر بوابة قبلا (ثوردال) . ورجال الحراسة

يمدقهم الألية الصغيرة يفسحون له الطريق . حدث استقبله

(ثوردال) بنفسه . قائلاً في بقة واضحة

مرحباً يا سيد (شالوم) . اجميع في انتظارك بالداخل

وقاده إلى ردة كبيرة ، تطل على الحقيقة مباشرة ، حيث
جلس (هانز) و (أجريد) ، فتطلع إليهما (شالوم) في نوتر
حضر ، وهو يسأل :

- أين العميل السوفيتي ؟

نهض (هانز) قائلاً :

سيصل بعد قليل . اجلس يا سيد (شالوم) فلدينا
ما نعرضه عليك .

وقاده إلى أريكة كبيرة ، في مواجأة (التليفزيون)
مباشرة ، فجلس (شالوم) والقلق يكاد يعصف بنفسه ،
وبخاصة مع تلك الابتسامة شبه الساخرة ، التي ارتسمت على
شفتي (أجريد) التي تتابعه بنصرها في شماعة واضحة .

وفي حزم ، صعد (ثوردال) أزرار جهاز التحكم من
بعد (الريموت كنترول) ، لتشغيل (التليفزيون) وجهاز
(الفيديو) ، وهو يقول :

- واعتقد أن ما سعرضه عليك سيثير اهتمامك بشدة
يا سيد (شالوم) .

تابع (شالوم) الشاشة في نوتر قلق ، ثم لم يلبث حاجبها
أن انعقد في شدة ، وخفق قلبه في عنف ، وانقبضت أصابعه
بكل قوتها على مسند الأريكة ، حتى كاد ينزعه من مكانه ،
عندما بدأ العرض الفعلي ..

فعلى الشاشة ، وإمام عينيهِ مباشرة ، بدأ مشهد اقتحامه
لقبلا (هال) الثانية ، وحواره مع (آدم) و (هال) ، ثم
إصداره الأمر بقتلهما ، وتوالى الأحداث حتى نقلت مشهداً
واضحاً لجنة (هال) ، ورجاله يهرعون إلى المكان ..

وطوال العرض ، ران على المكان صمت رهيب ، وارتسم
الغضب على وجهي (هانز) و (ثوردال) ، في حين أطلقت نظرة
باقمة متشعبة من عيني (أجريد) الجميلتين ، وعندما انتهى
الأمر ، كان مسدسا الرجلين مصوبين إلى (شالوم) ، و (هانز)
يقول في غضب نالو :

- أين رئيس (آدم صبرى) هو المسئول عن مصرع (هال)
يا سيد (شالوم) . مل على العكس . لقد حاول إبقائه من
رصاصات رحالك ، عندما امرتهم بقتله معه
النقي حاحا (شالوم) طويلاً ، قبل أن يقول في عصبية :

هذا اشريط مزيف .

ابتسم (ثوردال) في سخرية عاضبة ، وهو يقول
كلاً يا سيد (شالوم) إنه ليس كذلك . لقد أرسله إلينا
شخص ما في الثامنة صباحاً ، ولكننا لم نتخذ قراراً بشأنه
وشابك إلا في منتصف النهار ، بعد أن استدعينا خبيراً
إلكترونياً لفحص الشريط . وناكد أنه سليم تماماً
ومطت (أجريد) شفيتها في ازدياد قائلة :

كنت واثقة من أنك الشخص الذي يمكن أن يقدم على عمل
حقير كهذا .

لوح (شالوم) بذراعه ، قائلاً في حدة :

- فليكن . سيفترض أنني الشخص المسئول عن مقتل
(هال) . ألم تسالوا أنفسكم لماذا فعلت هذا ؟ لقد كنت
أحميكم أيضاً أيها الأغبياء (هال) كان يخونكم

أشار (ثوردال) بيده ، قائلاً في صرامة :

- لا داعي لمرافعتك هذه يا (شالوم) لقد أصدرنا الحكم
بالفعل .

والنقى حاجبا (أنجريد) ، وهي تقول :
- الإعدام .

صمت (شالوم) لحظة في عصبية ، ثم لم يلبث أن ابتسم
في سخريته ، قائلاً :

- هكذا ؟ . فليكن أنا اوافق على الحكم بالإعدام

بدت الدهشة على وجهي (ثوردال) و (انجرند) . في حين
تعمم (هانز) في توتر :

- توافق !!

هيب (شالوم) من مجلسه ، صائحاً بكل قوته .

- نعم الإعدام لكم .

ومع آخر حروف كلماته ، اقتحم ثلاثة من رجاله الردهة ، مع
كل طاقم حراسة فيلا (ثوردال) ، واشترك الجميع في تصويب
مدافعهم الآلية إلى هدف واحد ..
إلى ثلاثي الشبكة الإسكندنافية .

* * *



٢٠ - وسقطت الأقنعة ..

انهك رجال الأدلة الجفائية في عطفهم ، في فيلا (هال)
الثانية ، وراحوا يجمعون الرصاصات الفارعة والشطايا
الصغيرة ، ويرفعون البصمات من كل ركن ، وينتزعون
المقدوفات من الحدران ، ويلتقطون الصور الضوئية للمكان .

وفي أحد الأركان ، وقف اثنان من الرجال ، يتابعان عمل
الآخرين ، وسط أحدهما شفتيه في تائر ، وهو يهز رأسه قائلاً :

- يا للخسارة ! الرصاصات اتلفت عشرات اللوحات
الثمينة . هل تعلم . الأخير قدر خسائر اللوحات وحدها بستة
ملايين دولار .

هز الثاني كتفيه ، وقال :

يا لهؤلاء الأثرياء ، أينفقون الملايين في سبيل الزينة
والتباهي محسباً . يا للسخافة ! لو أردت رأيي ، فهم
يستحقون القتل .

ابتسم الأول ، وهو يقول :

- يا لك من حاقدا !

هم الثامى بالتعليق على عبارته ، لولا أن تعلق بصره برجل
اشقر الشعر ، كث الحاجبين والشارب ، دلف إلى المكان في
معطف أبيض ، وراح يدير بصره فيه بشيء من الصرامة ، فقال
على زميله ، قائلاً :

- من هذا الرجل ؟

نطع زميله إلى الأشقر لحظة ، قبل أن يهز رأسه ، مغمغماً

- لست أدري .. دعنا نساله .

اتجه الاثنان نحو الأشقر ، وقبل أن يصلا إليه ، فوجئاه به

يلتفت إليهما ، ويقول في صرامة :

- ألم ينته هذا العمل بعد ؟

ارتبك الاثنان لهذه المبادرة غير المتوقعة ، واحب احدهما

- مازالت امامنا ساعة اخرى تقريباً .

وساله الثاني في حذر :

- معذرة يا سيدي ، ولكن .. من انت بالضبط ؟

انعقد حاحبا الاشقر ، وهو يقول في غضب صارم

من اما .. اي سؤال سخيف هذا . ألم تصحبا

المعليمات الجديدة بعد ؟ من العنى المسئول عن هذا الإهمال

الجسيم ؟ .. من "

ارتبك الرجلان اكثر ، وغمغم احدهما :

للأسف ، لم تصلنا بعد أية تعليمات جديدة . و

قاطعه الاشقر في غضب :

يا للسحابة : ساصدر اوامري بمعاقبة المسئول عن هذا

الخطأ فوراً ..

ثم أشار إلى المكان بيده ، مستطرداً في حدة اكثر

- ولكن يبدو انه ليس ائوحييد الذي يتسبب بالإهمال . من

الواضح انكم تشتركون معه في السمة نفسها . كيف لم ينته

فحص هذا المكان حتى الان ؟ اليس من المفترض ، طبقاً

للوائح ، ان يتم هذا خلال الساعات الثلاث الاولى ؟

تفحّث احد الرجلين ، قبل ان يقول متوتراً :

هذا بصر قديم في الالئحة ، نقدمها بطلب لتعديله و .

صرخ الاشقر في وجهه :

- لا أريد أية تبريرات .

ثم اتجه في خطوات عصبية واسعة إلى الحدار الذي يحوى

لوحات والصور ، وتطلع إليه حاجبين معقودين ، قبل ان

يشير لأحد العاملين ، قائلاً في صرامة :

- انتزع هذه الصورة .

اسرع الرجل بنقد الأمر ، وانتزع الصورة الكبيرة للمحامي

(هال) ، وهو يقف وسط ساحة التزلج ، فالنقطتها منه (انهم) ،

ونطلع إليها لحظة ، ثم وضعها تحت إبطه والتفت إلى

الرجلين ، قائلاً في صرامة شديدة :

- ومتى ينتهى العمل هنا ؟

تبادل الاثنان نظرة متوترة ، قبل ان يجيب احدهما

- ساعة واحدة على الأكثر يا سيدي ، و ...

قاطعه (انهم) بصرخة صارمة :

- ساعة واحدة وليس اكثر . هل يفهم الجميع ؟

او ما العاملون برؤوسهم في توتر . فانعقد حاحبا في

صرامة اكثر ، وغادر المكان في خطوات واسعة ، وهو يقول

ساعود بعد ساعة واحدة ، والويل كل الويل لمن يتقاعس

في عمله .

ازدرد الجميع لعابهم في توتر ، وهم يتابعونه باصبارهم ،

حتى لحذر المكان . ثم اطلق احدهم زهرة حارة من أعماق صدره ،

قبل ان يقول :

- اللعبة ! .. من هذا الرجل بالضبط ؟

ارتفع حاجبا الرجلين في دهشة عييفة ، وتبادلا نظرة

صامتة معصمة بالتوتر ، قبل ان يلتفت الاثنان في ان واحد إلى

الباب الذي خرج منه (انهم) مدد لحظات ، وقد تردّد في

وَأَسِيهُمَا السُّؤَالُ نَفْسَهُ ..

نعم .. من هذا الرجل ؟ ..

من ۱۴۰۰ ..

✱ ✱ ✱

امتنع وجه (ثور دال) و (هائز) و (انحرید) بشدة ، عندما
اقتحم الرجال المكار ، وهتف الاول مدعورا
- ما هذا ؟ .. ماذا اصابكم يا رجال ؟

أجابته ضحكة عالية ، ساخرة ، شامتة ، متشعبة ، ظاهرة ،
انطلقت من حلق (شالوم) ، وجلجلت في المكان كله ، قبل أن
يقول صاحبها في غلظة :

لا تجعل هذا يدعوك إليها الفيلدي إياهم لم يطلقوا على
لقب (الدنوب الأرقط) ، عبدًا ولا تعتمد كثيرًا على طاقم
حراسك ، فكلهم يعملون لحسابنا .

اتسع عبا (احريد) فى ارتباع ، وهى نهف .
- كلهم

التفت إليها (شالوم) بنظرة صارمة ، قائلاً

- نعم كلهم يا أميرة الأعمياء . ومنذ التحقوا بالعمل
هنا .. أنا أرسلتهم بنفسى . وكنت أعلم أنهم يناسبون صديقا
(ثوردا ل) تماما . وكنت أدرهم لمثل هذه اللحظة .

لم صرغ بغتة في وجهه (هاتر) :

- القى مسدسك أيها الحقير .

القى (هانز) و (توردال) مسدسيهما بسرعة . فى حين هنت (اسجريد) فى ثوتر شديد

- (شالوم) . عزيزي (شالوم) . اننا معترف بالخطا الذي

23

ارتكبتاه فى حقك . هيا . دع رجالك يتصرفون ، وسيدأقش هذه
الأمور فيما بيننا .

رفع (شالوم) حاجبيه بدخشة مصطنعة ، وهو يقول

يُصْرَفُونَ ١٠ وماذا عن الحكم يا أميري؟

سبائقه مرتجفة :

- ای حکم ۱۹

أجابهـا في صرامة :

• حكم الإعدام •

اتسعت عيون الثلاثة في رعب ، وتعلقت بكواثم الصوت في
فوهات المدافع الآلية ، ثم هتف (هانز) -

- لا تفعلها يا سيّد (شائوم) .

وصاح (ثور دال) ، وهو يلوح بزراعيه :

- إِنْكَ تَرْتَكِبُ خَطَا فَاذْجَا .

اما (اجرید) فقد انهارت من مقعدها على ركبتيهما ،
وتعجرت الدموع من عينيها في غزارة ، وهي تهتف .

- لا تقتلني يا (شالوم) ، ارحوك انا ثرية وجميلة ،

وما زلت أرغب في التمتع بالحياة لوقت أطول أرجوك

ولكن (شالوم) أشار إلى رجاله ، وهو يقول في قصوة

- لاسفغات الاوان يا اميرتى .

وخفض يده بحركة حادة ، فصرخت (انجريد) فى رعب

هاتل :

.. IIIII Y.. Y -

ومع صرختها ، انطلقت الرصاصات المكتومة ..

واخترقت الرعوس والاجساد -

كل الرموس والأجساد ..

وبلا أدنى رحمة أو شفقة ..

وبعد ثوان معدودة افترشت جيث ثلاثى الشبكة

الاسكندنافية أرض ردهة قبلا (ثور دال) ، وسط بحر من الدم

وهى برود ، تطلع (شالوم) إلى جيث الثلاثة ، ثم التقط

جهاز التحكم عن بعد ، وعاد يحس على الأريكة ، ويدير

الشريط المسجل فى هدوء ، متطعنا إلى كل لقطة منه بإمعان

شديد ..

ثم توقف عند النقطة التى أشار فيها (هال) إلى الجدار ،

قبل أن يلفظ أبغاسه الأخيرة ..

وأعاد عرض اللقطة مرة ..

ومرة ..

ومرة ..

وانعقد حاحميه فى شدة ، وهو يفحص ببصره الجدار

المكتظ باللوحات والصور ، والذى أشار إليه (هال) ، وراح

يعتصر ذهنه بشدة ، و ...

وفجأة ، وثب من مقعده ، صائحا :

- اللعنة ! .. إنها صورة كامنة .

التفت رجاله إليه فى دهشة ، وغمغم أحدهم :

- صورة كامنة ! .. وما هى الصورة الكامنة !

اندفع (شالوم) نحو شاشة التليفزيون ، وأشار إلى صورة

(هال) الكبيرة ، وسط ساحة النزح ، وهو يقول فى انفعال :

- كان ينبغى أن أنته إلى هذا منذ البداية ، فلمادا يحتفظ

(هال) بصورة كديرة فى ردهة الثيلا ، على الرغم من أنه

لا يحتفظ بمثلها فى شيلته العلنية ؟ ! والجواب هو أنه

يحتفظ بها لأنها تحوى كل أسرارها ، ففيها صورة كامنة ، لا يمكن

رؤيتها إلا بمعالجة خاصة (*) وهى فكرة عبقرية بحق .

ثم وثب إلى الهاتف ، وطلب رقعا خاصا ، ولم يكده يسمع

صوت محدثه ، حتى قال فى انفعال :

- (موريس) . هناك امر بالغ الأهمية ، أريد منك القيام به

على الفور . هناك صورة كديرة للوعد (هال) ، وهو يقف وسط

ساحة النزح ، ستجدها على جدار فى ردهة ثيلا (هال) الثانية

حيث لقي مصرعه .. أريد هذه الصورة بأى ثمن ، و ...

اتسعت عيناه فى ارتياح ، عندما قاطعه محدثه ، وكادت

أصابعه تحطم سماعة الهاتف ، وهو يصرخ :

مادا ! .. أخذها ؟ .. رجل مجهول أتى واحدها . اللعنة !

اللعنة ! .. اللعنة !

وعندما أعاد السماعة إلى موضعها كان جسده كله يرتجف

فى عصف ..

لقد سبقه (ادوم صبرى) أيضا هذه المرة ، وفاز بالغنيمة ..

بل بالصفقة كلها ..

* * *

(*) فى الخامس والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٨ م ، انفت المحاورات

العامة المصرية القمص على جاسوس يعمل كمحترف تصوير ، وهو (منير

عبدالغنى) ، وكان (منير) يحمل عدد وقوعه بعض الافلام بالغة الخطورة .

وعندا من الصور الكامنة ، وهى عبارة عن صورة يتم انقائها ، وتترك فيها

مساحات واسعة بيضاء ، وفى هذه المساحات يتم طبع صور أخرى لمشاة

او وثائق ، بعد تحميم الصور الاصلية ، وقبل تليتها ، ثم يتم تثبيت

الصورتين الواضحة والمحتفية معا ، ولاستعادة الصورة الكامنة فى الفراغ

الابيض ، يتم تحميم الصور ثانية

النقطة (أ. هـ) الصور خيرة من حوص التحصيل في
حرر وتطلع من يتوحد السواء فيها ، و متى استحال إلى
مساحات سوداء من كثرة ما يرى فوقها بالتحصيل ، وعمم
في ارتياح :

خبير للعبة (هـ) هذا لقد استخدم فكرة الصورة
الكاملة بمنتهى السراع فصنع صورته وسط مساحة التزلج ،
وقام بإظهارها ، ثم طبع صورة الوثائق بمنتهى الدقة ، في
المساحات البيضاء ، دون أن يظهرها ، وبما اكتمل بتثبيت
الصورة كلها واحتفظ بها في ردة قبلته ، ولهذا لم يحاول
فحص أية إشارات أو خرائط ، وبما اكتمل من الصورة ما زالت
في موضعها ، وهذا وحده سبب على أن أسرارها في أماكن
قال زميله في قوتر :

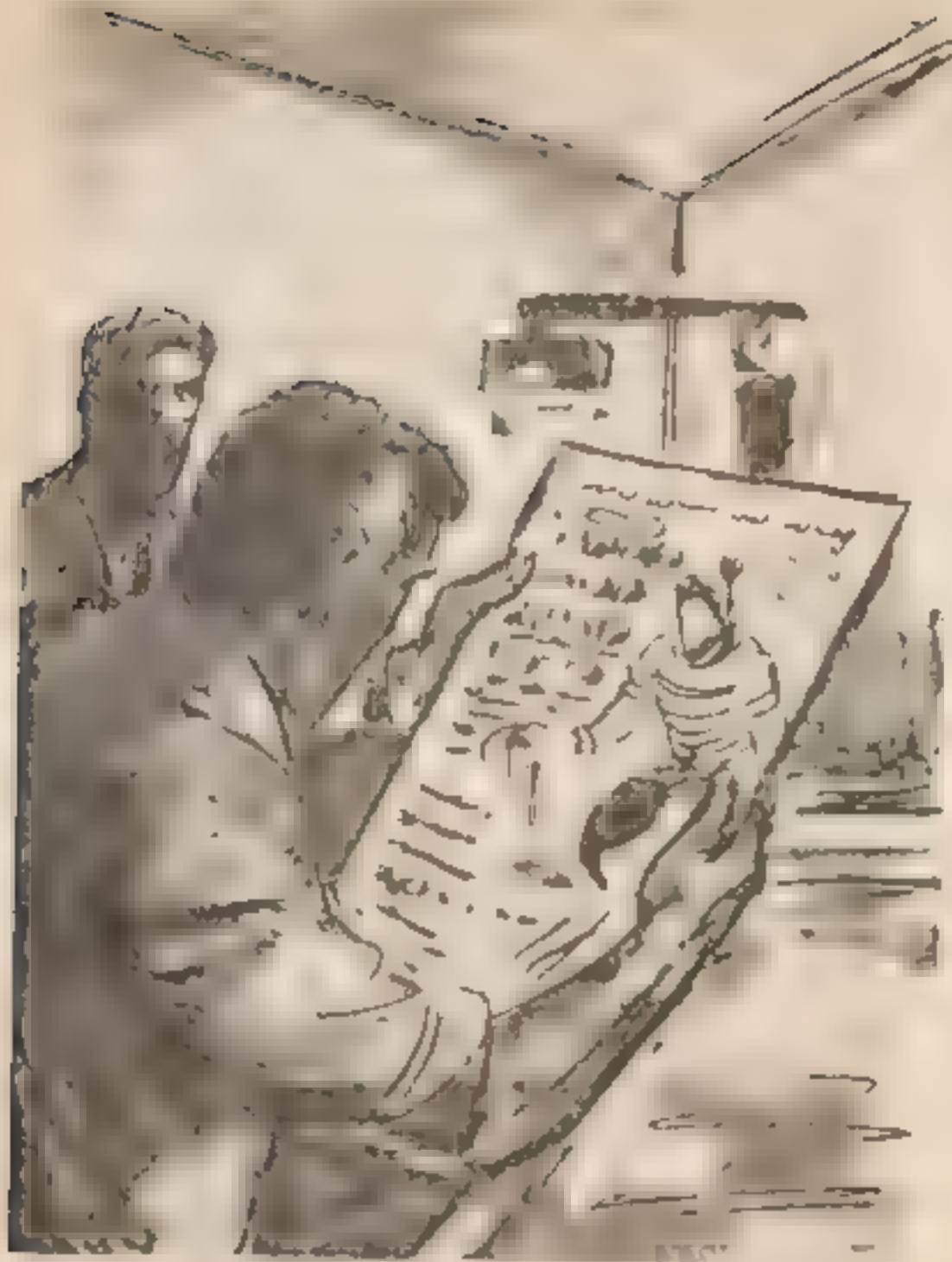
يا للبراعة

النقطة (أ. هـ) عدسة مكبرة وتطلع بوسايتها إلى التلوج
التي اصطفت بالأسود ، وراح يقرأ التفاصيل بمنتهى
الاهتمام ، قبل أن يقول :

أه ! إن هذا هو العمل السوفيتي كان يسعى أن
اتوقع أنه هو وكرهه ، الأكثر أهمية (هـ) احتفظ
بعدد من الشرائط الصوتية وثرثية في حراسة خاصة ،
وها هو ذا رقبها السري ، والمكر الذي يحتفظ فيه بمفتاحها
في (سويسرا) .

هتف زميله في أفعال :

رباه ! إنها معلومات بالغة الخطورة يا سيادة العقيد .
أوما (أ. هـ) فرائسه إيجانا ، ونريد بمصره صنع لحظات ،
قبل أن يفهم :



ولمقد لي ارتياح

- خبير لطيفة (هـ) هذا لقد استخدم فكرة الصورة الكاملة

- إنها كذلك يا رجل ولكن ليست خطورتها وحدها المهمة ،
ولكن الأكثر أهمية هو كيف يمكن استغلال هذه الخطورة ؟

سأله زميله في اهتمام :

- كيف يا سيادة العقيد ؟

شره بصر (أدلم) أكثر وهو يجيب :

- بأفضل وسيلة أبها الرمدل بأفضل وسيلة ممكنة ..

وبدت عبارته واثقة قوية ، و

وغامضة ..

غامضة إلى أقصى حد ..

* * *

اتسعت عينا (فريدريك) في ارتياح ، وهو يحدق في وجه

رجل المخابرات المصري ، الذي نقل إليه خبر مصرع (نورال)

و (هار) و (انحرید) ، قبل أن يهتف في صوت مختنق :

ولكن كيف ؟ .. ولماذا ؟ .. من ذا الذي يسعى لقتل

ثلاثتهم في منبحة بشعة كهذه ؟

أجابته رجل المخابرات ، وهو يلقي جسده المنهك على اقرب

مقعد إليه :

- الإسرائيلي (مائير شالوم) بالتأكيد .

هتف (فريدريك) في غضب :

- يا للوغد !

هزّ رجل المخابرات رأسه ، قائلاً :

الذئاب دائماً يفترس بعضها البعض ، إذا ما تآزمت

الأمور ،

سأله (فريدريك) في اهتمام :

ومذا سيفعل الكائن (زيلمان) في هذا الشأن ؟ أعنى
السيد (أدلم) .

ارتسدت ابتسامة مرهقة على شفتي رجل المخابرات ، وهو

يقول :

- الكثير .

كان جواناً مقتصباً ، ولكنه يحمل معاني شتى ، جعلت

جسده (فريدريك) ينتفض انفعالاً ، وتترا ، قبل أن يقول في

حماس :

- السيد (أدلم) هذا رجل مذهش بحق . من يصدق أنه

يتحرك بكل هذا النشاط ، وإصابته لم تنتم بعد ؟

أجابته رجل المخابرات مبتسماً :

لو أنك تعرف (أدلم) مثلما أعرفه ، لما ادعيتك هذا

هزّ (فريدريك) رأسه ، قائلاً في انبهار :

- لا ريب عندي في هذا .

ثم سأل في شغف :

- لكن أين هو ؟ إني لم أجد له مد الصباح الباكر

ارتسدت ابتسامة غامضة على شفتي رجل المخابرات وهو

يجيب :

- إنه يقوم بعمل هام للغاية ، لا يمكن أن يقوم به سواه

ارتفع حاجبا (فريدريك) في انبهار ، وهو يتمتم

- عمل هام للغاية ؟ .. أين ؟

اتسعت ابتسامة رجل المخابرات ، وهو يجيب :

- في مكان ما .

نطقها وانفسامته تحمل المزيد من العموض
والمزيد ..
والمزيد ..

* * *

« مرحبًا يا مسيو (هال) آية رياح طيبة شرفتنا بزيارتك
المفاجئة لنا هذه المرة ١٩ .. »
القي مدير بنك (كريدي سويس) في العاصمة السويسرية
هذه العبارة ، وهو يدهش لاستقبال (ادهم) في مكتبه ، وقد
تنكر في هيئة (هال) بدقة مذهلة كعادته ، وإن احاط يده
اليمنى برباط ضاغط ملحوظ ، وصمادة على الرسغ ، وارتفعت
على شفتيه ابتسامة تقليدية ، وهو يصافح مدير البنك باطراف
اصابعه ، قائلاً :
معذرة بدى مارالت نعاى إصابة محدودة ، فى ملعب
التنس ،

تطلع المدير إلى الرباط الضاغط والصمادة ، وهو يقول :
- أه .. ضربة خاطئة .. اليس كذلك ؟

ابتسم (ادهم) ولوح بكفه اليسرى ، وهو يجيب :

- بل محاولة صدأ أعنف مما ينبغي .

أوما المدير براسه متفهّمًا ، وهو يعمّم :

- تقبل اسفى يا مسيو (هال) .

ثم استطرد يسأله فى اهتمام :

- إنها أوّل مرة تشرفنا فيها بزيارتك دون موعد سابق .

اليس كذلك ؟

أوما (ادهم) براسه إيجابًا ، وهو يقول :

بلى ، ولكنه امر عاجل بحق قضية هامة ، احتفظ
بالوثائق الخاصة بها فى خزانتي هيا .

ابتسم المدير وهو يقول :

- أراهن على أنك لا تخسر قضايك أبدًا يا مسيو (هال) .

منحه (ادهم) ابتسامة لزجة ، وهو يجيب :

- إلى حد ما ،

ثم أخرج من جيبه مفتاح الخزانة ، الذى حصل عليه من
المكان الذى أخفاه فيه (هال) ، وهو يستطرد :
- ها هو ذا مفتاحي .

أسرع مدير البنك يلتقط من درج مكتبه المفتاح الثانى ، وهو
يقول :

- وما هو ذا المفتاح الآخر ، والأز لا ينقصنا سوى
توقيعك ، و ...

وتتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يتطلع إلى يد (ادهم)
المحاطة بالرباط الضاغط والصمادات ، فلوح بها هذا الأخير ،
وقال فى شيء من المرح :

لا تدع هذا يشعلك .. صحيح اسى لم اختر فاعليتها بعد ،
ولكننى اعتقد أنه مارال بإمكانى استخدامها للتوقيع

والتقط قلمًا من فوق مكتب المدير ، وامسك الإيصال
الخاص ، ووضع فوقه توقيع (باتون هال) ، ثم تطلع إليه فى
شيء من عدم الرضا ، ومطأ شفتيه ، متمنًا :

- إنه لا يبدو أنيقًا كالمعتاد ، ولكن ..

لم يتم عبارته ، وكاسا لا يجد ما يقوله ، ولكن المدير أوما
براسه ، معلنًا تفهمه للموقف ، وهو يتطلع إلى التوقيع ، الذى

لم يبد له مثلاً ، إلا ان وجود (هال) أمامه بوجهه المألوف ،
وصوته المميز ، ووجود المفتاح معه ، ومعرفته لرقم الخزانة ،
والبنك ، كلها عوامل جعلته يبتسم قائلاً :

- لا ياس يا مسيو (هال) . صحيح ان هذا يخالف
لوائحنا ، ولكن سناً بالتأكد جهة بيروقراطية مترتبة ، ولا
يمكننا ان نتسبب في خسارتك لقصيدك ، بلجرّد أنك مصاب بما
يصعب من إجابة توقيع موقفاً . سنقوم بكل الإجراءات ،
ونحصل على توقيعك فيما بعد .

ونهض مستطرداً في حسم :

- اتبعنى يا مسيو (هال) .

ابتسم (أدهم) ، وهو يندعه إلى حجرة الخزائن ، قائلاً
بصوت ولهجة (هال) :

هذا يا صبيط ما جعنى اتعامل مع سيكم يا رجل .

اصطحبه المدير إلى الحجرة ، وفتح الخزانة بمفتاحه ، وترك
(أدهم) يستخدم مفتاحه ، ثم أخرج الحاوية ، ووضعها فوق
منضدة جانبية ، وابتسم ، قائلاً :

- سانتظرك فى مكتبى يا مسيو (هال) .

انتظر (أدهم) حتى أعقب المدير الباب خلفه ، ثم فتح
الحاوية ، وتطلع إلى الشرائط المسجلة داخلها ، قبل ان يقول
فى ارتياح :

- عظيم .. هذا كل ما نحتاج إليه .

ولم تمض دقائق عشر ، على قومه هذا ، حتى كان بغابر
الليل ، وينطلق بسيارته مبتعداً فى هدوء ، فتابعه المدير
ببصره فى اهتمام ، وعاد يمارس عمله اليومى ، ولم تمض

نصف الساعة ، حتى اندفع أحد الموظفين إلى حجرته ، وهو
يحمل جريدة الصباح ، هاتفاً :

- سيّدى المدير ، هل قرأت هذا الخبر ؟

التقط المدير الجريدة فى اهتمام ، ولم يكد يلقى نظرة على
الخبر المنشور فى الصفحة الأولى ، حتى قفز من مقعده ،
صارخاً :

- مستحيل !

فقد كان الخبر يشير إلى حادثى مصرع (هال) ورفاقه
الثلاثة فى (هلسنكى) ..

وفى ارتياح ، هذف المدير :

لو ان مسيو (هال) قد لقى مصرعه هناك ، فمن ذلك
الرجل ، الذى كان هنا اليوم ؟

هز الموظف رأسه ، متمتماً فى حذر :

- محتمل ولا شك .

ترك المدير جسده يسقط على اقرب مقعد إليه ، والتسعت
عيناه فى هلع ، وعقله يسترجع تفاصيل ما حدث ، إلا انه لم
يلفت ان تمالك نفسه ، وقال للموظف فى صرامة :

- فليكن . ما دام مسيو (هال) الحقيقى قد لقى مصرعه ،
فلن يوجد من يمكن ان يتقدم بشكوى ضدنا .

سأله الموظف فى دهشة :

- ماذا تعنى يا سيّدى ؟

اجابه المدير فى حزم :

- مسيو (هال) لم يحضر إلى هنا اليوم ، وكلانا يمكنه ان
يقسم على هذا .. مزق الإيصال وكل الأوراق الخاصة بزيارة تلك

المحتال ، ولن يتمكن شخص واحد من إثبات ما حدث ، أما عن محتويات الخزانة فقد كنا ومازلنا نجهلها تمامًا ، والقانون لا يمنع احتفاظ شخص ما بخزائنه خاوية ، مادام يستند أجرها على نحو منتظم .. هل تفهم ؟
أوما الرجل برأسه ، مغمغماً :

- أهم يا سيدي المدير ، واعتقد أن هذا أفضل للجميع وفي نفس اللحظة ، التي دار فيها هذا الحوار ، كان (أدهم) يستقل الطائرة العائدة إلى (هلسكي) ، وقد استعد وتاهب لجولته القادمة مع الديك الإسرائيلي ..
جولته الحاسمة ..
والأخيرة .

* * *

انطلقت ضحكة ظافرة من بين شفתי رجل المخابرات المصري ، وتهللت أساريره ، وهو ينهي محادثة هاتمية ، قائلاً بالعربية :
- عظيم .. عظيم .. هذا ما كنت أتوقعه بالطبع .. أنا في انتظاره .

سأله (فريدريك) في لهفة ، عندما أنهى المحادثة
- ملامحك تقول : إن السيد (أدهم) قد أدى مهمته ببجاح ليس كذلك ؟

ابتسم رجل المخابرات ، قائلاً :
- من الواضح أنك تجيد قراءة الملامح يا (فريدريك) .
اجابه (فريدريك) في حماس :
- بل قل : إنني أعرف من ينبغي أن أمنحه ثقتي .

ثم اعتدل في مجلسه ، وهو يسأل في لهفة :
- ولكن متى يعود إلينا ؟

هرّ رجل المخابرات كتفيه ، وهو يقول :

- المفترض أنه في طريقه إلى هنا ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، التقطت أذنه بفتة وقع أقدام تقترب من باب الشقة في حذر ، فاستقل مسدسه بسرعة وهباً واقفاً ، وهو يشير إلى (فريدريك) بالصمت ، ويتجه في خفة نحو الباب ..
وحبس (فريدريك) أنفاسه ، وهو يتابع حركته ، وراح قلبه يخفق في عصف متوتر ، و ...
وفجأة ، اقتحم رجلان المافدة ، ووثبا داخل الشقة ، وكلاهما يحمل بندقية من طراز خاص ..

وبسرعة مذهلة ، استدار رجل المخابرات بوجه الرجلين ، واطلق نحوهما رصاصات مسدسه ، التي ارتطمت بالسترات الواقية من الرصاصات التي يرتدونها ، في حين انطلقت من بندقيتهما أسهم خاصة ، انغrust في عنقه وصدره ، في نفس اللحظة التي اقتحم فيها رجلان آخران الباب ، وانقضا عليه من الخلف ..

وصرخ (فريدريك) ، والأسهم المخترقة تنغرس في جسده أيضاً :
- رباه ! .. لقد كشفوا أمرنا .

وفي نفس اللحظة التي سقط فيها ، مع رجل المخابرات المصري ، لماقدي الوعي ، ظهر على عتبة الباب ذلك الخصم اللدود ..
(ماكبر شالوم) ..

الذئب الإسرائيلي الأرقط ..

وفي صرامة قاسية ، القى نظرة على الرجلين ، وغمغم :

- كان ينبغي أن تدركا أن (شالوم) ليس بالرجل السهل ،
وأنه سيكشف الأمر إن عاجلاً أو آجلاً .

سأله أحد رجاله ، وهو يشير إليهما :

- هل نتخلص منهما أيها الرئيس ؟

أجاب (شالوم) في حزم :

- ليس بعد . سنجعلهما الآن فحسب إلى قبلى الخاصة ،
وسنصنع منهما طعاماً لاصطياد الفريسة الرئيسية .

سأله الرجل في اهتمام :

- وهل تعتقد أن رجلاً مثل (ادوم صبرى) يمكن أن يقع
بمثل هذه السهولة ؟

برقت عينا (شالوم) ، برق وحشى ، وهو يجيب :

- صدقنى يا رجل .. فى هذه الجولة بالتحديد ، لن يكون
أمامك ذلك الشيطان المصرى سوى أن ينهرم ويؤن أدنى أمل فى
النصر .

قالها ، وبريق عينية يتضاعف ، ويحمل المزيد من الوحشية
والشراسة ، حتى بدا بالفعل أشبه بالذئب .

ذئب لا يعرف الهزيمة ..

أو الرحمة .

* * *



١٤٤

٢١ - الموت لا يأتى مرتين ..

هبط الظلام فى سرعة على العاصمة (هلسنكى) ، فى ذلك
اليوم ، مع الغيوم الكثيفة التى حجبت السماء ، وبدأ الجليد
ينهمر مبكراً ، فاكتست الشوارع ، وأسطح المنازل بغلاف أبيض
ناصع ، تطلع إليه (شالوم) فى شيء من التوتر ، عبر نافذة
حجرة مكتبه ، فى الطابق الثانى من الفيلا ، وتعلق بعصره
طويلاً بمواهبها المعدنية ، التى وقف عندها خمسة من رجال
الحراسة الأشداء ، بمدافعهم الآلية القصيرة ، فسأله أحد رجاله
فى شيء من التردد :

- هل تعتقد أنه سيأتى يا سيدي ؟

صمت (شالوم) طويلاً ، وحاجباه ينعقدان فى شدة ، قبل
أن يجيب فى صرامة :

لو أنك درست شخصية (ادوم صبرى) ، كما درستها أنا ،
لأدركت أنه لن يتخلى عن زميله ومساعدته السابق قط .. إنه من
ذلك الطراز الخبى ، الذى يقيم وزناً كبيراً للعواطف والمشاعر
السخيفة .

هو الرجل كتفيه ، وهو يقول :

- لو أننى فى موضعه لما أتيت قط ، مهما كان الزمن ، خاصة
وهو يعلم أنك تطلب منه وضع نفسه بقدميه فى الفخ ، الذى
صنعه له .

صمت (شالوم) لحظات أخرى ، ثم أجاب فى صرامة حازمة :

سيأتى .

لم يكذ ينطق الكلمة ، حتى ظهرت من بعيد أضواء سيارة
تقترب ، فهنف الرجل فى بهشة عارمة :

- امن الممكن ان يكون ...

قاطعه (شالوم) فى افعال :

- قلت لك : إنه سيأتى .

وتعلق بصره بالسيارة ، التى واصلت طريقها ، حتى توقفت
أمام البوابة المعدنية مباشرة ، واطل منها وجه (ادهم صبرى) ،
وهو يقول لحارس البوابة بلهجة ساخرة :

- افتح أيها الوغد .. رئيسك ينتظرني على احر من الجمر .

فتح الرجل البوابة ، وهو يقول فى غلظة

- انتبه لما تقول يا رجل ، وإلا ..

قاطعه (ادهم) ساخراً :

- وإلا ماذا يا هذا ؟ هل ستطلق النار على ، قبل ان التقي

برئيسك ؟

امسح له الرجل الطريق ، وهو يقول فى غضب :

- ربما افعل ، بعد ان ينتهى من امرك .

عبر (ادهم) البوابة بسيارته ، وهو يقول :

- يمكنك ان تحلم بهذا على الاقل ، ولكن حذار ان تفعل هذا

بدون غطاء .

عصر الرجل شفطيه فى غيظ ، وهو يعلق البوابة خلف
السيارة ، التى عبر بها (ادهم) حديقة الفيلا ، ليتوقف أمام
بابها مباشرة ، فاندفع نحوه خمسة من الرجال بمدافعهم
الآلية ، وصوتوها إليه فى صرامة ، فى حين قال احدهم فى
خشونة :

- اهبط يا رجل .

غادر (ادهم) السيارة فى هدوء ، وهو يرفع ياقة معطفه

الأتيق ، ليتقى الجليد المتساقط ، قائلاً فى سخرية :

- قل لى أيها الوغد : كم من زملائك الاوغاد ينفى ان التقي

بهم ، قبل ان اصل إلى رئيسك ؟

انعقد حاجبا الرجل فى غضب ، وهو يلكره بعدفعه ، قائلاً :

- انت رجل محظوظ يا هذا : فلولا اوامر رئيسى لأطلقت

النار عليك بلا رحمة .. هيا ارفع يديك ، فالأوامر تحتم ايضاً

تفتيشك جيداً

رفع (ادهم) ذراعيه فوق رأسه ، وترك الرجل يفتشه فى

سرعة ودقة ، وهو يقول :

- اطمئن أيها العبقري .. لست أحمل أية اسلحة

قال الرجل فى صرامة :

- لن يضبرنا ان نناكد .

تركه (ادهم) يواصل عمله ، حتى انتهى منه ، ثم خفض

ذراعيه ، قائلاً :

- حسن .. هل ستذهب الآن إلى (شالوم) ، ام انه من

الضرورى ان نمر بنقاط تفتيش اخرى ؟ ؟

دفعه الرجل أمامه فى غلظة قائلاً :

- اصمت .

احاط به اربعة من الرجال بمدافعهم الآلية ، وقادوه إلى

حجرة مكتب (شالوم) ، حيث استقبله هذا الأخير بنظرة

صارمة ، وهو يعقد كعبه خلف ظهره ، قائلاً :

- مرحباً بك فى فيلتى يا سيد (ادهم) .. من الواضح انك قد

تلقيت الرسالة ، التى تركتها لك فى منزل (فريدريك) ، وانك

أدركت حتمية مجيئك إلى هنا .

قال (ادهم) فى برود :

- لديك ما أريده يا (شالوم) .

قال (شالوم) في عصبية ،

- أنت أيضاً لديك ما أريده يا سيّد (ادهم)

تجاهل (ادهم) العبارة ، وكأنه لم يسمعها قط ، وقال في

حزم :

- قبل أن نناقش أية أمور بيننا ، احب أن اتأكد من أن زميلي

و (فريدريك) بخير .

قال (شالوم) :

- اطمئن .. إنهما على خير ما يرام .

ابتسم (ادهم) في سخرية ، قائلاً :

- هل تتوقع مني الاقتناع بكلمتك ؟

حدّجه (شالوم) بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول :

- ما الذي تسعى إليه بالضبط يا سيّد (ادهم) ؟

شدّ (ادهم) قامته ، وهو يجيب في حزم :

- اطلق سراح زميلي و (فريدريك) ، وبعدها

نناقش أمورنا .

التقى حاجبا (شالوم) في شدة ، وهو يقول :

- هل تسخر مني يا سيّد (ادهم) ؟

هزّ (ادهم) رأسه نفياً ، وقال :

- مطلقاً .. إنني فقط اتخذ ما يلزم من الحيطة والحذر ،

استناداً إلى خبرتي السابقة في التعامل مع الأوغاد أمثالك ..

من أدراني أنك لن تحصل على ما تريد ، ثم تقتلهاما أشنع قتلة ؟

قال (شالوم) في حدة :

- ومن أدراني أنك لن تخدعني ، بعد أن اطلق سراحهما ؟

هزّ (ادهم) كتفيه هذه المرة ، وهو يجيب :

- إنني بين يديك .. سنظفر بي على الأقل .

صمت (شالوم) طويلاً ، وهو يتطلّع إليه في شك حذر

متوتر ، قبل أن يقول في بطة :

سيّد (ادهم) أنت تعرف جيداً من أنا . وتعرف أن أحداً

لم يسخر مني قط ، وبقي على قيد الحياة .

أجابه (ادهم) في هدوء :

- اعلم هذا .

عاد (شالوم) إلى صمته لدقيقة أخرى ، ثم قال في صرامة :

فليكر يا سيّد (ادهم) سائمت لك أن أحداً لن يبلّغ قط

مقدار ما يتمنع به (ماثير شالوم) من حكمة ودكاء وبراعة ..

سأطلق سراح زميلك ومساعدك السابق .

قال (ادهم) بسرعة :

- فليوصلهما رحالك إلى السفارة المصرية ، وعندما يتصل

زميلي بي من هناك ، سنداً مفاوضاتنا على الفور .

تصاعدت نبرة الشك في أعماق (شالوم) ، وانطلق ناقوس

الخطر يقرع في رأسه ، وهو يتطلّع إلى عيني (ادهم) في

توتر ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً :

هل تتصور أن وصول الرجلين إلى سفارتك ، يمكنه أن

ينقذك من بين يدي ؟

ابتسم (ادهم) في سخرية ، قائلاً :

- لست ساجداً إلى هذا الحد يا رجل .. أنا أعلم أنك لن

تتردد في قتلي ، لو لم تسر الأمور على النحو الذي تدشده

وتسعى إليه .

قال (شالوم) فى حدة :

- بالصبط .

ثم اتجه إلى باب حجرته فى خطوات واسعة ، وفتح الباب ،
قائلاً فى صرامة :

- (بنحاس) تعال مع رجلين من رجالك إلى حجرتى ،
وصوبوا مدافعكم الأتمة إلى السيد (أدهم) طوال الوقت ،
واطلقوا أسار عليه عند أدنى شك فى موقفه ، وليقف خمسة
رجال هنا أمام الباب ، وليطلقوا النار عليه فوراً ، لو حاول
الخروج دون إذن واضح وصريح منى . ومر خمسة آخرين
بالوقوف أسفل السافذة ، مع الأوامر داتها هل تفهم ،
أجابه (بنحاس) فى حزم :

- بالتأكيد يا سيدى .

جلس (أدهم) على أقرب مقعد إليه فى استرخاء ، وهو يقول :

- نسيت أهم نقطة يا رجل .

مط (شالوم) شعنيه ، واعتقد حاجباه قائلاً

- فليكن .. اطلق سراح الأسيرين يا (بنحاس) ، وارسلهما

مع اثنين من رجالنا إلى السفارة المصرية

ثم التفت إلى (أدهم) مستطرداً :

- وسنرى يا سيد (أدهم) . سنرى من منا الأكثر نكاء وبراعة

قالها ، ثم اعتقد حاجباه فى شدة أكثر ، وعاد باقوس انحط

يقرع فى أعماقه بكل قوة وهو يتطلع إلى استسامة (أدهم)

المسترخية ، التى لم ترق له هذه المرة ..

لم ترق له أبداً ..

* * *

ارتفع حاجبا (يورى جلجاموف) فى دهشة ، عندما رأى
العقيد (كوزيريف) يندف إلى مكتبه فى هذه الساعة ، ويهض
فى بظه يقول :

- مرحباً أيها الرفيق العقيد .. كم تدهشنى زيارتك المفاجئة
هذه ، فقد كنت فى طريقى إليك الآن .

أشار (كوزيريف) بيده ، قائلاً :

- اجلس أيها الرفيق الرائد أريد التحدث إليك

عاد (جلجاموف) يجلس ، وشك أصابع كعبه على سطح
مكتبه وهو يقول :

- خيراً .

رفقه (كوزيريف) بنظرة صارمة ، قبل أن يتحرك داخل
الحجرة ، قائلاً :

كلانا يعرف الكثير عن قصة الحاسوس الخفى ، الذى
يعمل فى صفوفنا منذ فترة طويلة ، والذى بذلت الإدارة جهداً
حقيقياً لكشف شخصيته دون طائل .

تحركت يد (جلجاموف) فى حذر نحو درج مكتبه ، وهو
يقول :

- بالتأكيد أيها الرفيق .

أوما (كوزيريف) براسه مرتين متتاليتين ، ثم قل :

ولكن الظروف فى الآونة الأخيرة ، أضافت معلومات
واحداثيات جديدة ، وخصوصاً بعد مجاح الحاسوس المصرى
فى الفرار .

فتح (جلجاموف) درج مكتبه فى حذر شديد ، واختلس
نظرة إلى المسدس الراقد داخله ، وهو يقول :

- هل توصلت الإدارة إلى معلومات جديدة أيها الرفيق العقيد ؟

استدار (كوزيريف) يتتبع إليه مباشرة ، قبل أن يحيب في حزم :

- بالتأكيد .

استدعى (كوزيريف) مقرر المسدس في توتر ، و (كوزيريف) يكمل :

- لقد توصلنا إلى شخصية الجاسوس .

انقبضت أصابع (بلجاسوف) على مقبض المسدس في قوة ، وهو يسأل في شيء من الانفعال :

- ومن هو ؟

تحلّج إليه (كوزيريف) الحطبات في صمت مشوق قبل أن يحيب

- (هيلجا) .. (هيلجا مارونسكى) .

استعد حاضرا (بلجاسوف) ، وهو يسحب يده عن المسدس . معصمًا في دهشة :

- (هيلجا) ؟

أجابته (كوزيريف) بسرعة :

نعم أيها الرفيق الراحل . لقد ادعشنا هذا أيضًا ، ولكن مراجعة صف زميلك السابقة أرشدت إلى بضع تحركات ، لم ينتبه إليها في حينها . جعلتنا ندرك أنها تعمل لحساب جهة أخرى ، ومنذ فترة طويلة .

كان هذا الخبر مفاجأة حقيقية لـ (بلجاسوف) ، حتى أنه هتف دون أن يدري :

- عجبًا ! .. اثنان في جهاز واحد .

حدّق (كوزيريف) في وجهه بدخشة متوترة ، وهو يقول :

- اثنان ! .. ماذا تقصد بهذا اسأل أيها الرفيق الراحل ؟

قهرت بد (بلجاسوف) تختطف مسدسه بسرعة هذه المرة .

ورفعه في وجه (كوزيريف) ، وهو يقول في صرامة :

- هذا ما أقصده أيها الرفيق العقيد .

وكانت مفاجأة للعقيد (فيدور كوزيريف) :

مفاجأة عبيدة ..

للعاية ..

* * *

« اسمح لي بتهنئتك يا سيد (ادوم) .. »

ينطق (شالوم) العبار . في لحظة وهو يستطع إلى (ادوم) ،

الذي استرحى في مقعده في هدوء ، داخل معطف المدر الانقباض .

وكانما يحلس في منبر عام ، ويأبى في حزم واضح

لقد أدت اللعبة في براعة حقيقية ، حتى الآن

تطلّع إليه (ادوم) في سحرية ، وهو يقول .

- ما هذا بالصبط يا (شالوم) تواصل المتصر ، أم مرارة

المنهزم ؟

مال (شالوم) نحوه ، قائلاً :

إنك لم تتنصر بعد يا سيد (ادوم) من بضحك أخيرًا

بضحك كثيرًا .

قال (ادوم) في سرعة :

- وعاليًا . هذا صحيح يا (شالوم) ، وأعدك أن أضحك

بأعلى صوتي ، عندما ينتهي هذا الأمر .

رمقه (شالوم) بنظرة صارمة وهو يقول
اعلم ان لك سحلاً حافلاً بالانصارات يا سيد (ادهم) .
ولكن من العسير جداً ، ان تختصر على .
كانت انتسامته (ادهم) اسخريته بتحول إلى صحكة عالية .
وهو يقول :
- حقاً ؟

التقى حاحبا (شالوم) ، وهذ يقول شيء ما ، عندما ارفع
رين جرس الهاتف المحاور به فاحتف سماعه ، قنلاً
- من المتحدث ؟
ازداد انفعاد حاحبيه وهو يستمع إلى محدثه ، ثم ياول
(ادهم) السماعة ، قائلاً في شيء من الحق
- إنه زميلك .

التقط (ادهم) السماعة ، واستمع إلى صوت زميله في
ارتياح ، ثم قال بالعربية .

حمداً لله على سلامتك يا رجل - سغ (فرسريك) تحياتي .
واخبره أنني سعيد بمحابه كلاً لا تنسق بشائى اعرف
كيف اتدبر امورى جيداً - إلى البقاء وبالمباشرة احبر
طاهى السفارة اننى احب تناول حساء الدجاج فى العشاء .

رمقه (شالوم) بنظرة غاصصة ، عندما سمع عبارته
الاخيرة ، وقال له عندما أنهى المحادثة :

- تحب تناول حساء الدجاج فى العشاء ؟ - افاؤل هذا أم
حمافة يا سيد (ادهم) .

هز (ادهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :
لا هذا ولا ذاك - أنا احب تناول حساء الدجاج بالفعل فى
عشاى ..

بدا العصب على وجه (شالوم) ، وهو يقول
- فليكن - دع من هذا البعث ، واحبرنى ابن التسجيلات
التي حصلت عليها من خزانة (هال) ؟
ابتسم (ادهم) فى سخريته ، وهو يقول :

- فى اماك شتى يا (شالوم) . فعضها تم إرساله إلى
وكالات الأنباء العالمية ، لأنه يحوى ما يثبت أنك المسئول عن
تدمير عملية طائرة التجسس ، وأن (مصر) مرتبطة من
هذا تماماً - ولو أنك تشك فى قولى هذا ، فيكفى أن تشاهد
محطة (C . N . N) بعد ساعة واحدة ، وستجد صورتك على
شاشتها ، وأنت تعد حطنت الحفيرة . مع (هال) ورملائه لقد
كان ذلك المحامى الفيلسوف داهية حقاً ، حتى يحتفظ بتسجيلات
لكل هذا .

احتقر وجه (شالوم) فى شدة ، واحمرت عيابه فى غضب ،
فى حين تابع (ادهم) بنفس الهدوء اسخر
- أما بعض الشرائط الأخرى ، فقد أهدبها إلى المخابرات
السوفيتية ، يكشف أمر العمل السوفيتى ، الذى بدلت قصارى
جهنك لتجنيده لحساب (الموساد) .

واسعت انتسامته الساحرة ، وهو يصف :
- معدرة ابن يا عزيزى ابعد (شالوم) لقد خسرت اللعبة
هذه المرة .. خسرتها عن جدارة .

هز (شالوم) من مقعده ، و تنفص جسده كله بغضب
هائى ، وهو يصرخ :

- هل تظر هذا ؟ ! سندفع الثمن يا رجل - ستدفعه قانجاً
ثم اشار إلى رجاله ، صارخاً :

- اقتلوا هذا الرجل .

ولم تكن عبارته الأمرة قد اكتملت بعد ، عندما رفع (بنحاس) وزميله مدافعهم الآلية . وانطلقت رصاصاتهم بلا تردد ، لتصيب الهدف مباشرة ..

وصرخ (شالوم) في انفعال :

- أنت خسرت هذه المرة .. أنت .

قالها ، وهو يشاهد الرصاصات بعينية تصرب جسد (ادهم) وجبهته ..

تضربه في مقتل ..

* * *

حدّق العقيد (كوزيريف) في وجه (جلجاووف) ومسدسه في دهشة ، قبل ان يهتف غاضباً مستكراً :

- ما هذا بالصبط ايها الرفيق (جلجاووف) ؟ .. هل جئت حتى تصوب مسدسك إلى رئيسك .

ابتسم (جلجاووف) ساخراً ، وهو يقول :

- لا تقلق نفسك بهذا ايها الرفيق ، فمن الناحية الرسمية ، لم تعد رئيسي .

مال وجه (كوزيريف) إلى الامام ، وهو يقول في ذهول منزعج :

- ماذا ؟

اجابة (جلجاووف) ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويلتقط شريطاً من اشربة الفيديو :

لقد اصدر القائد هذا الامر منذ قليل ، بعد ان وصلته نسخة من هذا الشريط ، التي يحوى تسجيلاتك ، مع محام

قنفدى ، وانت تنقل إليه بعض ادق اسرارنا ، خلال واحدة من زيارتك إلى (هلسكى) ..

ارتجفت شهتنا (كوزيريف) وامتنع وجهه بشدة ، وهو يتطلع إلى (جلجاووف) ، الذي مال يضغط زرّاً على مكتبه ، مستطرداً :

عندما دخلت إلى مكنتي ، تصوّرت أنك ستحاول التخلّص مني ، بعد ان اكتشف أمرك ، ولكنني فوجئت بأن الاخبار لم تبلغك بعد ، ومن دواعي سروري اني الشخص الذي ابلغك بها .

ومع اخر حروف كلماته ، اندفع رجال الامن داخل الحجرة ، وصوّنوا اسلحتهم إلى (كوزيريف) المنهار ، فالتقط (جلجاووف) نفساً عميقاً من الهواء البارد ، قبل ان يقول في صرامة :

- لقد انتهى أمرك هذه المرة ايها الرفيق العقيد . انتهى تماماً .

وحمل صوته رنة تجمع ما بين السخرية والتشفي والشماتة ..

رنة تعني ان العميل السوفيتي صار مجرد ماضٍ ..

او رقم في سجلات المعتقل ..

معتقل (سيبيريا) ..

* * *

انطلقت رصاصات المدافع الآلية الثلاثة نحو جسد (ادهم) ورأسه ، فابتزعتته من مكانه ، والقته متراً ونصف المتر إلى الخلف ، قبل ان يرتطم بأحد المقاعد ، ويسقط معه أرضاً في عصف ..

وهي نفس اللحظة التي استقر فيها جسده أرضاً ، اقتحم الرجال الخمسة الذين يحرسون المكان الحجرة ، وسبّاباتهم متحفزة على ازمنة مدافعهم ، فهتف بهم (شالوم) في سرعة : لا ماس يا رجال عودوا إلى مواقعكم كل شيء تحت السيطرة .

لقى الرجال بطرة على جسد (ادهم) ، الملقى مع المقعد أرضاً ، ثم تراجعوا قائلين في توتر :

- فليكن أيها الرئيس فليكن تصورنا مع انطلاق الرصاصات ، أنكم في مازق ما .

لوح (شالوم) بيده قائلاً :

كلّا . لا توجد أية مشكلات عودوا إلى مواقعكم

غادر الرجال الحجرة في سرعة ، في حين حدّق (بنحاس) في جسد (ادهم) ، قائلاً في دهشة :

لقد انتهى الأمر بسرعة أيها الرئيس مع كثرة حديثك عن هذا الرجل ، لم أتصور قط أن ينتهي أمره على هذا النحو

كاد (شالوم) يقول إنه أيضاً لم يكن يتصور هذا قط ، إلا أن الكلمات احتسست في أعماقه ، وهو ينطلق إلى جسد (ادهم) ،

حتى أنه بذل جهداً حقيقياً ليغمغم :

- كل شخص له نهاية ، مهما بلغت قوته .

قالها ، واتجه في حذر نحو جسد (ادهم) ، وانحنى بفحوصته في اهتمام ، وهو يقول في حيرة متوترة ، وبده تعذّر

لتحسس إصابة الرأس :

عجباً ! . الرصاصات أصابته في صدره ورأسه ، ولكن

لا توجد دماء أو ...

بشر عبارته ، وانتفض جسده كله في عنف ، عندما فتح (ادهم) عيبيه بغثة ، وارتفعت يده تقبض على معصمه بأصابع من الفولاذ ، وصوته الساخر يقول :

- لأن موتى لم يحن بعد أيها الوغد .

شهق (شالوم) ، وأراد أن يتراجع مذعوراً ، ولكن قدم (ادهم) أصابعه في مؤخرته ، والقته خبفه في عنف ، في نفس اللحظة التي ضغط فيها (ادهم) زر جهاز تحكّم لاسلكي صغير

في جيب معطفه ، فالتقط إشارة جهاز استقبال صغير في حقيبة السيارة ، التي أوقفها أمام باب الفيلا ، وأشعل فتيل صاروخين وقنبلة ..

وبوت ثلاث انفجارات هائلة .

ففي ثانية واحدة انطلق صاروخ من مقدمة السيارة ، أصاب مدخل الفيلا وانفجر بعنف ، وانطلق آخر من الحقيبة ، وعبر الحديقة كلها لينفجر عند البوابة المعدنية ، ويطيح بها مع طاقم حراسنها ، ثم انفجرت السيارة نفسها ، واطاحت بكل من حولها من رجال (شالوم) ..

وهي نفس الثانية تقريباً ، كان (ادهم) يقبض على (بنحاس) ورميله ، مستغلاً عامل الدهشة والمفاجأة ،

فيحطّم فك أحدهم بكلمة كالقنبلة ، ويعوص في معدة الثاني بضربة كالمطرقة من قدمه ، ويهوى بقبضته الأخرى على مؤخرة عنق الثالث ..

وقفز (شالوم) يحاول بلوغ مسدسه على المكتب ، ولكن أصابع (ادهم) قبضت على عنقه ، وهذا الأخير يقول ساخراً

- إلى أين أيها الوغد ، أليس تعترف بالهزيمة ؟ !

حاول (شالوم) أن يستدير إليها جمته ، ولكن (أدهم) لکنه
في معدته بكل قوته ، ثم أصاب فكه بلكمة ثانية القذة أرضاً ،
قبل أن يقول ساخرًا :

- والآن ما قولك أيها الوغد الأرقط : .. أما زلت تصرّ على
أنك أكثر الجميع براعة وبهاء ؟

بدا صوت (شالوم) أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :
- إنك ترتدى معطفًا واقيًا من الرصاصات ، ولكن ماذا عن
إصابات رأسك وجبهتك ؟
ابتسم (أدهم) في سخرية قائلاً :

- إنه ليس وجهي هذا الذي تراه أيها العبقري .. إنه مجرد
قناع متقن لوجهي ، مبطن بمادة (الكيفلار) .. هل تعرفها ؟
إنها تلك المادة الحديثة التي تستخدم لصنع الدروع المضادة
للرصاص ، وهي تتميز عن الدروع القديمة في أنها أكثر قوة ،
وأخف وزنًا ، وأقل سمكًا (*) .

هزّ (شالوم) رأسه في مرارة ، وبصق بعض الدم من فمه ،
قبل أن يقول :

- قناع إضافي : .. لقد تفوّقت على نفسك بالفعل هذه المرة
يا (أدهم) ، ولكن هل تتصوّر أن قنابلك هذه قد قضت على كل
رجالنا ؟ .. أم أنك تظن أنك قادر على الخروج من هنا حيًّا ،
لمجرد أنك ضربت ثلاثة من الرجال وافقدتهم الوعي ؟
مال (أدهم) نحوه ، قائلاً :

- لست أتصوّر هذا أو ذاك يا رجل ، ولكنني ورجالك تعلم أن
الموت لا يأتي مرتين ، وما داموا قد راووني صريعًا هنا ، فكيف

(*) حقيقة .



ولكن قدم (أدهم) أصابعه في مؤخرته ، وألقه خلفه في عتف ..

يفكرون في قتلى مرة أخرى .. خاصة وأن من سيخرج من هنا ،
وسط الفوضى التي سادت المكان مع الانفجارات ، لن يكون أنا .
ثم انتزع القناع الإضافي عن نفسه ، متابعاً :
- بل أنت .

اتسعت عينا (شالوم) في ذهول ، وهو يحدّق في وجه
(أدهم) ، الذي تحول إلى نسخة طبق الأصل منه ، وهتف
محاولاً النهوض :
- أيها الـ ...

أخرسته قبضة (أدهم) بكلمة مباشرة في فكه ، أسقطته
لما فقد الوعي ، ثم وضع قناع الوجه المصاب فوق وجهه ، والبسه
معطفه ، ونهض قائلاً :

- إلى اللقاء أيها الذئب الإسرائيلي الخاسر .. لا تنس أبداً
أنك ذقت هزيمتك الأولى على يد من هم أكثر براعة منكم ..
المصريين .

قالها ، وشد قامته ، والنقط معطف (شالوم) من المشجب ،
وارتداه في هدوء ، وغادر الحجرة ، وهو يقول بصوت ولهجة
الإسرائيلي ، وبصرامة شديدة :

- أحضروا سيارتي على الفور .. لا بد أن ابتعد عن هنا ، قبل
وصول الشرطة .

وفي الوقت الذي ساد فيه الاضطراب في قبلا (شالوم) ،
والجميع يحاولون السيطرة على النيران ، التي اشتعلت من
جراة الانفجارات ، كانت ابتسامة ساخرة كبيرة تعلا وجه
(أدهم) ، وهو يتطلق بسيارة الإسرائيلي نحو المطار ، معلنة
انتصاره في جولته الأخيرة مع الخطر .. ومع الموت ..

* * *

انهضت الأمطار في غزارة على (القاهرة) ، على نحو لم
يسبق له مثيل منذ بداية فصل الشتاء ، ووقف (أدهم) صامتاً
في مكتبه ، يراقب الأمطار من خلف زجاج النافذة ، وقد شرد
بافكاره طويلاً ، حتى سمع صوت زميله من خلفه يقول :

- طقس رديء .. اليس كذلك ؟

التفت إليه (أدهم) في هدوء قائلاً :

- إنه يبدو لي رائعاً ، بعد ما شاهدته في (سيبيريا) .

ابتسم زميله ، وربّت على كتفه في امتنان ، قائلاً :

- إنني أدين لك بحياتي يا صديقي ، فلولاك لافترسنا

(شامير) أنا و (فريدريك) .

هزّ (أدهم) رأسه قائلاً :

- ولولا ماسعى لاختطافكما أيضاً .

قال زميله :

- هذا لا يمنع أنك انقذت حياتنا ، وأنت تصرّفت ببراعة

مدهشة ، منذ بداية المهمة .. لقد قرأت تقريرك كله .

ثم سأل في اهتمام :

- ولكن أخبرني : لماذا رفضت قيادة المعتقلين ، في ثورتهم

ضد طغاة معتقل (سيبيريا) ؟

أجاب (أدهم) في سرود :

- كان الأمر سيتحوّل إلى مذبحة رهيبة ، فالقواعد في

(سيبيريا) تحتم إطلاق النار على الجميع بلا رحمة أو هوادة ،

في حالة التمرد أو الثورة ، والمعتقلون كانوا منهكين منهالين ،

ولم يكن باستطاعتهم قط التصدي لكتيبة مسلحة شرسة .

أوما زميله برأسه متفهّماً ، وهو يغمغم :

- هذا صحيح .

ثم عاد يربّت على كتف (ادهم) ، مستطردًا :

- لقد انتهى الكابوس على آية حال ، وحققت انتصارًا

كالمعتاد يا رجل ، وهزمت الموت نفسه هذه المرة .

ابتسم (ادهم) ، وهو يقول :

- لا احد يهزم الموت يا رجل .. إنه المنتصر حتمًا في كل

معاركه ، مهما طال الزمن .

ضحك زميله قائلاً :

- ولكنك فعلتها مرتين يا صديقي .. الم يعدمك (فينوفيتشي)

في (سيبيريا) ، ويقتلك (شالوم) في قيلته في (هلسنكي) ؟

وعلى الرغم من هذا ، فهانتذا حتى ترزق بيننا .

هزّ (ادهم) راسه ، وتنهد في عمق ، قبل أن يقول :

- إنه موت في الأوراق الرسمية وحدها يا رجل ، وهذا امر

يسهل تزييفه والعبث به ، اما الموت الحقيقي فلا يفشل او

ينهزم .

ثم شرد بصره مرة ثانية ، وهو يعاود التطلّع إلى الأمطار

المنهمرة ، وذهنه يستعيد كل ما حدث ، قبل أن يضيق في

صوت عميق خاشع :

- ولا ياتي أبدًا مرتين .

وعاد إلى صمته ، والمطر ينهمر ..

وينهمر ..

وينهمر ..

* * *

[تمت بحمد الله]

سلسلة
الأعداد
الخاصة

الموت لا يأتي مرتين

روايات
مصرية
الحديثة



د. نبيل فاروق

الموت لا يأتي مرتين

كانت مهمة خاصة في (فنلندا) لكشف
أسرار الشبكة الاسكندنافية نيجاسوسية .
ولكن الذئب الأسر تيلي (ماتير شالوم) ظهر
وسط الأحداث . كشف حقيقة (أدهم) .
وأعدّ خطة شيطانية للقضاء عليه

وبخدعة رهيبه . وجد (أدهم صبري) نفسه وسط جليد
(الاتحاد السوفيتي) . يقاتل ويقاوم للتجاة والفرار . من أبشع
معتقل عرفته السنوات الأربعين الأخيرة ...
معتقل (سيبيريا) ..

وكان على (رجل المستحيل) أن يتصدى
للمحط . وأن يقاتل بكل قوته . وهو يدرك حقيقة
واحدة ..

أن الموت لا يأتي أبدا مرتين



الضمن في مصر ٣٠٠
ومبايعة بالدولار الأمريكي
فرسان الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
بمصر